دراسات في تاريخ مصر الفرعونية

(١)

منذ أقدم العصور وحتى بداية الدولة الحديثة

دكتور
أحمد أمين سليم
أستاذ التاريخ القديم المساعد
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دكتورة
سوزان عباس عبد اللطيف
مدرس التاريخ القديم
كلية التربية - جامعة الإسكندرية

١٩٩٣

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

دراسات فى تاريخ مصر الفرعونية

(١)

منذ أقدم العصور وحتى بداية الدولة الحديثة

دكتور
أحمد أمين سليم
أستاذ التاريخ القديم المساعد
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دكتورة
سوزان عباس عبد اللطيف
مدرس التاريخ القديم
كلية التربية - جامعة الإسكندرية

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة :

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحابته وبعد ، فهذا مؤلف فى تاريخ مصر الفرعونية منذ أقدم العصور وحتى بداية عصر الدولة الحديثة .

ويتضمن هذا الكتاب ثمانية فصول رئيسية ، قام الدكتور أحمد سليـــم باعداد الفصول من الاول وحتى الرابع وكذلك الفصلين السابع والثامـــن . أما الفصلين الخامس والسادس فقامت باعدادهما الدكتورة سوزان عباس .

ويتناول الفصل الاول مصادر التاريخ المصرى القديم ، ويتضمن ذلـك المصادر الاثرية وماكتبه المؤرخون والرحالة اليونان والرومان والمصـــادر الاجنبية المعاصرة وكذلك الكتب المقدسة .

أما الفصل الثاني فقد خصص لعصور ماقبل التاريخ ، ويتضمن مرحلـــة العصر الحجرى القديم والعصر الحجرى الوسيط والعصر الحجرى الحديث وعصر الحجر والنحاس ، ثم عصر ماقبل الاسرات .

وخصص الفصل الثالث لتتبع الخطوات التى تمت فى سبيل فى توحيـــد البلاد ، حتى تمكن حكام الجنوب من توحيد البلاد فى بداية الالف الثالث قبل الميلاد .

ويتناول الفصل الرابع عصر الاسرتين الاولى والثانية ، ويتضمـــــن الموضوعات الاتية :

تسمية العصر وتحديده الزمنى والكيان السياسى الداخلى بما يتضمنه من توحيد البلاد واستقرار الكيان السياسى الداخلى والوسائل التى اتبعها ملوك العصر لتدعيم الوحدة بين الجنوب والشمال ثم سياسة مصر الخارجية مع جيرانها خلال هذا العصر .

أما الفصل الخامس فيتناول عصر الدولة القديمة أو عصر بناء الاهرام وفيه تمت دراسة هذا الفصل وذلك من النواحى السياسية والمعمارية وعلاقات مصر الخارجية خلال هذا العصر .

ويتناول الفصل السادس عصر الثورة الاجتماعية الاولى ، وفيه تمت دراسة هذا العصر من حيث الاسباب التى أدت الى قيام الثورة والاحوال السياسية والفكرية خلالها واهم النتائج التى ترتبت عليها .

أما الفصل السابع فقد خصص لعصر الدولة الوسطى ، ويتضمن الاسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة ، وتم استعراض احوال مصر الداخلية والخارجية خلاله واخيرا الفصل الثامن ويتضمن أحوال مصر خلال عصر الانتقال الثانى الذى رزئت فيه مصر باحتلال اجنبى دنس بعضا من اراضيها .

واخيرا فهذا مؤلف فى جزء من تاريخ مصرنا الحبيبة نرجو من العلى القدير ان يحقق بعض النفع ، وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب .

الاسكندرية فى نوفمبر ١٩٩١

المؤلفان

الفصـــــل الاول

مصادر التاريخ المصري القديم

تعتمد الدراسة في تاريخ مصر الفراعنة على مصادر أربعة اساسية هي الآثار المصرية وماكتبه الرحالة والمؤرخين من الاغريق والرومان الذين زاروا مصر وكتبوا عنها كتبا كاملة أو فصولا من كتب ثم المصادر المعاصرة في منطقة الشرق الادنى القديم . واخيرا ماجاء في الكتب المقدسة عن مصر واحوالها .

أولا : الآثار المصرية :

لا ريب في أن الآثار التى تركها المصريون القدامى وماتمد بها الباحث في تاريخ الكنانة من معرفة سطرت على جدران المعابد والمقابر والاهرامات والتماثيل ولوحات القبور والتوابيت وقراطيس البردى وغيرها انما هى المصدر الاول لتاريخ مصر القديمة فهى تتحدث عن الكثير من اخبار القوم وتروي معلومات عن عقائدهم وفنونهم .

على انه يلاحظ على هذا المصدر عدة نقاط ضعف نذكر منها أن كثيرا من الاثار انما هى صادر عن المقابر والمعابد . ومن هنا كان المظهر السائد لمعظم مايعثر عليه فيها دينى . ومنها ان كثيرا من الاثار انما قد كتب بأمر من الملوك أو بوحى منهم . ومن ثم فلابد ان نكون على حذر فيما ترويه هذه المصادر ، ومنها كذلك ان كل ماعثر عليه انما هو صادر عن الصعيد . ومنها ايضا ان تسعة اعشار الحفائر انما تمت في الصحر

حيث شاد القوم مقابرهم حيث يحفظ الرمل الجاف أكثر الاشياء عرضة للتلف . أما اماكن الاحياء فكانت تبنى فى وسط الاراضى الزراعية . وقد أدى هذا الى ندرة الاثار المتعلقة بالحياة اليومية . ويضاف الى ذلك ندرة الاثار التى ترجع الى بعض العصور المظلمة مثل العصر الوسيط الاول والثانى . مما يجعل تسلسل الاحداث فى التاريخ الفرعونى غير مطرد وآخيرا فان النصوص فى غالبيتها صعبة الترجمة عسيرة التأويل بالاضافة الى أن المصريين لم يعرفوا التواريخ المطلقة شأنهم في ذلك شأن غيرهم من الشعوب القديمة (١) .

ومع ذلك فان الاثار هى مصدرنا الاول لانها تمتاز عن غيرها من المصادر الاخرى بأنها المصدر الوحيد الذى عاصر الاحداث والذي اشركه المصريون عن قصد أو غير قصد فى الكشف عن تاريخهم وتخليد حضارتهم . هذا ولعل أهم ماعثر عليه من بين تلك الاثار ماعرف بقوائم الملوك وهى كشوف ارخت لبعض الفراعين ولما سبقهم من عصور وأهم هذه القوائم الملكية حجر بالرمو وقوائم الكرنك وابيدوس وسقارة وبردية تورين ثم تاريخ مانيتون .

١ـ حجر بالرمو :

عثر عليه فى منف وقد دون على الحجر حوليات والملوك منذ اقدم العصور وحتى

(1) Gaydiner, A.H., Egypt of the pharaohs, Ox Ford, 1964, PP. 52-56 .

نفرايركارع ثالث ملوك الاسرة الخامسة كما يشير كذلك الى اسلاف منسى ممن كانوا يحكمون فى الدلتا والصعيد واطلق عليهم اسم "اتباع الاله حور" ورغم مافى هذه المدونة من عيوب فانها كانت اول محاولة معروفة لجمع أخبار الملوك وترتيبها فى العالم القديم . وقد التزم فيها المؤرخ بثلاثة مبادئ فقد راعى شرط الوضوح فى كتابته بأن فصل بين احداث كل حول والاخر بخط رأسى يرمز الى كلمة الحول فى الكتابة المصرية وفصل بين حوليات كل ملك وآخر بخط افقى وراعى الترتيب الزمنى فى تدوين أسماء الملوك وحوادثهم من الاقدم الى الاحدث وراعى ثالثا إمانة النقل فى رواياته (١) .

٢ــ قائمة الكرنك :

نقش هذه القائمة كاتب فى عهد تحوتمس الثالث على جانب من معبده بأقصى مجموعة الكرنك وقد صور فى هذه القائمة الملك تحوتمس الثالث وهو يتجه بدعواته الى واحد وستين من أسماء اسلافه وقد تحطمت بداية القائمة ، وأول ملك محفوظ اسمه هو "سنفرو" مؤسس الاسرة الرابعة ثم يليه بعض ملوك هذه الاسرة ثم ملوك الاسرتين الخامسة والسادسة . ثم يتلوهما بعض ملوك الاسرات من الحادية عشر الى السابعة عشرة . وهكذا يتضح لنا أن تحوتمس الثالث انما قد سجل من الملوك من اعتقد فى شرعيتهم واغفل كثير من الملوك الاخرين وبخاصة ملوك عصر الانتقال الاول فضلا عن الملوك

(١) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ، الجزء الاول ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص٢٣ .

من الغزاة الهكسوس(١) .

٣ـ قائمة ابيدوس :

نقشت فى عهد ستى الاول على جدران معبده فى أبيدوس والمنظر يمثل الملك مصحوبا بولده رعمسيس الثانى وهو يقدم القرابين الى ستة وسبعين ملكا من اسلافهم . هذا ويتصدر القائمة الملك (منى) ثم تغفل القائمة اسماء بعض الملوك غير الشرعيين من وجهة نظر كاتبيها ومنهم ملوك الاسرتين التاسعة والعاشرة وملوك عصر الانتقال الثانى والملكة حتشبسوت واخناتون وسمنخ كارع وتوت عنخ آمون (٢) .

٤ـ قائمة سقارة :

عثر على قائمة سقارة بمنف لاحد رؤساء الاشغال ويدعى "ثونرى" من عهد رعمسيس الثانى وكانت تحوى أصلا خراطيش سبعة وخمسين ملكا يمجدهم "رعمسيس الثانى" وهى تبدأ بسادس ملوك الاسرة الاولى (عدج ايب) وتنتهى برعمسيس الثانى . ويلاحظ انها لم تراعي الترتيب الزمنى وقد اغفلت القائمة اسماء ملوك عصر الانتقال الاول والثانى وحتشبسوت

(1) Sethe, K., Helk, W., urkundender 18. Dynastie, leipzig, 1907, Berlin, 1955- 61, 17 , PP. 608- 610 .

(2) Budge, E.A.W., The Book of the Kings, 1, London, 1908.

واخناتون ومن تلاه من عائلته (١) .

٥ـ بردية تورين :

ترجع هذه البردية الى عهد رعمسيس الثانى وتختلف عن بقية القوائم فى انها كتبت على ورق البردى وبالخط الهيراطيقى وتمتاز كذلك بانها قد أوردت بعض الاسماء الملكية التى لم تذكرها القوائم الاخرى . وتبـــدأ البردية بالالهة وانصاف الالهة يليهم بعد ذلك (منى) كمؤسس للملكية المصرية . وأما بقية البردية فمجرد قائمة من الاسماء التى تلى الاســـم اشارة بطول مدة الحكم والعمر ، وتعد بردية تورين من اكثر المصـــادر التاريخية قيمة ويرجع ذلك لان جامع هذه الوثيقة كانـــت لديه مصادر لمعلومات خالية من الفجوات ودقيقة ، ولم يفسد على كاتب البردية ملكته التاريخية الا ايمانه بأساطير قومه التى جعلت للارباب نصيبا فى حكـــم البلاد (٢) .

٦ـ تاريخ مانيتون :

كان آخر المؤرخين المصريين القدامى المعروفين مما هو مؤرخ مصرى

---

(1) Gardiner A.H . op cit, P 50

(2) ________ The Royal canon of Turin. oxFord 1959

عظيم يعد من أعظم المؤرخين الذين انجبتهم مصر القديمة وهو (مانيتون) أو مانيتو كما دعاه المتأغرقون ، وكان ملما باللغة المصرية القديمة وعلى معرفة باللغة اليونانية ثم هو متمكن من تاريخ وديانة بلده مما ساعده على كتابة تاريخه حوالى عام ٢٨٠ ق٠م على ايام بطلميوس الثانى بصورة أفضل مما سبقوه ٠ وقد قام مانيتون بكتابة تاريخ بلاده فى ثلاثة اجزاء باليونانية ويقسم مانيتون مؤلفه بعد حكم الالهة الى احدى وثلاثين اسرة من العائلات الملكية تبدأ بالملك منى وتنتهى بغزو الاسكندر المقدونى عام ٣٣٢ ق٠م ورغم عيوب هذا التقسيم الى اسرات فانه اتخذ جذور ثابتة فى دراسة " علم المصريات" ٠ هذا وقد اعتمد مانيتون فى تاريخه هذا على معلومات صحيحة وصلت اليه من مصادر قديمة لها قيمتها ، وفوق ذلك فان تاريخ مانيتون انما يمتاز بأنه يمدنا بأسماء الملوك الذين حكموا مصر فى عصورها الفرعونية مدونة بنطقها اليونانى ولم يقتصر فى تاريخه على الحياة السياسية وانما أرخ كذلك للحياة الاجتماعية ولا يزال كتاب مانيتون يسيطر على دراستنا ولا يمكن الاستغناء عنه (١) ٠

ثانيا : كتابات المؤرخين اليونان والرومان :

تميزت الفترة مابين القرنين السادس قبل الميلاد والثانى بعد الميلاد بزيارة عدد كبير من الاغارقة مؤرخين كانوا أم رحللة ، وقد كتب هؤلاء عن مصر كتبا كاملة أو فصولا من كتب ٠ على ان الباحثين انما يلاحظون على

(١) عبد العزيز صالح . المرجع السابق ، ص٢٣٦ ـ ٢٣٧ ٠

كتابات هؤلاء المؤرخين عدة نقاط منها

أولا ـ ان كثيرا منهم قد أساءوا فهم مارأوه وذهب بهم خيالهم فى تفسير أو تعليل ماسمعوه ٠

ثانيا ـ أن اصحاب هذه الكتابات قد زاروا مصر فى أيام ضعفها وفى عصور تأخرها ٠ ولو اتيحت لهم الفرصة وزاروها فى ايـــــام نهضتها لتغير الكثير من آرائهم ٠

ثالثا ـ ان اقامة هؤلاء الكتاب كانت فى اغلب الاحيان فى مـــصدر الدلتا ومن ثم فلم يتبينوا أوجه الحياة المصرية الصادقة كمـــا كانت فى الصعيد ٠ ومن ثم فقد اخطأوا فى الكثير مما صـــوروه من مظاهر الحضارة المصرية القديمة ٠

رابعا ـ أن هؤلاء الكتاب قد اعتمدوا فى الكثير من معلوماتهم علـــى الاحاديث الشعوبية مع صغار الكهنة والتراجمة الوطنيين الذين كانوا يفسرون لهم النصوص الهيروغليفية تفسيرا لا يتفق بالحقيقة فى الكثير منها

خامسا ـ ان كثيرا منهم قد كتب ماكتبه من وجهة النظر اليونانيـــة ٠ وكثيرا ماكانت كتابتهم فى وقت اختلفت فيه مصالح بلادهـــم مع مصر ٠ هذا بالاضافة الى روح التعصب التى عرفـــت عن الغربيين لحضارتهم [1]

---

[1] نفس المرجع سابق ص ٥ ٠

ومن أشهر هؤلاء المؤرخين هيكاته الميليتى وهيرود ووت وهيكاتــه الابدرى وديودور الصقلى وسترابو وبلوتارك الخيرونى وغيرهم •

١ـ هيكاته الميليتى :

ينسب الى مدينة ميليتوس الاغريقية فى آسيا الصغرى وقد زار مصــر حوالى عام ٥١٠ ق•م وكتب كتابه " تخطيط الارض" وناقش فيه فيضــان النيل وتكوين الدلتا ومزروعات البلاد (١) •

٢ـ هيرودوت (٤٨٤ ـ ٤٣٠ ق•م)

ولد هيرودوت عام ٤٨٤ ق•م حسبما يرى بعض المؤرخين • وكــان مولده فى مدينة هاليكارناسوس وهى مدينة دورية فى اقليم كاريا وفى الركـن الجنوبى الغربى من آسيا الصغرى (٢)

زار هيرودوت مصر ابان الحكم الفارسى لها وسجل كل مارآه وسمعه فى مصر فى الجزء الثانى من كتابه المشهور ، فتحدث عن جغرافية مصــر

(1) Buvy, T.B., The Ancient Greek Historions, N.g., 195Ɛ, PP. 11-18 .

(٢) احمد امين سليم دراسات فى تاريخ ايران القديمة وحضارتها ،ج١ بيروت ١٩٨٨ ، ص٥٢ •

ومدنها والحوادث التاريخية التى مرت بها واعمال ملوكها ومظاهر الحياة فيها دونما تدقيق أو تمحيص . ومن هنا جاء كتابه جامعا الغث والثمين حاويا الكثير من الحقائق والمفتريات . ومن هنا فقد اختلف المؤرخون فى الحكم على هيرودوت وعلى كتبه وان كان هيرودوت قد بذل الكثير من الجهد فى اخراج كتابه عن مصر ، ويمكن القول أن كتاب هيرودوت فى جزئه الاول الذى ينتهى عند مطلع العصر الصاوى يكاد يخلو من الحقيقة التاريخية . أما الشطر الثانى الذى افتتحه بعصر بسماتيك (٦٦٤-٦١٠ ق.م) فقد حالفه فيه التوفيق . ذلك لان رواته كانوا من الاغريق وكانوا على صلة بالفرعون . فضلا عن ان هناك روايات كانت متداولة يمكن الاعتماد عليها (١) .

٢- هيكاتيه الابدرى :

زار مصر حوالى عام ٣٢٠ ق.م وقام بوضع كتاب عن مصر تحدث فيه بصفة عامة عن العقائد والاساطير الدينية المصرية بصفة خاصة واتسمت كتاباته بروح التعصب والتحيز لوطنه .

٣- ديودور الصقلى :

قام ديودور بزيارة لمصر فى عام ٥٩ ق.م وقد كتب مؤلفات فى التاريخ العام أو تاريخ العالم بعنوان (المكتبة التاريخية) وتناول فيه تاريخ

---

(١) احمد بدوى هيرودوت يتحدث عن مصر ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٢٩-٣٧ .

العالم منذ فجر التاريخ حتى حمله يوليوس قيصر على بلاد الغال . وقد افرد الجزء الاول منه لتاريخ مصر . أما مصادره فكانت الكتاب الذين سبقوه ولم يستطع أن يتجنب الاستعانة بهيرودوت على نطاق واسع . وان انساق وراء جمهور نقاده وقد تناول ديودور اوضاع مصر السياسية والاجتماعية والدينية وكان أكثر من هيرودوت انصافا للمصريين واكثر فطنة في تفسير عقائدهم وأساطيرهم وقد سلم بأن (منى) هو أول الملوك ، وتحدث عن طيبة وان كان يؤخذ عليه انه جعل تأسيس منف تاليا لتأسيس طيبة . ومع ذلك فان ماكتبه عن القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد يجعل كتابه بالغ الاهمية . أما عن العصور القديمة فان مايرويه لا يمكن التحقق منه عن طريق مصدر آخر . ولما كان مؤلفه يعد تجميعا فانه يصبح ذات قيمة لاتبارى وايا ما كان الامر فان ديودور يمتاز على الكثير من المصادر بحسن عرضه لاراء من سبقوه وبدقته ونزوعه الى البحث عن الحقيقة (١) .

٥ـ سترابو :

ولد سترابو في أماسيا في بونتوس وذلك حوالى عام ٦٤ أو ٦٣ ق.م وتتميز كتاباته بأنها نوع من الجغرافية التاريخية ولقد زار الاسكندرية حوالى عام ٢٥ ق.م واقام بها خمس سنوات ، وقد تحدث عن مصر في الجزء السابع عشر من مؤلفه "الجغرافية" وقد وصف النيل ومصر . وان اهتم كثيرا بالدلتا كما قدم لنا تفصيلات عن المباني والعبادات . اما ملاحظاته

---

(١) وهيب كامل : ديودور في مصر ، القاهرة ، ١٩٤٧ .

على التاريخ والعادات الدينية فخاضعة للنقد ٠ (١)

٦ـ بلوتـارك :

ولد في بلدة خيروينا في شمال اقليم بويوتيا في بلاد اليونان ويعـــد بلوتارك من أصدق المؤرخين القدامى واكثرهم امانة في النقل ٠ وقد اهتم بلوتارك في كتاباته بالعقائد المصرية ٠ واهتم بصفة خاصة بقصة (اوزيـر وايزة) ٠

ثالثا : المصادر الاجنبية المعاصرة :

واما ثالث المصادر الرئيسية في تاريخ مصر القديمة ٠ فهو المصـادر المعاصرة في منطقة الشرق الادنى القديم ذلك لان مصر انما كانت على علاقة ببلدان هذه المنطقة في فترات من تاريخها وخاصة في عصر الدولـة الحديثة ٠ فتبادل حكامها مع الفراعين رسائل كثيرة ـ اختلفت في فترات السلام عن عصور الحرب ٠ ففي الاولى نجد الود والاحترام المبالغ فيه ان لم يكن الخضوع والتذلل ٠ وفي الثانية نجد ادعاءات مبالغ فيها ،وواجب

---

(١) محمد بيومي مهران ،دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم ، جـ١ ، مصر ، الكتاب الاول ، التاريخ ، الاسكندرية ،١٩٨٢ ص ٧٣ ـ ٧٤ ٠

الباحث ازاء هذه الكتابات مقارنتها بما يعاصرها فى مصر • ومن المقارنة بينها جميعا يستطيع الباحث ان يتبين ولو بقدر الحقائق التاريخية • هذا الى انها انما تعين الباحث فى تتبع عهود الفراعنة بالنسبة الى من عاصرهم من ملوك الشرق وامرائه • كما ان الرسائل المتبادلة انما تعطى فكرة عن العلاقات الدولية والحالة الحضارية لهذه المنطقة الهامة من العالم ابان كتابتها •

رابعا : الكتب المقدسة :

لا ريب فى انه يمكن للمؤرخ — وبخاصة حين يكتب عن العصور التى تلت عصر الدولة الوسطى — ان يعتمد على ماجاء فى الكتب المقدسة وبخاصة التوارة والقرآن الكريم والتى روت الكثير من القصص الدينية التى تتصل بطريقة أو بأخرى بالتاريخ الفرعونى • كما انها تحدثت كثيرا وبسطت طرقا من نواحى الحياة المصرية هذا وقد تحدثت التوراة فى كثير من اسفارها عن المصريين وعلاقاتهم ببنى اسرائيل فضلا عن الحديث عن انبياء بنى اسرائيل ذوى الصلة الا انه تجب الاشارة الى اننا حين نتعامل مع التوراة كمصدر تاريخى ان ننظر اليها كما الى غيرها من المصادر التاريخية نتقبل ماتقوله ان كان يتفق مع الحقائق التاريخية ونرفض ماتقوله حين تذهب بعيدا عن ذلك •

أما القرآن الكريم فانه يقدم لنا عن طريق القصص القرآني معلومات هامة وصحيحة تماما عن عصور ما قبل الاسلام والخيارة ونها وعن طريق سيدنا يوسف وموسى يقدم لنا القرآن الكثير من المعلومات عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مصر الفراعنة (1).

---

(1) نفس مرجع سابق ، ص ٧٨ - ٩

الفصل الثانى

عصور ماقبل التاريخ

أولا : العصر الحجرى القديم

كشف العلماء فى العديد من المناطق المصرية على الادوات الاثرية التى استخدمها الانسان اثناء العصر الحجرى القديم ، فلقد عاش الانسان خلال هذه المرحلة على التلال المحيطة بوادى النيل وصحراواته وكذلك على حواف الوادى ، ويقسم العلماء الانتاج الحضارى للانسان خلال مرحلة العصر الحجرى القديم الى ثلاث مراحل ، حسب ترتيبها الزمنى ، تعرف المرحلة الاولى منها باسم مرحلة العصر الحجرى القديم الاسفل ، يليها مرحلة العصر الحجرى القديم الاوسط ، ثم مرحلة العصر الحجرى القديم الاعلى .

١ـ مرحلة العصر الحجرى القديم الاسفل :

تعتبر هذه المرحلة بداية تمكن الانسان من صنع ادواته عن قصد وهدف ، واعتمد فى صنع ادواته بصفة رئيسية على الحجر الذي شكله بما يناسب مطالبه المحدودة واستخدم بجانبه مواد اخرى كالعظم والخشب والعاج والاصداف البحرية . ويتميز الحجر بتوفره كما انه يسهل وبخاصة حجر الظران ، قطعة بسهولة الى شظايا تؤدى وظيفة القطع مما يساعد الانسان على تحقيق اغراضه المختلفة .

ونظرا لان عمليات الدراسة العلمية لاثار مرحلة العصر الحجرى القديم قد بدأت فى اوربا فان الاصطلاحات الخاصة بها تحمل اسماء اماكن

اوربية وبخاصة اماكن فرنسية ، وفيما يتصل بمرحلة العصر الحجرى القديم الاسفل ، فقد سادت خلالها حضارتان هما . الابيقلية وهى اقدم الحضارات الانسانية ثم الحضارة الاشولية ـ ولقد كانت الحضارة الابيفلية تسمى بالحضارة الشيلية نسبة الى بلدة Chelles التى تقع على نهر المارن فى فرنسا ، ولكن نظرا لان هذا الموقع وجدت به الات خليطة من الحضارتين الشيلية والاشولية ، فقد تركت تسمية الحضارة الشيلية .

وتتميز هذه المرحلة بصناعة الفأس اليدوية ، ولقد اصبحت فى اثناء الحضارة الاشولية اكثر اتقانا واصغر حجما ، ووجه الانسان اهتمامه بتحديد حوافها وتهذيب سطحها كله تاركا اقل مساحة ممكنة من القشرة الاصلية فى أسفل الاداة لكى يجعل شكلها متناسقا ، ويطلق على هذه الصناعة تسمية صناعة "النواة" للدلالة على ان اصحابها كانوا ينتفعون أساسا بنواة الحجر أى جملة الزلطة ، واضخم جزء منها ، ولقد بدأ الانسان فى هذه المرحلة فى صنع بعض اداوته من الشظايا التى تتطاير منها حين تشكيلها الا انه لم يكن انتفاعا مقصودا لذاته (١) . (شكل ١) .

ولقد كشف عن الادلة الاثرية المتصلة بالعصر الحجرى القديم الاسفل والتى ترجع الى الحضارة الاشولية فى العديد من المناطق فى مصر ، فقد عثر على فأس يدوية فى سهل العباسية ، وكذلك فى الجبل الاحمر وجبل

---

(١) عبد العزيز صالح حضارة مصر القديمة وآثارها ، ج ١ ، ص ٥٩ .

المقطم فى شرق القاهرة وجنوبها الشرقى ، وكذلك فى اسنا وطوخ والعرابة المدفونة وقنا واسوان والصحراء الغربية والواحات .

وتمكنت بعض السلالات فى اخريات هذه المرحلة من التوصل الى طريقة اشعال النار ، وتمكنت من استخدامها فى اغراض التدفئة وطهى اللحوم ، وكان لذلك اثره الفعال والحاسم فى حضارة الانسان ، فقد ارتفع بالانسان عن مصاف اكلة اللحوم ، واصبح اكثر اطمئنانا على نفسه وعلى صغاره من قوة البرد والصقيع ، واصبح اكثر اطمئنانا الى عدم فساد لحوم صيده بسرعة ، وسواء بدأت معرفة اشعال النار فى الشمال أم فى الجنوب ، فقد كان أهل الشمال أكثر حاجة اليها ، واكثر محافظة عليها لمواجهة البرد والصقيع فى بيئتهم .

٢ـ مرحلة العصر الحجرى القديم الاوسط :

يطلق على الانتاج الحضارى المتصل بهذه المرحلة تسمية "الادوات الموستيرية" وذلك نسبة الى كهف موسيتية Moustier فى حوض الدوردونى بفرنسا ، واعتمدت صناعة الادوات فى هذه المرحلة على اساس استخدام الشظايا التى تنفصل عن جوانب الفأس اليدوى ، وتتميز هذه الصناعة بصغر حجمها وتنوع اشكالها واغراضها ، فصنع من هذه الشظايا السكاكين والمكاشط والمخارز .

وقد عثر على الانتاج الحضاري لهذه المرحلة في العديد من مناطق في مصر ومنها واحة الخارجة ، وفي "قصر باسل" في الفيوم ، ومنحدرات الجبل الاحمر وسهل العباسية ، وشرق ... ومواقع طيبة ، وفي مناطق متفرقة من الصحراء الشرقية في الصعيد ومصر الوسطى (١)

٣- مرحلة العصر الحجري القديم الاعلى

تمتاز هذه المرحلة بصناعة حجرية جديدة هي صناعة الاسلحة النصلية ، وهي عبارة عن ادوات حجرية دقيقة وحادة تمكن الانسان من صنعها بصورة تفوق في دقتها مجهوداته السابقة ، وهي تعرف باسم "الادوات القزمية" ، وقد يسر صغر حجمها للانسان حملها والانتقال بها من مكان الى آخر.

وقد ظهرت في مصر ثلاثة مراكز اقليمية تمايزت فيها خصائص صناعة الادوات القزمية ، وهذه المراكز هي الواحات الخارجة ، وانتشرت صناعتها فيما يليها من المنطقة الممتدة الى قنا وما حولها ، والمنطقة الثانية انتشرت صناعتها في شمال مصر الوسطى باطراف الدلتا ، أما المنطقة الثالثة فتوجد في قرية السبيل شمال كوم امبو بكيلو مترين بمحافظة

---

(1) ... Gardiner, E.W., the Prehistoric of ... in Geographical Journal, lxxx, ...

اسوان .

ومن أهم هذه المناطق ، موقع قرية السبيل ، التى عثر فيها على اعداد ضخمة من الادوات القزمية ، كما امدنا هذا الموقع بالكثير من الادوات الحجرية التى تقدم تتابعا لتطورها من الحضارة الموستيرية الى القزمية (شكل ٢) وكشفت الحفريات التى اجريت بهذا الموقع عن وجود بقايا عظمية لحيوانات من آكلة العشب ، وكبار الكواسر ، والقواضم الصغيرة هذا فضلا عن ناب سفلى لفرس النهر ، والكثير من سفا السمك ، كما عثر على قطعة من مرجان ابيض ، وربما أتت من البحر الاحمر ، وبالتالى فقد يشير ذلك الى صلات مبكرة بين سكان الوادى وساحل البحر الاحمر .

ويتجه بعض الباحثين الى الاعتقاد بوجود صلة مابين الاثار المكتشفة فى موقع داره الدير البحرى فى طيبة الغربية والصناعات السبيلية ، ويعتقدون أن موقع داره الدير البحرى كان بمثابة ورشة لصناعات الصعيد (١) . (شكل ٣) .

---

(١) محمد بيومى مهران : مصر والشرق الادنى القديم ، جـ١ ، الاسكندرية ، ١٩٨٨ ، ص٢٠٦ .

ثانيا : العصر الحجرى الوســـيط

يمثل العصر الحجرى الوسيط مرحلة الانتقال من العصر الحجـــرى القديم الى العصر الحجرى الحديث ، وتضمنت الادوات التى استخدمها الانسان فيه ، الادوات الحجرية ، ورؤوس السهام ونحوها من ادوات العصر الحجرى القديم الاعلى ، وذلك بالاضافة الى المناجل والاجران التى تمثل عنصرا حضاريا جديدا يقترب بالانسان من مرحلة انتاج الطعام والاستقرار اكثر من انتمائه الى مرحلة الجمع والالتقاط . وبدأ الانســـان خلال هذه المرحلة من حياته يتجه نحو تزيين نفسه وتجميلها ، فأخذ يتحلى ببعض ادوات الزينة .

ويتجه بعض الباحثين الى ان الادوات الخاصة بالعصر الحجـــرى الوسيط قد وجدت فى العديد من المناطق فى مصر ، ومنها منطقة وادى الشيخ شرقى مغاغة بمحافظة المنيا حيث عثر على بعض الادوات المصنوعة من الطران والتى نسبت من حيث طراز صنعتها الى هذه المرحلة .

ويرى بعض العلماء ان موقع حلوان ينتمى الى العصر الحجـــرى الوسيط ، ويعتمدون فى ذلك على حقيقة العثور على عدد من رؤوس السهام فيه ، الا انهم يتجهون الى القول بأنها ربما قد وصلت الى مصر مـــن فلسطين عن طريق الحضارة الناطوفية ، وان ذلك قد بدأ منذ نهايـــة الالف الثامنة قبل الميلاد . ولا يأخذ بهذا الراى الكثير من العلماء ، حيث

يرى البعض أن حضارة حلوان أقدم من الحضارة الناطوفية ، وان انتشار الصناعة انما كان من حلوان الى فلسطين ، وليس من فلسطين الى حلوان (١) (شكل ٤) .

على أن هناك من الباحثين من يذهب الى عدم وجود عصر متوسط في مصر ، على اساس أن صناعاته انما هى امتداد للصناعات القزمية ، بل ان هناك من يرى فى ادوات وادى الشيخ انها تنتمى لاخريات عصر ماقبل الاسرات ، وربما من اوائل عصر الاسرات نفسها ، كما ان هناك من يرى ان اواخر الحضارة السبيلية يمكن أن تسلك فى العصر الحجرى المتوسط وان الروابط التى تصل العصر الحجرى الوسيط بما قبلها غير واضحة تماما .

---

(١) مصطفى عامر : "حضارة عصر ماقبل التاريخ " فى مجلد تاريخ الحضارة المصرية ، المجلد الاول ، ص ٥٠ .

ثالثا : العصر الحجرى الحديث

تعتبر مرحلة العصر الحجرى الحديث من أهم المراحل فى حياة الانسان حيث حدث الانتقال الى مرحلة انتاج الطعام ، وبدأ الانسان فى تكوين تقاليد صناعية جديدة تتصل بحياته الزراعية ، وادى توصله الى الزراعة الى الاستقرار وظهور المجتمع القروى مما ادى الى نشأة نوع جديد من تفكير الانسان وسلوكه فى مختلف مظاهر حياته .

وتتباين اراء الباحثين حول بداية العصر الحجرى الحديث وسماته فهناك من يقترح انه قد بدأ فى الالف العاشر أو الثامن ق.م ، بينما يرى رأى ثان انه كان حوالى ٦٥٠٠ ق.م ، بينما يرى رأى ثالث انه كان حوالى ٥٠٠٠ ق.م ، ويرى رأى رابع انه بدأ فى النصف الاول من الالف الخامس ق.م ، بينما يرى رأى خامس انه كان فى النصف الثانى من الالف الخامس ق.م .

وتعددت حضارات العصر الحجرى الحديث فى مصر ، واختلفت آراء الباحثين حول ترتيبها وذلك من الناحية الزمنية ، فهناك من يرتبها على اساس ان اقدمها حضارة الفيوم أ ، وان احدثها حضارة دير تاسا ، وذلك على اساس الدراسة المقارنة للادلة الاثرية ، الا ان هذا الترتيب ليس ثابتا ، وسنقوم فيما يلى بدراسة لحضارات العصر الحجرى فى مصر وهى الفيوم أ ومرمدة بنى سلامة وحلوان العمرى ودير تاسا . ونبدأ الدراسة

بحضارة الفيوم أ ٠

١ ـ الفيوم أ :

يقع منخفض الفيوم الى جنوب غرب القاهرة بحوالى مائة كيلو متر على الجانب الايسر للنيل ، وتمثل بركة قارون الحالية البقية الباقية من البحيرة القديمة التى اطلق عليها المصريون "تاحنت ـ ان مرور" وسماها اليونان "بحيرة موريس" ، وهى تنحدر انحدارا عاما نحو الشمال ، ويحيط بها سياج من الحوائط والهضاب المرتفعة فى معظم جهاتها ٠ وهو يجمع بين خصائص المنخفضات الصحراوية وخصائص الوادى والدلتا ٠

وتشير الابحاث الاثرية الى ان الموقع الذى ينسب الى العصر الحجرى الحديث فيما يسمى "بالفيوم أ" انما يدل على فترة استقرار طويل ، وكان اختيار انسان "الفيوم أ" لمكان استقراره اختيارا موفقا يشير الى حسن درايته بتأثير الرياح واتجاهاتها والعوامل الجويةالاخرى ومن ثم فقد اختار مواقع تحتمى من الرياح بالصخور التى تحيط بالشاطىء الشمالى للبحيرة ، فضلا عن قربها من الخلجان والتعاريج الساحلية حيث صيد الاسماك ، كما أنها لم تكن بعيدة عن المناطق التى تكونت بسبب انحسار البحيرة ، فقاموا بزراعتها (١) ٠

(1) Caton -Thompson ,G., Gardiner, E.W., o p, Cit., P.89.

وتوجد العديد من الاكوام الاثرية في موقع الفيوم أ لعل من اهمها "كوم و" "كوم ك" و "كوم م" ، وكشفت الحفائر التي اجريت في هذه الاكوام عن وجود قريتين تدلان على الاستقرار ومرحلة الزراعة ، حيث كشفت عن ادوات كثيرة ، منها المواقد واواني الطهي ، وبقايا فقرات عظام الاسماك والحيوانات ، كما عثر على رحى الحبوب وادوات الزراعة والصيد كالفؤوس التي كان اغلبها من الظران ، كما كشف عن رؤوس سهام من الظران لها قاعدة مقعرة وحوافها محدبة واحيانا مستقيمة ، وكان بعض هذه السهام مستطيلا وله قاعدة مستقيمة أو محدبة قليلا . (شكل ٥) .

وصنع انسان الفيوم أ أوانيه الفخارية بواسطة الايدى ، وكان خشن الصنع وقد خلط بالتبن ، ويمكن تمييز ثلاثة انواع لفخار الفيوم أ : فخار احمر مصقول ، واسود مصقول ، والثالث ملس باليد ، ويلاحظ أنها خالية من الايادى والاعناق أو الحافات البارزة ، وهى ذات حافات مستقيمة من غير نتوءات ، وكانت قواعدها مكورة ، وهى ترتكز على قواعد ، وقد برع أصحاب هذه الحضارة في صناعة الاسبتة والسلال ، وكانت تصنع عن طريق جدل سيقان النبات ، وقد استخدموا السلال بكثرة في تبطين مخازن الحبوب المطمورة في باطن الارض (شكل ٦) كما عرفوا النسيج ، فقد عثر على فلكات المغازل وقطعة قماش من الكتان .

واوضحت الحفائر وجود ٢٤٨ حفرة استخدمت في طهى الطعام ، فضلا عن مخازن خاصة واخرى جماعية لخزن القمح والشعير ، وقد وجدت

هذه المخازن بعيدا عن منطقة المساكن وفوق ربوة عالية ، ويشير ذلك - فيما يرى الاستاذ الدكتور رشيد الناضورى - الى بعض مظاهر التفكير الجماعى (١) ٠

وعثر فى موقع الفيوم أ على بعض ادوات الزينة مثل الاقراط المصنوعة من بيض النعام ، وعقود من الحجر الجيرى وغيرها من الاحجار ، واستخدموا الاصداف كذلك فى ادوات زينتهم ، كما صنعوا الاساور والدلايات ٠

وبجانب توصل انسان الفيوم أ الى معرفة الزراعة ، فقد ظل يمارس حرفة الصيد سواء صيد الاسماك من البحيرة أو صيد الحيوانات المتوحشة المحلية كفرس النهر والخنزير البرى والتيتل وغيرها ٠

---

(١) رشيد الناضورى : المدخل فى التحليل الموضوعى المقارن للتاريخ الحضارى والسياسى فى جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا ، الكتاب الاول ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص١٢٣٠

٢- مرمدة بنى سلامة :

تقع مرمدة بنى سلامة على مبعدة ٥١ كيلو متر شمال غرب القاهرة على الحافة الغربية للدلتا ، وتشير الحفائر التى اجريت فى هذا الموقع انه كان يضم قرية كبيرة الحجم نسبيا بالنسبة الى مواقع هذا العصر ، ويمكن تمييز ثلاثة مستويات تشير الى فترة استيطان طويل تندرج مخلفاتها الاثرية تحت حضارة العصر الحجرى الحديث .

وكانت المساكن عبارة عن اكواخ مغطاة بطبقة من الطين أو الجبس ودعمت الارضيات برديم مكون من طبقات مختلفة ، ثم تطورت فاصبحت اساساتها تصنع من الطوب اللبن أو الصخور الخشنة ، وعثر فى بقايا هذه المنازل على مواقد وبقايا عظيمة .

وتكونت قرية مرمدة بنى سلامة من صفين شبه مستقيمين يفصل بينهما طريق ضيق ، وذلك هو اقدم تخطيط عرف للقرية المصرية حتى الان ،كما انه من ناحية اخرى دليل على نشأة نوع من التنظيم الاجتماعى ، ووجود سلطة فى القرية (١) وخزنت الحبوب فى صوامع مصنوعة من السلال المغطاة بالطين وذلك بالقرب منهم .

---

(١) عبد العزيز صالح :المرجع السابق ، ص٣٧ - ٣٨ .

وصنع انسان مرمدة بنى سلامة اوانيه الفخارية باليد ، وكان غير مصقول وغير مزين ومن المظاهر الجديدة فى هذه الحضارة العثور على تماثيل طينية صغيرة ، وكشف عن اوانى حجرية مصنوعة من حجر البازلت (شكل ٧) .

وعثر على بعض ادوات الزينة وان كانت قليلة فى عددها ، وهى تتكون من عقود مصنوعة من العظم والاصداف ، واستعمل النساء الكحل المصنوع من التوتية الخضراء .

ولقد دفن أهل مرمدة بنى سلامة موتاهم بين منازل الاحياء ، أو فى داخلها ، ودفن الموت على الجانب الايمن ، ووضع بجانب الموتى بعض الحبوب وذلك بالقرب من افواههم وربما كان ذلك لاعتقادهم بأن دفنهم بين المساكن يغنيهم عن تقديم القرابين ، ويهيىء لارواحهم ان تشارك الاحياء فيما يأكلون ويشربون .

٣ـ حلوان العمـــرى :

تقع قرية حلوان العمرى (١) عند قاعدة بروز صخرى فى حافة الهضبـة يسمى رأس الحوف على مبعدة ثلاثة كيلو مترات شمال ضاحية حلوان وعنـد نهاية سكة حديد المحاجر ، وهى تقع الى الشرق من النيل بحوالـــى سبعة كيلو مترات ونصف ، ويرتقع مستواها عن مستوى السيول ، وتجـدر الاشارة الى انها قد اتخذت تسمية حضارة حلوان العمرى نسبة الـــى مكتشفها أو على الاقل من دلل عليها وهو امين العمرى وكان ذلك فـى عام ١٩٢٣م.

ويتكون موقع حضارة حلوان العمرى بين جبانتين وقرية ، وكانـــت مساكن القرية ذات نوعين ، النوع الاول : منازل تعتمد على أعمدة خشبية فى شكل بيضاوى ومبنية على سطح الارض ، والنوع الاخر له اساس محفـور فى الارض واتخذت مبانية الشكل الدائرى ، ولم يتبق من النوع الاول غيـر اثار البناء المحفور فى الارض ، وكانت اعماقها على مستويات مختلفـــة ، وكسيت جدران المنازل بالحصير الذى كان يتم تثبيته بطبقة من الصلصال. وقد عثر داخل منطقة المساكن على كثير من المواقد والبقايا الفخاريـــة

---

(1) Debono, F., La civilistion pre dynastique of El Omari, BIE, 1956, PP. 329-338 .

والمراحى والحصير والابر العظيمة والقلائد وغيرها ٠

وقد عثر فى موقع حضارة حلوان العمرى على العديد من المصنوعات الحجرية ، ولعل من اشهرها المعول الذى صنع من الحجر الجيرى الصوانى ، وقد استخدم هذا المعول فى حفر اساسات المنازل ، وبالاضافة الى المعول فقد صنع العديد من الادوات الحجرية الاخرى مثل المناجل ورؤوس السهام والبلط والرحى ٠

وفيما يتصل بالصناعات الفخارية ، فهو يشبه فخار مرمدة بنى سلامة فى انه من لون واحد اسود ، وانه غير مزين ، ومصنوع باليد ، ومحروق بدون عناية ، وتمكن أهل حضارة حلوان العمرى من صناعة المخارز والمثاقب من العظام ، كما عرفوا النسيج واستخدموا الجلد ، ويستدل من هذه الصناعات انه على الرغم من تشابه حضارته مع حضارة مجتمع مرمدة بنى سلامة الا انها تبين تطورا ملحوظا على نطاق اوسع نسبيا ٠ (شكل ٨)

وصنع الانسان فى حضارة حلوان العمرى العديد من ادوات الزينة ، فصنع العقود والقلائد من محار اللؤلؤ المجلوبة من ساحل البحر الاحمر بعد ثقبها أو نحتها ، وكذلك من قشور بيض النعام ومن فقارات السمك ، ومن الاصداف ومن احجار مختلفة ٠

- وكانت مقابر مجتمع حلوان العمرى توجد فى القرية نفسها ، أو على

مقربة منها ، أو بعيدا عنها ، وقد دفن الموتى على الجانب الايسر والوجه نحو الغرب والرأس نحو الجنوب ، وغطى الجسد بالحصير أو القماش أو الجلد وقد نظمت بعض المقابر فى صفوف منتظمة كما غطى بعضها بواسطة كوم من الحجر ٠

وتوضح بعض الادلة الاثرية التى كشفت عنها فى مقابر حلوان العمرى عن وجود نوع من التظيم السياسى فى هذا المجتمع المبكر ، اذ عثر على جثة متوفى وبجوار يده صولجان يرمز للرئاسة ، ويعبر ذلك عن حقيقة وجود رئيس وبالتالى مرؤوسين أو حاكم ومحكومين ، ومما قد يؤيد هذا الاتجاه وجود مقابر كبيرة الحجم واخرى صغيرة (١) ٠

---

(١) رشيد الناضورى : المرجع السابق ، ص١٢٦ ٠

٤- دير تاسا :

يمثل موقع دير تاسا مصر العليا في مرحلة العصر الحجرى الحديث وهو يقع على الضفة الشرقية للنيل الى الشمال من مدينة البدارى بمحافظة اسيوط ، واوضحت الكشوف الاثرية ان هذه المنطقة قد عمرت منذ العصر الحجرى الحديث واستمرت كذلك بدرجات متفاوتة حتى العصر المسيحى .

وتعددت نماذج فخار دير تاسا والوانه ، فكان منها الاسمر والرمادى المسود والاحمر والاسود المزين بزينة بيضاء ، وقد زينت بعض الاوانى بزينات هندسية على هيئة المثلثات والمستطيلات والخطوط المموجة ، ويتميز بانتاج اوانى فخارية على شكل الناقوس(شكل ٩) .

وكان حجر الظران من اكثر الاحجار استخداما ، وبجواره الاحجار الجيرية ، وقد صنع من هذه الاحجار البلط والسكاكين والمثاقب والمخارز ورؤوس السهام والرحى ، واستخدام العظام والعاج والاصداف في صنع الكثير من ادواته كالشصوص ، كما صنع الاسبتة ونسج القماش من الكتان واستخدام الجلود في صناعة ملابسه .

وفيما يتصل بادوات الزينة ، فقد تكونت من بعض الحلى الصغيرة ، مثل العقود والاساور كما تزين القوم كذلك بوضع ريش في رؤوسهم .

وتوصل انسان حضارة ديرتاسا الى معرفة الزراعة ، ويؤيد ذلك حقيقة العثور على الادلة الاثرية الخاصة بالانتاج الزراعى مثل الاجران ومراحى الحبوب وذلك فضلا عن وجود مخزنين للقمح .

وتوجد مقابر التاسيين مختلطة بمقابر اهل البدارى ، مما دعا بعض الباحثين الى الاعتقاد بأنهم اقرباء لهم ، وكانت المقابر مستطيلة الشكل ، وكان الميت يوضع داخل سلة مصنوعة من الاغصان ، وكانت تغطى بالحصير ، وكان الجسم يلف بواسطة الجلود ، أو القماش ووضعت تحت الرأس وسادة من القش أو النخالة أو الجلد .

ومن الامور الجديرة بالاعتبار فى مقابر التاسيين انه قد عثر فى المقبرة رقم ٢٨٤٢ على فجوة فى الجزء الغربى منها ، وتسع تلك الفجوة آنية فخارية ويمكن القول ان تلك الفجوة ربما تعتبر تمهيدا معماريا لما ظهر فى العصر التاريخى فى مصر الفرعونية من وجود مخازن متصلة بحجرة الدفن لخزن مايحتاجه المتوفى فى العالم الاخر . ولقد كانت المقابر مستقلة عن منازل الاحياء ، ويوضح ذلك تفوق مجتمع ديرتاسا على مجتمع مرمدة بنى سلامة فى هذه الناحية .

ويتضح من ذلك ان المجتمعات الاربعة التى ترجع الى العصر الحجرى الحديث فى مصر وهى الفيوم أ ومرمدة بنى سلامة وحلوان العمرى

ودير تاسا قد توصلت جميعها الى معرفة الزراعة وانتاج الطعام وبنـــاء القرى والجبانات وصناعة الاواني الفخارية والحجرية وصناعة النسيج (١) ٠

ويتفق معظم الباحثين على ان حضارة الفيوم أ هي اقدم هــــذه المجتمعات ويليها حضارة مرمدة بني سلامة التي كانت اكثر تطورا منهـا ، ويليها حضارة حلوان العمرى التي تبين تطورا ملحوظا ، واخيرا فـــان حضارة ديرتاسا التي يعبر انتاجها الحضارى عن تقدم فن الحضـــارات الاخرى ، الا انه تجدر الاشارة الى ان هذا الترتيب ليس نهائـــي فربما تكشف الحفائر عن تأكيد أو تعديل أو اضافة لهذه الحضارات ٠

(1) Branton, G., Mostagedda and Tasian Culture, London, 1934, P. 26 FF .

رابعا : عصر الحجر والنحــاس

انتقل الانسان خلال هذا العصر مراحل كبيرة فى تقدمه الحضـارى بتوصله الى معرفة المعدن (النحاس) واستخدامه فى العديد مــن صناعاته ، كما شهدت هذه المرحلة كذلك تقدما فى الصناعات الفخاريـة والحجرية والعظمية ، والمواقع المميزة لهذه الحضارة فى مصر هما موقعـى حضارة البدارى ، وحضارة الفيوم ب ٠

١ ـ البــــدارى :

تقع البدارى على الضفة الشرقية للنيل فيما بين ابوتيج وطما بمحافظة اسيوط، وتوضح الادلة الاثرية ان البداريين قد عاشوا فى قرى منتظمـة ، وانهم عملوا بالزراعة واستئناس الحيوان وذلك بجانب الصيد ، وتمتـــاز حضارتهم باستخدام الفأس النحاسية والسهام والقش وعصا الرماية ودبابيس القتال ذات الرؤوس التى على شكل القرص ٠

ويلاحظ ان مقابر حضارة البدارى شخصية وليست عائلية ٠ كما يوجد فيها مكان اقتصر الدفن فيه على الرجال والاطفال دون النساء ، ويـرى بعض الباحثين انه فى الجبانات قد دفن الرجال فى الجهة الغربية ، بينما دفنت النساء فى الناحية الشرقية ، بينما لم تنفصل مقابر الرجال عن النساء فى مقابر اخرى ٠ وتوجد المقابر الى الشرق قليلا من المنطقة السكنية ٠

ودفن الموتى على هيئة القرفصاء فى مقابر مستطيلة أو مستديرة ، ووضع الموتى فوق لوحة بسيطة ووضع تحت رؤوسهم وسائد ، وكانت وجهوهم ناحية الغرب ، وزودت المقابر ببعض القرابين ، اذ كشف فى احدى المقابر عن بقايا خشبية ربما كانت تتصل بتخزين مايحتاج اليه الميت ويشير ذلك الى ايمانهم باستمرار الحياة فى العالم الاخر . .

وعثر فى بعض المقابر على تماثيل لبعض الحيوانات ، كما عثر على دفنات لبعض الحيوانات الامر الذى قد يتصل اتصالا وثيقا بربط تفكير الانسان بالبيئة الحيوانية والنباتية والكونية واعتقاده بان ظواهرها المختلفة تمر بنفس المراحل التى يمر بها الانسان ، وهى دورة الحياة والموت والخلود . ويرى بعض الباحثين ان دفن البداريين لحيواناتهم انما يشير الى الرغبة فى التعبير عن اهميتها لديهم واعتزازهم بها وغلو قيمتها عندهم ، وربما عن املهم فى أن ينتفعوا بها فى عالم الاخرة على نحو يناسب الحياة فيه . ووضعوا فى مقابر كذلك تماثيل للنساء والطيور (شكل ١٠) .

ويتميز فخار البدارى باتقانه وجمال زخارفه ، وصلابة مادته ورقة جدران اوانيه ، رغم انه مصنوع باليد ، وهو من اللون البنى والاحمر وبه تموجات ويوجد به سواء عند الحافة من الداخل ، وكان اكثر الاوانى شيوعا هى الاوانى المفلطحة ، وكانت الاوانى ذات المقابض نادرة الوجود .

وتشير الادلة الاثرية التى كشف عنها الى معرفة اهل البدارى لنسيج الكتان وكذلك دبغ الجلود ، وتعددت ادوات زينتهم التى تزين بها الرجال والنساء على السواء فتزينوا بالاساور والعقود والقلائد والخواتم التى صنعوها من الاصداف والخرز والعاج والعظم ، ولقد كشف عن بعض الملاعق المصنوعة من العاج وقد زينت باشكال حيوانية وحلزونية .

ومن الامور المعبرة التى كشف عنها فى مقابر البدارى الكشف عن سبعة تماثيل نسائية صغيرة الحجم ، صنع اربعة منها من الطين ، واثنان من الفخار والسابع مصنوع من العاج ، وبلغ بعض هذه التماثيل درجة كبيرة من الاتقان ويعد توصل انسان البدارى لنحت تماثيله من العاج فتحا جديدا فى النحت فى مصر ، وكانت له آثار بالغة فى صناعة التماثيل فيما بعد ، ذلك ان العاج انما يتميز بتماسك جزئياته وصلاحيته للنحت وامكان اجادة صقله ، ويرضى مطالب ذوى المكانة واليسار ، كما أن ترصيع العينيين بمادة اخرى كما فعل انسان البدارى يعد اصلا لتلك البراعة الممتازة فى صناعة العيون المرصعة فى تماثيل الدولة القديمة(١) . (شكل ١١) .

---

(1) Brunton, G., and Caton-Thonpson, G., The Badarian Civilization and Predynastic Remains Near Badari, London, 1928 .

٢ـ الفيوم (ب) :

كشف عن هذه الحضارة كل من كاتون طمسون ومس جارد نر ، وقد كشف في مواقع هذه الحضارة على اسلحة قزمية صغيرة ومخارز ورؤوس سهام غير متقنة فى صناعتها ، ويلاحظ انه لم يعثر فى هذه المواقع على مخازن الحبوب ، كما لم يعثر فيها على اوانى فخارية ، وقد كشف فيها عن موقد واحد ، وقد ارخت هذه الحضارة فى الفترة من ٤٥٠٠ ــ ٤٢٠٠ق٠م

وتعددت اراء الباحثين حول اسباب تدهور حضارة الفيوم (ب) فرأى البعض ان سكان الفيوم كانوا يعتمدون على الزراعة ، وان التربة الزراعية عندما انهكت لم يحاول القوم تجديد خصوبتها ، ومن ثم فقد تدهورت حضارتهم وهاجر كثير من السكان الى الوادى ، ويرى البعض الاخر ان السبب فى هذا التدهور يرجع الى وصول هجرة من اصحاب الحضارة القفصية الذين كانوا لا يزالون يعيشون فى صحراء شمال افريقية مستخدمين ادواتهم القزمية التى عرفوها منذ العصر الحجرى القديم الاعلى ٠ ويلقى الرأى الاخير الكثير من المعارضة على اساس ان ادوات حضارة الفيوم (ب) القزمية تتشابه مع الادوات القزمية التى كشف عنها فى حلوان ووادى العنجيبة فى الشمال وادوات سيوة فى الشمال الغربى ورنان فى الجنوب(١) ٠

---
(1) Huzayin, S.A., The Place of Egypt in prehistory, MIE., Le Caire, 1944, P. 295 FF.

خامسا : عصر ماقبل الاســـرات

اصطلح العلماء على تسمية الفترة التى سبقت قيام الملكية المصريـة حوالى عام ٣٢٠٠ ق٠م باسم " عصر ماقبل الاسرات " على اساس انهـا فترة التمهيد لقيام الحضارة المصرية فى العصور الفرعونية ، وعرفت هـذه المرحلة استخدام النحاس والكتابة ، وتميزت بقيام المدن وزيـادة الاتصالات بالافكار المجاورة وظهور الوحدات الاقليمية ، وقيام الممالـك المحلية واختفاء نظام العشائر ٠

وتنقسم هذه المرحلة فى مصر تقسيما اقليميا الى منطقتين هما مصـر السفلى ومصر العليا ، ويتصل هذا التقسيم بالمقومات الحضارية المختلفة التى تعرض لها كل من الاقليمين بحكم الموقع الجغرافى ، فبينما كانـت مصر العليا محصورة لحد ما بوادى النيل الذى تحده الصحارى الشرقية والغربية والجنوبية مما ادى الى تطور حضارة مصر العليا تطورا محليـا مع وجود بعض المؤثرات الاجنبية المحدودة ، نرى ان منطقة مصر السفلى قد تأثرت بصورة واضحة بالمؤثرات الليبية فى الغرب ، وكذلك فلسطيـن وجزر شرقى البحر المتوسط (١) ٠

---

(١) رشيد الناضورى : المرجع السابق ، ص ١٨١ ـ ١٨٢ ٠

وتمثل حضارات الصعيد خلال هذه المرحلة كل من العمرة وجرزة ويمثل مصر السفلى حضارة حلوان الثانية والمعادى ، وسنتناول هذه الحضارات فيمايلى بشىء من التفصيل ،ونبدأ بحضارات مصر العليا :

١ـ حضارات مصر العليا :

من اولى حضارات الصعيد خلال عصر ماقبل الاسرات حضارة العمرة التى تقع جنوب شرقى ابيدوس بمركز البلينا محافظة سوهاج ، وقد تأثرت حضارة العمرة بحضارة نقادة التى سبقتها .

ويتميز فخار العمرة بكونه مزين بخطوط متقاطعة ، وهو أحمر مصقول وزينت بعض الاوانى بزينات حيوانية أو انسانية أو اشجار ، واستخدم انسان هذه الحضارة كذلك الاوانى الحجرية بكثرة ، وقد صنع هذه الاوانى من الجرانيت والبازلت والمرمر (شكل ١٣) .

وفيما يتصل بصناعة التماثيل ، فقد صنع انسان العمرة العديد من التماثيل للنساء والرجال ، وان كان اغلبها يمثل نساء ، وقد صنعت هذه التماثيل من الفخار والعاج (شكل ١٤) ويوجد نموذج من الطين يعبر عن تصميم المنازل خلال هذه المرحلة (شكل ١٥) .

وهناك من الباحثين من يفضل تسمية عصر هذه الحضارة بنقادة الاولى

على اساس سيادة نقادة الحضارية فى هذه المرحلة ، وعلى اساس أن المراكز الحضارية فى منطقة نقادة اكبر منها فى العمرة (١) .

ومن المواقع الاخرى لحضارات الصعيد فى عصر ماقبل الاسرات ، موقع جرزة شمال ميدوم بمركز العياط محافظة الجيزة ، وهى تعرف باسم حضارة نقادة الثانية

ويتميز فخار جرزة بلونه البرتقالى الذى يميل الى الصفرة وعليه رسوم واشكال باللون الاحمر ، تمثل اعلام المراكب ذوات الغرفتين ، ومايشبه سارية العلم أو اللواء وهو يمتاز كذلك بالاوانى ذات الايدى المموجة ، ولقد تقدمت خلال عصر حضارة جرزة الصناعات الحجرية ، وازداد استخدام معدن النحاس (شكل ١٥) .

ومن الامور الجديدة بالاهتمام فى حضارة جرزة ، الاهتمام برسم السفن وصنع نماذج للسفن من الفخار وسيقان الغاب والنباتات المجدولة مما يشير الى زيادة الحاجة اليها ، وكثرة استخدامها فى اغراض السفر فى النيل ، وهى تشير فى الوقت ذاته الى قيام صلات مع اماكن متعددة فى

(1) Randall; M.D., Mace, A.C., El-Amrah and Abydos, London, 1902.

هذا العصر المبكر (١) . وقد عثر فى مواقع هذه الحضارة على العديد من التماثيل التى تعبر عن الخصوبة (شكل ١٦) .

٢ ـ حضارات مصر السفلى :

يمثل هذا العصر فى مصر السفلى حضارات حلوان الثانية والمعادى وفيما يتصل بحضارة حلوان الثانية فهى تعتبر استمرارا لحضارة حلوان الاولى (حلوان العمرى) وهى تتميز باتساع نطاق القرية ، وتقدم صناعاتها الفخارية ، كما تتميز بتقدم صناعة السلال واستخدام اهلها العديد من ادوات الزينة وبخاصة الحلى التى صنعت من اصداف البحر الاحمر وقشر بيض النعام والاحجار نصف الكريمة (٢) . .

أما حضارة المعادى ، فتدل بقاياها الاثرية على ان المساكن قد تركزت حول وسط القرية ، وقد بنيت المنازل من اعواد البوص وقش التبن ، وكانت ابواب المنازل تتجه نحو الجنوب لحمايتها من الرياح الشمالية السائدة وعثر بداخلها على الاوانى الفخارية والحجرية والنحاسية

(1) Wainwight, G.A., The Labyrinth, Gerzeh, and Mashuneh, London, 1912

(٢) عبد المنعم ابو بكر : الموسوعة المصرية ، الجزء الاول ، ص٢٣ .

والعظمية والصدفية والخشبية .

ويمكن تمييز ثلاثة انواع من المساكن في المعادى ، الاول ذو شكل نصف دائرى والثاني قد حفر في الارض ، أو على الاقل يقع جزء كبير منه غائرا تحت مستوى سطح الارض ، وينزل اليه الانسان بواسطة درجات تسندها بعض الاحجار ، واما النوع الثالث فقد كان أكثرر تطورا من النوعين السابقين وقد اتخذ هيئة شبه مستطيلة .

ومن الامور المميزة لموقع المعادى وجود بعض مظاهر التفكير الجماعى والذى يتمثل في وجود مخازن كبيرة ومواقد كبيرة على إطراف القرية وذلك بجانب المخازن الصغيرة والمواقد الموجودة بالمنازل ، ويشير ذلك الى وجود نوع من التعاون بين السكان .

وتشير بعض الادلة الاثرية على اتصال مجتمع المعادى بجنوب فلسطين ومما قد يرجع ذلك ظهور بعض الاواني الفخارية الشائعة في فلسطين ، ووجود بعض قطع من "قار البحر الميت في مساكنهم " .

وفيما يتصل بدفن الموتى فقد دفن بعض الموتى داخل القرية ، وبعضهم الاخر في جبانة خارج القرية ، وقد دفن الاطفال في حفر

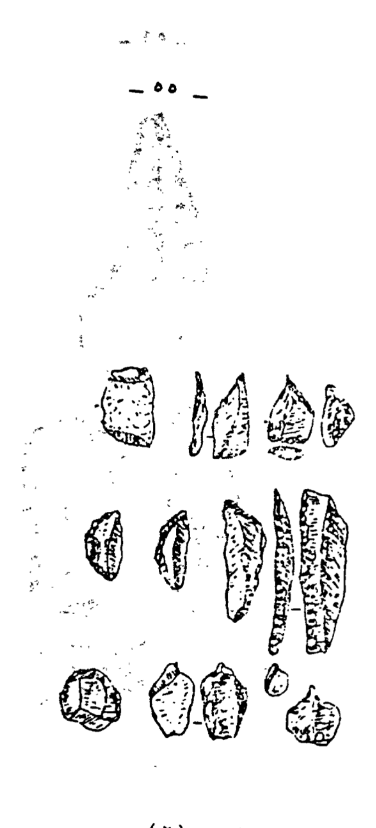
عميقة داخل المساكن أو بجوارها ، ووضعت احيانا في قدور داخـــــل البيوت ، وكانت رؤوس الموتى تتجه نحو الجنوب ووجوها نحو مغــــرب الشمس(١) .

(1) Menghin, O., El. Amer, M., The Excauations of the Egyptian uniuersity in the Neolithic site at Maadi(season, 1930 - 1931) Cairo, 1932,(season, 1932),- Cairo, 1936 .



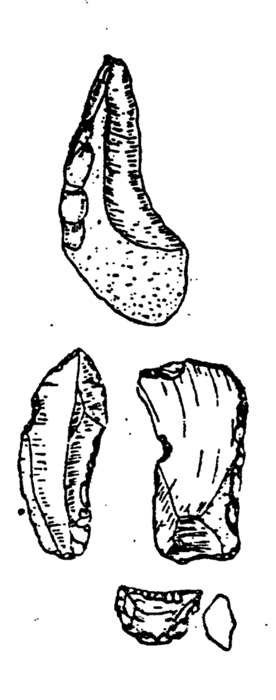
شكل رقم (١)

نماذج لقبضة اليد الاشولية



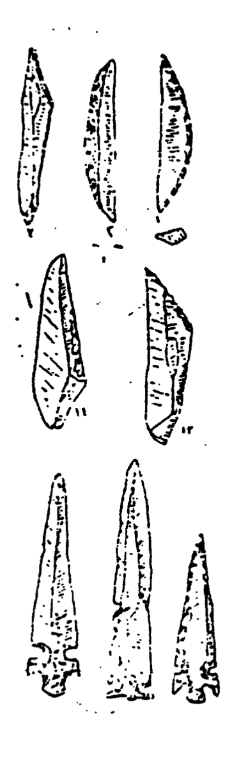
شكل رقم (٢)

الصناعات السبيلية



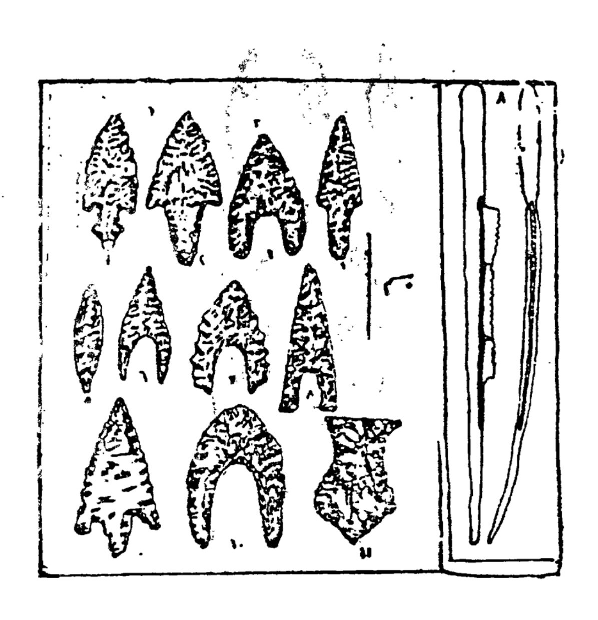
شكل رقم (٣)

ادوات موقع دوارة الدير البحرى



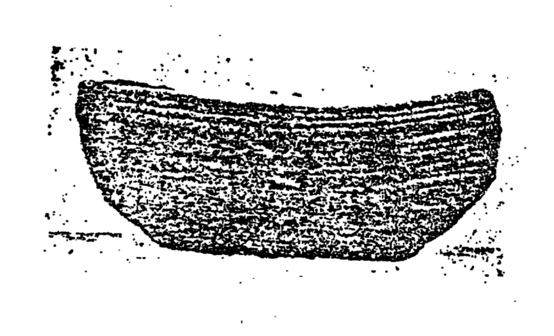
شكل رقم (٤)

صناعات حلوان الحجريـــــة

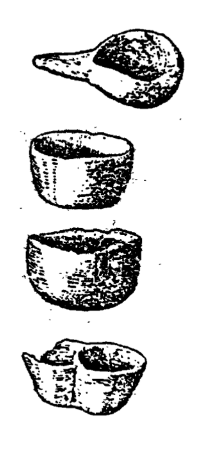


شكل رقم (٥)

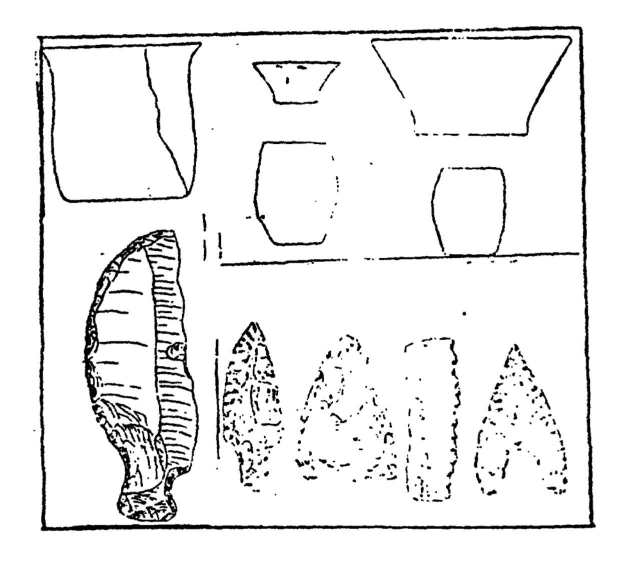
حضارة الفيوم (أ) نماذج من الادوات الحجرية ورؤوس السهام



شكل رقم (٦)
سبت من حضارة الفيوم أ



شكل رقم (٧) أوانى فخارية
متعددة الاشكال من مرمدة بنى سلامة



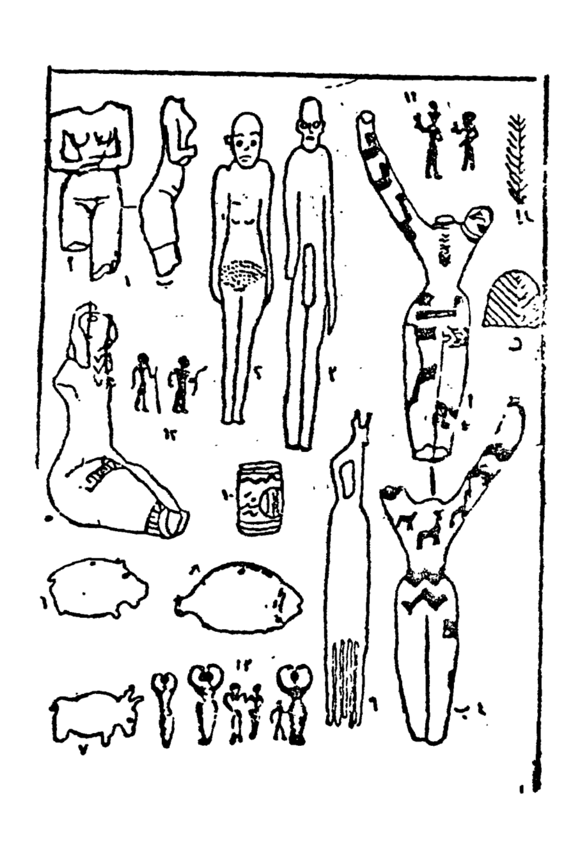
شكل رقـم (٨)

حضارة حلوان النيولينية



شكل رقم (٩)

نماذج من فخار تاسا



شكل رقـم (١٠)
حضارة البدارى



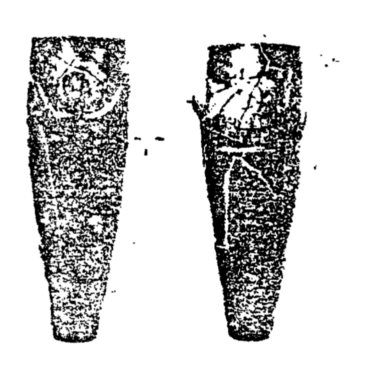
شكل رقم (١١)

تمثال لامرأة مصنوع من الفخار موقع البداري



شكل رقم (١٢)

تمثال لفرس النهر مصنوع من العاج





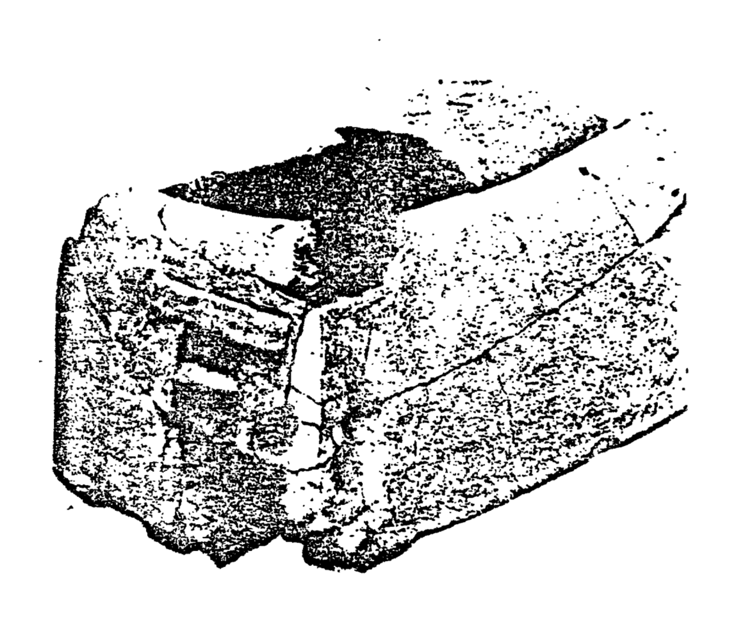
شكل رقم (١٣)

نماذج لبعض الاوانى الفخارية فى نقادة الاولى



شكل رقم (١٤)

تمثال لامرأة مصنوع من الفخار نقادة الاولى



شكل رقم (١٥)

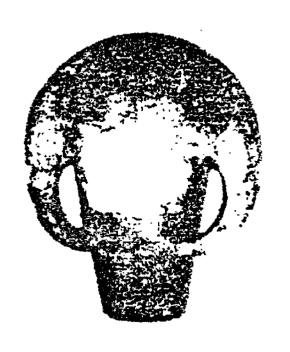
نموذج لتصميم المنازل فى العمرة





شكل رقم (١٦)

نماذج لبعض الاوانى الفخارية فى حضارة نقادة الثانية



شكل رقم (١٧)
تمثال يمثل الـهه الامومة من نفادة الثانية

الفصـل الثالـث

الخطوات الاولى في سبيل الوحدة

الخطوات الاولى فى سبيل الوحدة

عمرت ارض مصر بتجمعات سكانية صغيرة منذ عصور سحيقة فى القدم ترجع الى تلك العصور التى يطلق عليها العلماء عصور الجمع والالتقاط الصيد والتى كان يعتمد الانسان فى سد حاجياته الاقتصادية المتصلة بغذائه اثناءها على جمع الجذور والتقاط الثمار وصيد الحيوان وتجمعت هذه الجماعات فى قرى وزاد عددها منذ توصل الى معرفة الزراعة وما ترتب عليها من استقرار ٠

وازدادت الروابط الاسرية فى ظل المواطن الزراعية الجديدة حين شعر المزارع بحاجاته الى مجهود اولاده فى مهنته الجديدة بعد أن كانوا عبئا عليه فى مهنة الجمع والالتقاط والصيد القديمة ، وازدادت الروابط الاجتماعية بين الافراد نتيجة لتعدد الحرف وحاجة اصحاب كل حرفة الى الاستفادة من انتاج الحرف الاخرى ، وازدادت فرص الملكية أمام الافراد والاسر نتيجة لامكانية الاستحواذ على مساحات مناسبة من ارض الزراعة البكر وادخار مقادير مناسبة من محاصيلها وتربية اعداد مناسبة من حيوانات الانتاج والاستهلاك على خيراتها ، وازدادت الروابط المكانية بين كل جماعة وبين ارضها وبينها وبين جيرانها نتيجة لطول الاستقرار واتصال الجوار وتشابك الصالح ٠

ولم تكن مواطن الاستقرار الزراعية الاولى اكثر من قرى متواضعة متفرقة على مناطق الحواف ، لاندرى عن تصريف الامور فيها الا مادلت بعض

الادلة الاثرية التى تمكن الاثاريون وعلماء التاريخ من العصور عليها فى مناطق الاستقرار الاولى بمصر اثناء العصر الحجرى الحديث الذى يمكن تتبع اثاره فيه فى عدد من المواقع الاثرية مثل الفيوم ومرمدة بنى سلامة وحلوان العمرى ودير تاسا . وذلك كما سبقت الاشارة فى الفصل السابق

ولم تلبث طبيعة الحياة والمصلحة المشتركة ان خطت بالمصريين خطوة اكبر فنقلتهم من حياة القرية الى المدينة ، ثم الى حياة أوسع أفقا ، هى حياة الاقليم ، الذى تمثل فى امارة صغيرة ، يحكمها امير يقوم على رعاية شئونها وتدبير امورها ، لم يكن من نشأة القرى المصرية الاولى أن تستمر متفرقة عهودا طويلة ، وانما الرجح انه شجعها على التقارب من بعضها البعض وانضمام بعضها الى بعض ، المصالح المشتركة التى تفرضها الحياة الزراعية من الاستفادة بمياه الفيضاء ودرء خطره ، وكذلك الرغبة فى تبادل الموارد الاولية التى قد تتوفر فى منطقة دون اخرى ، فضلا عن تبادل المصنوعات التى قد تشتهر بها بلده اكثر من الاخريات وهناك كذلك الزواج والمصاهرة بين القرى المختلفة نتيجة لسهولة الاتصال بينها وعدم وجود طبقات أو عصبيات تمنع هذه الزيجات ، ومن هذه العوامل كذلك الرغبة فى التحالف والتكاتف لدرء خطر العدو القريب أو البعيد ، كذلك عوامل الرغبة فى بسط النفوذ التى تراود الجماعات القوية وتدفعها الى ضم الجماعات القريبة منها تحت زعامتها ثم هناك كذلك عوامل الاشتراك فى تقديس مظهر الهى معين يتضح اثره فى منطقة واسعة تشترك فى سكناها اكثر من جماعة واحدة .

وترتب على انضمام بعض القرى الى بعض ان نشأ عدد من الاقاليم ذات الحدود الاعتبارية والحدود الطبيعية ، وتهيأ للفريق الاقوى فى كل اقليم ان يجعل قريته الكبيرة حاضرة لاقليمه مادامت تتوفر لها الحصانة الطبيعية والمستويات المادية والكثرة العددية ، كما تهيأ له أن يحكم ويسود حاكميه ومعبوده على بقية الجماعات المشتركة معه فى نطاق اقليمه ، وهكذا اصبح لكل اقليم عاصمته ، واصبح له رمزه الذى يقوم عند اهله مقام اللواء والعلم ، وقد يكون هذا الرمز ذا صلة بصورة المعبود الاكبر فى الاقليم ، أو يتصل بالخصائص البيئية للاقليم ، أو يعبر عن المهنة أو الحرفة السائدة فى هذا الاقليم الى غير ذلك من الاعتقادات والصور . ومما هو جدير بالذكر ان ذكريات هذه الرموز ظلت باقية اثناء العصور التاريخية فى مصر الفرعونية واتضح ذلك فيما احتفظت به العصور التاريخية من شعارات الاقاليم ومسمياتها القديمة .

وقد قطعت تلك الاقاليم شوطا لا بأس به فى تنظيم قواعد التعاون بين الناس ، وتحديد حقوق الفرد وواجباته ، فخطت بذلك اولى الخطوات فى سبيل قيام حكومة أو سلطة مركزية ، بين القوانين وتنظيم العمل ، الا اننا لا يمكننا ان نعرف ماهى المنازعات السياسية التى حدثت فى مصر فى عصر ماقبل الاسرات ، فمن المؤكد انه كان بين تلك الوحدات الجغرافية الصغيرة ميل الى بسط النفوذ والسلطة على غيرها .

وما ان يمضى حين من الدهر حتى يتكرر بين الاقاليم ماحدث بين القرى فنما بعضها نموا حضاريا سليما ، عن طريق استصلاح اراضى زراعية جديدة وبالتوسع فى الانتاج والتبادل والتوسع فى الاتصالات والمحالفات ، ونما بعضها عن طريق القوة وبسط النفوذ على حساب غيره من جيرانه ، وادى ذلك كله الى نشأة بضعة اقاليم كبيرة تضم كل منها عدة اقاليم ، واعتبرت هذه الاقاليم الكبيرة بمثابة دويلات صغيرة فى ذلك الوقت ·

ويتجه البعض الى الاعتقاد بأن هذه الوحدات كانت فى حقيقة امرها وحدات هيدرولوجية أى تقوم على اساس تقسيم المياه أو الاعتماد على مياه النيل ، بينما يتجه آخرون الى الاعتقاد بان اساسها هو مخزن حبوب الدولة ويتجه صاحب هذا الرأى وهو الاثرى الانجليزى ولبم فلندرز بترى الى القول بأن عواصم هذه المقاطعات فى الدلتا انما كانت تتباعد عن بعضها البعض الاخر · بفاصل منتظم الى حد بعيد ، مقداره واحد وعشرين ميلا ، ويعتقد ان السبب فى ذلك يرجع الى صعوبة نقل الحبوب والغلال لمسافات ابعد فكان من الاقتصاد أن تتحد الوحدات السياسية بهذه الابعاد ·

وقام نهر النيل ، مصدر الحياة والخصب والنماء فى مصر ، بدور كبير فى توثيق التعاون بين هذه الاقاليم أو الدويلات الصغيرة ، فلقد ساعد على تضافر الجهود اتقاء لخطر الفيضان الداهم الذى يهدد الجميع ،

واملا فى الفائدة المشتركة التى يمكن ان ينالها القوم ، اذا مانظموا الافادة من مياة النهر ، وكان هذا العمل يتطلب جهودا جبارة من جانب الجماعة ، ويتطلب اشرافا دقيقا من هيئة عليا حاكمة ، وقد كان لذلك اكبر الاثر فى توجيه الانسان المصرى الاول الى توحيد الجهود ، وقيام التضامن التام بين افراده ، بل وقد فرض النظام والطاعة على الجميع ، مما استلزم آخر الامر قيام حكومة متحدة شملت مصر كلها حوالى عام ٤٢٤٢ قبل الميلاد اتخذت من مدينة اون (عين شمس الحالية شمال المطرية) عاصمة دينية وربما سياسية كذلك ، وهكذا كان توحيد البلاد فى ذلك العصر البعيد من عمل اهل الشمال ، الذين وصلوا فى ذلك الوقت الى درجة لابأس بها من الرقى والتقدم فى كثير من مرافق الحياة ، وان هذا الامر الخطير ، انما تم بعده عدة خطوات وعلى مراحل متعددة .

بدأت الخطوة الاولى بتجميع اغلب اقاليم الوجه البحرى فى مملكتين محليتين احداهما فى شرق الدلتا فى اقليم "عنجة" قرب سمنود الحالية ، وكانت عاصمة هذا الاقليم تسمى "عنجة" كذلك . وكان المعبود الاكبر فى هذا الاقليم يسمى "عنجتى" اما علم هذا الاقليم فكان الحربة ، وربما امتد هذا الاقليم جنوبا حتى عين شمس الحالية .

أما المملكة الاخرى فى الدلتا فقد قامت فى غربها ، وكانت عاصمتها توجد مكان دمنهور الحالية ، اما المعبود الاكبر لهذا الاقليم فقد كان المعبود حور الذى رمزت اليه بهيئة الصقر ، وكانت الويتها تحمل صورة

الصقر حور ويبدو محتملا ان هذه المملكة قد امتدت جنوبا حتى "اوسيم" الحالية على مبعدة حوالى ٣ كيلو شمال غرب القاهرة (١) .

وبعد ذلك اتحدت مملكتي الدلتا في مملكة واحدة ، اتخذت من ساو (سايس عند الاغريق ، صا ن الحجر الحالية مركز بسيون محافظة الغربية) عاصمة لها وكانت المعبودة الحامية لهذه المملكة هي المعبودة نيت ، وكان يرمز اليها بدرع وسهام متقاطعة وذلك اشارة الى طبيعتها كالهة للصيد والحرب ، ويشير الى ذلك احد القابها وهو "التي تمهد الطريق" الذى قد يعنى لها كانت تتقدم الملك الى المعارك الحربية . واطلق على معبدها "بيت النحلة" أما شعار هذه المملكة فقد كان على هيئة النحلة التي اطلق عليها المصريون بيت ، أما تاج هذه المملكة فقد كان التاج الاحمر .

وعاصر هذه الخطوة الاخيرة في الدلتا ، اجتماع شمل اكبر اقاليم الصعيد تحت زعامة مدينة نوبت ، (وهى طوخ الحالية محافظة قنا) وكان المعبود الاكبر لهم هو الاله "ست" ، وارتبطت كلا المملكتين ببعضهما بالروابط التجارية ، ويؤيد ذلك حقيقة العثور على ادوات تجمع بين خصائص حضارتيهما في نقاده .

---

(١) محمد بيومى مهران : مصر ، جـ١ ، الاسكندرية ١٩٨٨ ، ص ٣٠٦ .

وحدث بعد ذلك ان انتقلت عاصمة الوجه البحرى من مدينة ساو فى غرب الدلتا الى مدينة عنجة فى شرقها ، ثم اطلق على المدينة التسمية "جدو" واتخذوا من المعبود اوزير معبودا لهم ، واطلقوا عليه بعض القاب المعبود عنجتى وبعض صفاته ، ونسبت المدينة فيما بعد الى اوزير فأطلق عليها "بر اوزير" ثم حرفها الاغريق الى بوزيريس ، وهى حاليا ابو صيرينا جنوب غرب سمنود ..

وتمكنت الدلتا من فرض سلطانها على الصعيد بعض الوقت ، الا أن مملكة الجنوب تمكنت من الانتصار على الدلتا واضعفتها . ولكن تجدر الاشارة انه لم يعثر حتى الان على ادلة اثرية تؤيد هذا الفرض ، الذى لا يوجد سند له الا فيما جاء فى قصة أوزير مع اخيه ست(١) . ومهما كان الامر فقد حاولت الدلتا مرة اخرى توحيد البلاد ونجحت فى ذلك ، واتخذت فيما يرجع من مدينة اون عاصمة لهذه الدولة الموحدة التى نسب اليها بعض المؤرخين تقدما حضاريا كبيرا ، فنسبوا الى اهل الفكر فيها وضع التقويم الشمسى ، وبداية توزيع الشهور الاثنى عشر على اساسه ، كما نسبوا اليها كذلك الاهتمام برصد ارتفاعات فيضانات النيل ونسب الى فلاسفة المدينة كذلك الخروج باقدم مذهب دينى لتفسير نشأة الوجود .

---

(1) Breasted, J.H., The predynastic union of Egypt, in BIF AO. xxx, 1930, p. 7?? FF.

الا ان هذا الاتحاد الاول مازال المؤرخون مختلفين حول امكانية حدوثه فبينما نرى فريقا منهم يؤيده ، ويقرر انه أصبح حقيقة مؤكدة ، نرى فريقا آخر منهم يذهب الى ان مصر لم تعرف الاتحاد في عصر فجر التاريخ وان عقيدة الشمس التى رجع من قبل انها قد خرجت ابان هذه الفترة ، نراهم يرجعونها الى عصر الاسرة الثالثة .

ومهما كان الامر ، وسواء كان هناك اتحاد أم لم يكن ، فقد انقسمت البلاد مرة ثانية وعادت الى مملكتين ، مملكة في الشمال اتخذت من مدينة "پ" (التى اطلق عليها اليونان بوتو ، ويربط التل الاثرى الخاص بهذه المدينة حاليا شمال قرية ابطو بحوالى نصف كيلو متر شمال غرب مدينة دسوق ١٢ كيلو) عاصمة لها وكانت هذه المدينة تسمى من قبل باسم "جبعوت" واتخذ حكام هذه المملكة شارات مملكة غرب الدلتا القديمة ، فتتوجوا بالتاج الاحمر وانتسبوا الى رمزها المصور على هيئة النحلة ، واتخذت المملكة من نبات البردى شعارا لها . ومن المعبودة واجيت حامية لهم .

أما مملكة الجنوب ، فقد اتخذ حكامها من مدينة نخن (البصيلية مركز ادفو محافظة اسوان) عاصمة لهم . واتخذ حكام الجنوب من نبات السوت رمزا لهم ، أما شعار المملكة فقد كان زهرة اللوتس ، اما تاجهم فكان على هيئة القلنسوة وذا لون ابيض واتخذوا من المعبودة نخبت الهة حامية لهم .

وهكذا انقسمت مصر فى فجر التاريخ الى مملكتين متنافستين ،الواحدة فى الشمال والاخرى فى الجنوب ، يحكم كل منهما بيت ملكى ، وعرف كلاهما باسم "اتباع حور" و "انصاف الالهة" طبقا لما ورد فى تاريخ مانيتو وبدأ الصعيد هذه المرة يرنو بناظرية نحو الدلتا واخذ حكامه يحاولون ضمها أو ان حواف الدلتا ومصر الوسطى تعرضت حينذاك لهجرات وغزوات بدوية من الصحراوات المحيطة بها شرقا وغربا ، وماورائهما من الاراضى الاسوية أو الليبية وعجزت مملكة الدلتا عن صد هذه الهجمات وحدها ومن ثم فقد حاول ملوك المملكة الجنوبية استخلاص الاراضى التى انتزعت منها وتوحيد البلاد فى مملكة واحدة وهو الامر الذى سنناقشه اثناء دراستنا لسياسة مصر الداخلية اثناء عصر الاسرتين الاولى والثانية .

الفصـــــل الرابـــع

عصر الاسرتين الاولى والثانية

أولا : التسمية :

فيما يتعلق بتسمية العصر ، فقد اطلق المؤرخون على عصر الاسرتين الاولى والثانية الفرعونيتين اسماء عديدة منها : "عصر بداية الاسرات(١) " لكونه أول عصر حكمت مصر الموحدة خلاله اسرات حاكمة ترتبط ببعضها بصلة الدم . ويطلق عليه بعض العلماء اسم "العصر العتيق Archaic Period (٢) اذ به يبدأ التاريخ الفرعونى ،هذا الى انه يسبق عصر الدولة القديمة مباشرة . ويسمى ايضا العصر الثينى " نسبة الى مدينة ثنى Thinis (طيبة) (٣) وذلك اعتمادا على مارواه مانيتون منأن ملوك هذا العصر قد نشأوا فى مدينة ثنى (طينة) (٤)

ويرى الباحث ان يحتفظ بتسمية عصر هاتين الاسرتين باسم "عصر الاسرتين الاولى والثانية الفرعونيتين " وذلك لعدة اعتبارات منها :

---

(١) عبدالعزيز صالح : حضارة مصر القديمة واثارها ،ج١ ، القاهرة ، ١٩٦٢ ،ص٢٤٩ .

(٢) Emery, W.B., Archaic Egypt, Edinburgh, 1963 .

(٣) د ريوتون (ايتين) ، فانديه (جاك) : مصر ، تعريب عباس بيومى القاهرة ، ١٩٥٠ ،ص١٥٢ .

(٤) لم يثبت حتى الآن بشكل مؤكد ان ملوك عصر التأسيس كانوا من "ثنى" أو ان عاصمتهم كانت هناك ، او انهم دفنوا فى المقابر القريبة منها ، والتى عثر فيها على بعض آثارهم ،بل ان معظم وثائق عصر الوحدة قد وجدت فى هيراكونبوليس. انظر :
Quibell, J.E., Hierakonpolis, I, London , 1900.,
________., ________, II, London, 1902 .

ان عصر هاتين الاسرتين يعتبر مرحلة التكوين والتشكيل الحضارى والسياسى للتاريخ والحضارة الفرعونية زهاء ثلاثة آلاف سنة ، وتم خلال هذا العصر تدعيم الوحدة السياسية بين الشمال والجنوب(١) ،وتوطدت دعائم الامن والنظام فى ارجاء البلاد ، ووضعت تقاليد الملكية ، ونظمت الادارات . كما كان عصر هاتين الاسرتين فترة تدعيم للحضارة المصرية التى وضحت فى عصر الاسرتين الثالثة والرابعة واصبح لها طابعها الخاص الجديد المسمى "المصرى" (٢) .

ويدعو الدارس الى هذه التسمية كذلك ، أن هناك من العلماء من يضم عصر الاسرة الثالثة الى عصر هاتين الاسرتين ، على اعتبار أنها متممة لهذا العصر ، ويرى اصحاب هذا الرأى ان اصول الحضارة المصرية التى اكتملت ايام الاسرة الرابعة لم تكن قد وضحت تماما فى عهد الاسرة الثالثة (٣) . ولكن لا يلقى هذا الرأى قبولا من أغلب علماء المصريات الذين يتجهون الان الى وضعها فى بداية عصر الدولة القديمة (٤) . اذ

(١) رشيد الناضورى : جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا ، الكتاب الاول ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص٢٨٥ .

(٢) ويلسون (جون) : الحضارة المصرية ، ترجمة احمد فخرى ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص٩٤ .

(٣) مرى (مرجريت) : مجد مصر الغابر ، ترجمة نجيب ميخائيل ومحرم كمال ، القاهرة ، مجموعة الالف كتاب (١٠٠) ص٤١

وكذلك شورتر (ألن) : الحياة اليومية فى مصر القديمة ، ترجمة نجيب ميخائيل ابراهيم ، القاهرة ، مجموعة الالف كتاب (٤٩) ص١٣ .

(٤) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص١٣١ .

تنتمي مجموعة زوسر الجنازية الضخمة من الناحية المعمارية الى عصر بناة الاهرام ، ولا يمكن مقارنة هذه المجموعة الضخمة من المباني سواء من ناحية الحجم أو فخامة البناء والمواد المستخدمة فيه بمصاطب ملوك الاسرتين الاولى والثانية . وان كان يلاحظ ان مجموعة زوسر الجنازية تختلف في تكوينها عن المجموعات الجنازية فيما بعد ، اذ يوجد في الجهة الشمالية لهرم زوسر بقايا معبد ، يختلف في تخطيطه عن معابد الاهرام التي شيدت في العصور التالية (١) .

ويرى بعض العلماء ان وجود المعبد الجنازي في الشمال يرتبط باحدى العقائد المصرية التي ترى ان ارواح الملوك والابرار تستقر بين نجوم الشمال التي لا تغيب ، وهي مجموعة النجم القطبي (٢) ، وعلى هذا الاعتبار فان تمثال الملك الموجود في السرداب الكائن بجوار المعبد كان الغرض منه ان يكون مرشدا لروح الملك عندما تهبط من شمال السماء فتهتدي به ثم تتجه الى المعبد لتنعم بالقرابين والدعوات المقدسة فيه ثم تتجه بعد ذلك لزيارة جثة صاحبها (٣) .

---

(١) احمد فخري : الاهرامات المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٥٩ .

(٢) Frankfort, H., and others., Before Bhilosophy, (Pelioan Books), 1949, PP. 56-57 .

(٣) محمد انور شكري : العمارة في مصر القديمة ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٢٨٣ ، وكذلك :

عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٢٩ .

ويرى الدارس انه مما قد يدعم هذا الرأى من الناحية الاثرية حقيقة العثور على المراكب الجنازية التى عثر عليها لبعض ملوك عصر الاسرتين الاولى والثانية فى سقارة شمال المقبرة (١) ، ويلاحظ كذلك انه كان يحيط بمقبرة الملك قع بسقارة سور سميك كان يوجد بداخله معبد جنازى يقع شمال المقبرة (٢) ، وهو يتكون من مجموعة من الحجرات والدهاليز ويشبه المعابد الجنازية للاهرام ، ويمكن اعتبار هذا المبنى الذى يرجع تاريخه الى نهاية الاسرة الاولى بمثابة الطراز السابق لمبانى الاهرام وملحقاتها فى العصور التالية (٣) .

ثم حدث انتقال المعبد الجنازى نحو الشرق فى عهد الاسرة الثالثة نفسها ، وظهر ذلك فى المعبد الذى شيده حونى آخر ملوك الاسرة الثالثة الى الشرق من هرمه الذي شيده فى ميدوم (٤) .

وعلى ذلك فان الدارس يرى ان الادلة والقرائن الاثرية ترجح ضم عصر الاسرة الثالثة الى عصر الدولة القديمة ، وذلك نظرا للتقدم المعمارى

---

(١) Emery, W. B op. cit., I3I .

(٢) ______., Great Tombs, III, London, 1958, pp. 6, I0 .

(٣) ______., Archaic Egypt, pp. 88-90 .

(٤) احمد فخرى : المرجع السابق ، ص١٠٣ .

الهائل الذى تم فى عهد مؤسس هذه الاسرة ، بالاضافة الى ان التطــور العقيدى الذى ظهر فى الاتجاه نحو الشرق فى تشييد المجموعة الجنازيـة للاهرام فى عهد الاسرة الرابعة قد تم فى عصر هذه الاسرة نفسها .

كما ان هناك من العلماء من يرى ان عصر هاتين الاسرتين متمم لعصور ما قبل التاريخ وذلك نظرا لانه يعتبر من الناحية الحضارية متمم لعصـــور ماقبل التاريخ (١) الا انه يلاحظ ان النواحى الحضارية قد تقدمت تقدمـا ملموسا وملحوظا عما قبل وأخذت معظم المظاهر الحضارية قواعدها التـى اتبعت فيما بعد ، كما اتخذت الكتابة القديمة طابعها المعروف خــلال هذا العصر . وذلك بالاضافة الى ظهور المشاريع الكبيرة التى تبغـــى الرخاء والامن لسكان البلاد جميعا .

ويلاحظ كذلك انه قد تم فى بداية هذا العصر توحيد البلاد ، واذا كانت هذه الوحدة قد تعرضت لبعض المشاكل فانها كانت وقتية ولم تـــدم طويلا . ومما يدعو الى الدارس الى هذه التسمية كذلك ، ان الزعامـــة

---

(1) El-Nadoury, R., "The Origin of the Fortified Enclosures of the Early Egyptian Dyna stic period", In Publications of the Archaeological Society of Alexandria, 1968, p. II.

السياسية والدينية فى مصر العليا لم تقتصر على مدينة "ثنى" فى تلـــك المرحلة ، بل امتدت الى نخن ونقادة . اذ عثر على الكثير من الاثـــار التى ترجع الى عصر كل من الملك عقرب ونعرمر فى نخن . كما ان الاله حور قد اتخذها مركزا له بالاضافة الى ادفو بعد ذلك . وذلك بالاضافة الى انه كان لمدينة نقادة دورها الحاسم فى عصر ماقبل الاسرات الاخير فـى مصر (١) .

---

(١) رشيد الناضورى : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ ــ ٢١٠ .

ثانيا : التحديد الزمني :

فيما يتعلق بالتحديد الزمني لعصر الاسرتين الاولى والثانية فقد اختلفت آراء المؤرخين اختلافا بينا حول بداية ونهاية عصر الاسرتين الاولى والثانية ، والفترة التي استغرقها هذا العصر . ويمكن اجمال هذه الاراء — فيما يذكر عبدالعزيز صالح (١) — في ثلاثة آراء : الرأى الاول ، ويمكن تسمية اصحابه بأصحاب التاريخ بعيد المدى ، ويرى انصار هذا الرأى ان بداية العصر التاريخي سابقة لعام ٤٠٠٠ ق.م ، ومثل وليم فلندرز بترى الذى يرى ان بداية العصر التاريخي كانت حوالى عام ٥٥٤٦ ق.م (٢) — ومرجريت مرى التي ترى أن بداية العصر

---

(١) عبدالعزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٤٩ـ ٢٥٠

(٢) Petrie, W.M.F., A History of Egypt, Lonon, 1924, Vol I, p. 10.

ويلاحظ ان بترى قد ذكر ذلك في كتابه :
Petrie, W.M.F., The Making of Egypt, London, 1939, p.8.

ان بداية الاسرة الاولى ترجع الى عام ٤٣٢٦ق.م وذلك عند حديثه عن تسلسل الحضارات في مصر وتاريخها المتتابع بدءا بحضارة الفيوم ثم عاد وذكر في ص٠ ٨ من نفس الكتاب ان بداية الاسرة الاولى ترجع الى عام ٤٣٢٠ ق.م ، وذلك عند حديثه عن تأريخ الاسرات الفرعونية من الاسرة الاولى حتى الاسرة السادسة طبقا للوثائق المصرية .

التاريخى ترجع الى سنة ٤٢٧٧ق٠م (١) ٠

أما اصحاب الرأى الثانى والذين يمكن تسميتهم بأصحاب التأريخ الوسط فيضعون بداية العصر التاريخى فى الفترة الواقعة ما بين عام ٣٥٠٠ - ٣٠٠٠ق٠م ٠ فيجعل هول Hall بداية هذا العصر حوالى عام ٣٥٠٠ قم (٢) ٠ اما ويجل Weigall فقد جعل بداية العصر التاريخى حوالى عام ٣٤٠٧ق٠م (٣) ، اما جيمس هنرى برستد فقد جعل بداية العصر التاريخى حوالى عام ٣٤٠٠ ق٠م (٤) ٠ وجعل Hayes بداية هذا العصر حوالى عام ٣٢٠٠ق٠م (٥) ، واتفق معه امرى (٦) ٠

---

(١) مرى (مرجريت) : المرجع السابق ، ص ٤١ ٠

(٢) Hall.H.R., "The Union of Egypt and the old kingdom", in cambridge Ancient History, vol.I,1942, p.267.

(٣) Weigall. A . Histoire De L'Egypte Ancienne, Paris,1949, p.25.

(٤) Breasted, J.H. A History of Egypt, U.S.A., 1959, p.21

(٥) Hayes, W.C.. The Scepter of Egypt, part I: From the Earliest Times to the Middle kingdom, New York,1968, p. 34 .

(٦) وضع ايمرى فترة توحيد البلاد فيما بين عامى ٣٤٠٠-٣٢٠٠ ق٠م واعتمد فى ذلك على وجود الاختام الاسطوانية العراقية الاصل فى مصر : Emery, W.B., op. cit., p. 30 .

اما فانديبيه ود ريوتون فقد جعلا بداية هذا العصر حوالى عـــــام ٣١٩٧ ق٠م (١) ٠ وجعله جون ويلسون حوالى عام ٣١٠٠ق ٠ م (٢) ، وكذلك هنرى فرانكفورات (٣) ، واحمد فخرى (٤) ، ورشيد الناضورى (٥) ٠

---

(١) د ريوتون (ايتين) ، فانديبيه (جاك) : المرجع السابق ، ص٢٨٥

(٢) Wilson, J.A., The culture of Ancient Egypt, Chicago, 1960, p. 43.

(٣) Frankfort, H;, The Birth of Civilization in the Near East, London, 1951, p. II2.

(٤) احمد فخرى : "الاتجاهات الحديثة فى المباحث التاريخية والاثرية الخاصة بالشرق القديم" ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلـــد الثالث ، العدد الثانى ، اكتوبر سنة ١٩٥٠ ، ص١١ ٠

(٥) رشيد الناضورى : المرجع السابق ، ص٢٨٥ ٠

أما Jean Vercoutter فيجعل بداية هذا العصر حوالى عام ٣٠٠٠ق٠م (١) ، وكذلك جان يويوت(٢) ، اما جاردنر فيضع بداية هذا العصر حوالى عام ٣١٠٠ ق٠م بزيادة أو نقص ١٥٠ عاما (٣) ٠

أما اصحاب الرأى الثانى ، والذين يمكن تسميتهم بأصحاب التاريخ القصير المدى ، فيرجعون بداية العصر التاريخى الى الالف الثالث قبل الميلاد ، فيرجع كيس بدايته الى حوالى ٢٩٨٠ق٠م (٤) ٠ أما البرايت Albright فيجعل بداتيه حوالى ٢٩٥٠ق٠م (٥) ، أمـــا الكسندر شارف فيرفض بشدة تحديد بداية العصر التاريخى بتاريخ سابق للالف الثالث ق٠م ، ويجعل بداية العصر حوالى عام ٢٨٥٠ق ٠م ، وذلك على اساس مقارنته الحضارة المصرية فى الفترة الاخيرة من حضـــارة نقادة الثانية واوائل الفترة الخاصة بالاسرة الاولى بحضارة جمدة نصـــر فى بلاد مابين النهرين (٦) ٠

---

(١) Vercoutter, J., and otheres., The Near East; The Early Civilizations, London, 1967, p. 260.

(٢) يويوت (جان) : مصر الفرعونية ، ترجمة سعد زهران ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص٢٨ ٠

(٣) Gardiner, A., Egypt, of the pharaohs, oxford. 1962, p.430.

(٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٢٥ ، هامش ٣ ٠

(٥) Albright, W.F., "Menes and Naram-sin" in J.E.A., vol VI, p. 89 ff.

(٦) شارف (الكسندر) : المرجع السابق ، ص٣٨-٤٩ ٠

وكما تباينت اراء المؤرخين حول بداية عصر الاسرتين الاولى والثانية فقد اختلفت ايضا حول نهاية العصر والفترة التى استغرقها ، فنرى مانيتون يجعل مدة حكم الاسرتين حوالى ٥٥٠ عاما (١) ، وقليل من المؤرخين من يأخذ بهذا الرأى مثل : هول الذى رأى ان هذا العصر قد استغرق حوالى ٥٣٥ سنة ، وذلك على اساس انه قد بدأ عام ٣٥٠٠ ق.م وانتهى عام ٢٩٦٥ ق.م (٢) ، وكذلك ويجل الذى قدر مدته بحوالى ٥١٩ سنة (٣) . ويتفق امرى (٤) مع مانيتون فى تقديره . اما بترى فقد قدر لعصر هاتين الاسرتين مدة حكم تبلغ ٤٨٢ سنة ، وذلك على اساس انه قد بدأ عام ٤٣٢٠ ق.م وانتهى عام ٣٨٣٨ ق.م (٥) .

---

(١) Emery, W.B;, op. cit., p.29.

(٢) Hall, H.R., op. cit., p. 267, p. 284

(٣) Weigall, A.. op. cit., pp. 25-28

(٤) يرى امرى ان ذلك يتفق مع الادلة الاثرية ، فهو يذكر ان المقابر الكبيرة بسقارة التى ترجع الى اوائل الاسرة الاولى ، كانت مخربة تخريبا كاملا عند نهاية الاسرة الثانية ، فالمبانى التى كان يبلغ ارتفاعها ستة امتار على الاقل فوق سطح الارض تضاءلت الى ما لا يزيد على متر واحد وبنى على ما بقى منها المقابر المبكرة للاسرة الثالثة . ويرى ان هذا التدمير لمبانى هائلة الحجم والصلابة ، وذات جدران رئيسية تتفاوت عرضها ما بين مترين وخمسة امتار ، يلزم لحدوثه فترة زمنية طويلة ، وان مده الخمسمائة وخمسون عاما قد تكون فترة معقولة لتحقيق ذلك
Emery. W.B op cit . p 29

(٥) Petrie W M F op cit 80

ولكن تتجه معظم اراء المؤرخين الى تقدير مدة هذا العصر بحوالى اربعمائة عام ، مثل بريستد الذى يرى انه قد استغرق حوالى ٤٢٠ سنة على اساس انه قد بدأ حوالى عام ٣٤٠٠ ق٠م ٠ وانتهى عام ٢٩٨٠ق٠م ق٠م (١) ٠ ويرى Hayes ان هذا العصر قد بدأ عام ٣٢٠٠ق٠م وانتهى حوالى ٢٧٨٠ ق٠م وبذلك يكون قد استغرق حوالى ٤٢٠سنة (٢) اما فانديبيه ود ريوتون فقدا لهذا العصر مدة ٤١٩ سنة وذلك على اساس انه قد بدأ حوالى عام ٣١٩٧ق٠م وانتهى حوالى عام ٢٧٧٨ق٠م(٣) وقدر ادواردز Edwards مدة هذا العصر بحوالى ٤١٤ سنة على اساس انه قد بدأ حوالى عام ٣١٠٠ق٠م وانتهى عام ٢٦٨٦ق٠م (٤)أما جون ويلسون فقد قدر لهذا العصر حوالى ٤٠٠سنة وذلك على اساس انه قد بدأ حوالى عام ٣١٠٠ق٠م وانتهى حوالى عام ٢٧٠٠ق٠م(٥) ٠ ويتفق معه فى هذا التقدير جاردنر ، وذلك على اعتبار انه قد بدأ حوالى

---

(١) Breasted, W.M.F., op. cit., p. 21.

(٢) Hayes, W.C., op. cit., p. 34.

(٣) د ريوتون (ايتين) ، (فانديبيه) ، (جاك) : المرجع السابق ، ص١٥٢٠

(٤) Edards, I.E.S., "The Early Dynastic- Period in Egypt", In The Cambridge Ancient History, vol. I, ohap. cambridge, 1964.

(٥) Wilson, J. op. cit., p; 319 .

عام ٣١٠٠ ق٠م ، وانتهى حوالى عام ٢٧٠٠ق٠م (١) وقدر هـنرى فرانكفورت لهذا العصر مدة ٤٣٦ سنة وذلك على اساس انه قد بدأ حوالى عام ٣١٠٠ق٠م ، وانتهى حوالى عام ٢٦٦٤ق٠م (٢) ٠ويرى سليم حسن ان هذا العصر قد استغرق حوالى ٤٢٠سنة ، وذلك على اعتبار انه قد بدأ حوالى عام ٣٢٠٠ ق٠م وانتهى حوالى ٢٧٨٠ق٠م (٣) ٠

أما Sewell فقد قدر مدة هذا العصر بحوالى ٢٧٣ سنة وذلك على اساس انه قد بدأ حوالى عام ٣١٨٨ق٠م ، وانتهى حوالى عام ٢٨١٥ق٠م (٤) ٠

وهناك رأى ثالث ، يرى اصحابه ان هذا العصر لم يستغرق اكثر من ثلاثة قرون ، مثل الكسندر شارف الذى يرى انه قد استغرق حوالى ٢٥٠ سنة ، على اعتبار انه قد بدا حوالى عام ٢٨٥٠ ق٠م وانتهى

---

(١) Gardiner, A., op. cit., pp. 430-433.

(٢) Frankfort, H., op. cit., p. 112.

(٣) سليم حسن : مصر القديمة ، الجزء الاول ، القاهرة ، ١٩٤٠ ، ص ٢٦٧ ٠

(٤) Sewell, J.W.S., The Legacy of Egypt, Oxford, 1957, p. II.

حوالي ٤٠ ٠٠ ٢ق . م . وحاول يويوت تحديد بداية هذه الفترة ستغرق

حوالي ٢سنة على عصر نهاية هذه الحقبة حوالي عام ٣ق م وانتهى

حوالي عام ٢٨ق . م[١] أما بيير مونتيبيه فيرى أن هذا العصر قد

ستغرق حوالي ٢٢ سنة وذلك على اعتبار أنه قد بدأ في بداية الألف

الثالث ق . م وانتهى حوالي عام ٢٧٨ ق . م[٣]

---

١ د. ف : الاسكندر ... مرجع سابق ، ص

٢ يويوت : جان ... مرجع سابق ، ص ٢٨

Montet P. Eternal Egypt, translated from the French by Doreen Weightman. AnNal world book published by the New American Library 1964 p. xix ٣

ثالثا : الكيان السياسى الداخلى فى عصر الاسرتين الاولى والثانية

يتضمن هذا الكيان السياسى الداخلى لمصر القديمة فى عصر الاسرتين الاولى والثانية دراسة ثلاثة موضوعات رئيسية وهى توحيد البلاد ، وبداية استقرار الكيان السياسى الداخلى ، والوسائل التى اتبعها ملوك العصر لتدعيم الوحدة بين الجنوب والشمال .

وبالنسبة للموضوع الاول وهو توحيد البلاد ، فيمكن ان ترجع بدايته الى مرحلة عصر ماقبل الاسرات الاوسط حيث شهد هذا العصر ظهور المقاطعات المستقلة بحدودها وعواصمها وحكامها وآلهتها ورموزها الخاصة بها والتى تطورت الى ادماج هذه المقاطعات فى احداهما فى الشمال والاخرى فى الجنوب ، ثم بدأت محاولات توحيد هاتين المملكتين فى مملكة واحدة وهو الامر الذى يبدو انه قد تحقق بصفة مؤقتة بزعامة الجنوب والتى انتهت الى تحقيق هذا الاتحاد فعلا فى بداية العصر التاريخى .

فيستدل من الاثار التى عثر عليها فى نخن (هيراكونبوليس) وغيرها على وجود ملكين بذلا كل جهدهما فى سبيل هذا الهدف الوطنى ، وهو تحقيق الوحدة السياسية لوادى النيل الادنى الذى هيأت له كل الظروف الطبيعية والبشرية سبل توحده ، وهذان الملكان هما اولا ما اصطلح

على تسميته بالملك عقرب والثاني هو الملك نعرمر .

وفيما يتعلق بالملك الاول ، فقد عثر على العديد من الاثار التي تحمل اسمه والذى كتب في هيئة حشرة العقرب ولم يتمكن العلماء من معرفة مدلول لها فسموه باسمها أى "عقرب" ولقد عثر على اسمه مكتوبا وبجواره العلامة الهيروغليفية التى تقرأ "كا" على عديد من الاوانى المصنوعة من الا وعثر فى نفس الموقع كذلك على اوانى اخرى من ن المادة صور عليها الصقر فوق مايشبه الغصن وبجواره العلاقة "كا" (١) .

واتجه بعض العلماء الى الاعتقاد بأن هذه العلامة تعنى "العقرب المحروس" و "الصقر المحروس" وذلك على اساس ان صور الذراعين كانت تعبر عن معنى الحماية فى الكتابة المصرية القديمة و كليهما يرمزان الى الملك وعثر كذلك فى ابيدوس على طبعات اختام تحمل اسم الملك "كا" ومن اكمل هذه الطبعات التى عثر عليها فى المقبرة ب ٧ والتى كتب فيها الاسم "كا" فى وضع معتدل فوق مايشبه و واجهه القصر .

(1) Quibell, T E., Hierakonvolis, I, London, 1900. pl xxxiv

ويرى الباحث ان اسم الملك "كا" ماهو الا الاسم الحورى للملك عقرب . ويؤكد ذلك ايضا دليل اخر ثانوى وهو انه تنسب للملك "كا" المقبرة رقم ب٧ فى ابيد وس وذلك نتيجة لوجود اسمه مكتوبا على العديد من الاوانى الاسطوانية فيها . ونظرا لمجاورة هذه المقبرة للمقبرة التى تنسب للملك نعرمر بآبيد وس ، وما اوضحته الادلة الاثرية من مواصلة نعرمر لجهود سلفه الملك عقرب فى سبيل توحيد البلاد ، ومن وجود علاقة مباشرة بين كل من الملك عقرب ونعرمر وحور عحا فان نسبة هذه المقبرة للملك عقرب تصبح مرجحة .

يتضح من هذه الادلة الاثرية ان توحيد الملك "كا" بالملك" عقرب" يصبح امرا مرجحا وفيما يتعلق بالاثار المكتشفة للملك عقرب والتى تشير الى جهوده فى عملية القيام بتوحيد البلاد فيمكن مناقشتها فيمايلى :

نقوش رؤوس الصولجانات (المقامع) :

١ — رأس المقمعة التى عثر عليها فى هيراكونبوليس(١) : (شكل ١٨)

صنع رأس هذا الصولج من الحجر الجيرى ، ويبلغ ارتفاعه ٣٢ سم وقطره ٢٥ سم ، وغطى بنقوش موزعة على ثلاثة مناظر ، يمثل المنظر العلوى منها موكب من الالوية الحربية تعلوها شعارات الاقاليم ، وهى ابن أوى وست ومين ثم ست يليه علامة الجبل . وقد علق طائر الزقزاق من عنقه بحبل

(1) Ibid., pl xxviic, pp 9-10

يدور حوله وهو ميت أو يبدو كميت . ويواجه هذه الالوية من الناحية الاخرى ، موكب من الالوية تتصل بها اقواس مربوطة بنفس طريقة ربط طائر الزقزاق ، ويلاحظ وجود الصقر واقفا فوق مايشبه الهلال على احد هذه الالوية ، ويرى بعض العلماء ان طائر الزقزاق يرمز الى سكان الدلتا ، بينما يرى آخرون انه يرمز الى جهات من مصر الوسطى وترمز الاقواس الى البدو من سكان الواحات والهضاب الصحراوية .

ويرى الباحث ان هذا المنظر يشير الى هزيمة الملك عقرب لسكان الدلتا وانتصاره كذلك على القبائل الاخرى الموجودة على حدودها .

وصور الملك فى المنظر الاوسط مرتديا تاج الجنوب الابيض ويمسك بكلتا يديه بفأس يهم بحفر الارض بها على شاطئ قناة ويوجد امامه شخص قصير القامة يقوم بحمل التراب الذى يستخرجه الملك فى سلة مصنوعة من اغصان الصفصاف يحملها بين يديه . ويرى بعض العلماء ان هذا المنظر يعبر عن حقل افتتاح مشروع للرى أو الزراعة بينما آخرون يرون انه يمثل تحويل مجرى نهر النيل تمهيدا لبناء مدينة منف .

ويوجد خلف الشخص الذى يحمل السلة رجل آخر يحمل مجموعة من سنابل القمح وقد صور فوقها مجموعة من حملة الاعلام لم يتبق منها سوى مايمكن ان يكون لواءى "مين" و "وبواوات" .

وصورت امام رأس الملك علامتين عبارة عن زهرة وعقرب ، ويرى بعض الباحثين ان علامة الزهرة ذات الورقات السبع تقرأ "ملك" اما علامة العقرب فهى تدل على اسم الملك . وعلى ذلك فهى تعنى "الملك عقرب" لتعين شخصية الشخص المرسوم والذى صنعت المقمعة من اجله .

ويوجد خلف الملك اثنان من حملة المراوح ، وصور بعد حملة المراوح مناظر لنبات البردى فى صفين يعلو كل منهما الاخر ويرى الباحثين انهما تمثل البلد التى فتحها الملك واذا كان ذلك فان هذه البلاد المفتوحة تكون حينئذ هى الدلتا وذلك على اعتبار ان نبات البردى يشير الى الدلتا

ويأتى بعد نبات البردى منظرين يصور المنظر العلوى منها اشخاص جالسين فى محفات وصور وراءهم شخص يحمل عصا ، ويحتمل ان يكون هؤلاء الاشخاص الجالسين فى المحفات امراء أسرى ، بينما يميل فريق آخر الى القول بأنهن اميرات الوجه البحرى اللاتى ضمهن الملك الى حريمه . ويؤكد ذلك الرأى وجود نبات البردى الذى يمثل هنا ارض الدلتا المفتوحة وكذلك انه ظهرت اسفل الاشخاص الجالسين فى المحفات صف من النسوة لهن شعور طويلة ويقمن بالرقص ابتهاجا بهذه المناسبة السعيدة .

وتوضح نقوش الصف السفلى جزيرة يحيطها النهر ويعمل فيها عدد من الاشخاص وقد ظهر فيها منظر كوخ ونخله ، وتظهر على حافة الصخر مقدمة مركب وصور الفنان منظر معبدين متباعدين على حافة النهر .

يتضح مما سبق ان نقوش هذه المقمعة توضح قيام الملك عقرب بحروب فى الدلتا والصحراوات المحيطة بها بمساعدة الاقاليم الجنوبية ونجاحه فى هذا العمل . وتوضح ايضا اهتمامه بالاعمال التى تهدف الى رخاء البلاد فتوضحه وهو يقوم بافتتاح قناة للرى . ولم ينس الفنان ان يعبر عن تقوى ملكه واهتمامه بتشييد المعابد فصور معبدين متباعدين على جانبى النهر .

ب - يوجد بالاضافة الى رأس هذا الصولج . رأسى صولجانين فى مجموعة بترى (١) ويوضح احداهما الملك جالسا على عرش وهو يرتدى تاج الشمال الاحمر تحت محفة ترتفع بواسطة رجلين . ويوجد امام الملك صقر كبير يجذب رجلا ذا ضفيرة طويلة من انفه بواسطة حبل . ويرى الباحث ان نقوش رأس هذا الصولج تمثل انتصار الملك عقرب على الشعب ذا الضفيرة الطويلة وانها توضح الملك عقرب على الشعب ذا الضفيرة الطويلة وانها توضح الملك مرتديا تاج الشمال مما يدل على ان الملك عقرب وليس نعرمر هو اول ملك وحد مصر العليا والسفلى .

وبالاضافة الى نقوش رؤوس الصولجانات التى توضح امتداد نفوذ الملك عقرب شمالا ، فقد عثر على العديد من النقوش والاوانى التى تؤيد ذلك . ومن بين هذه الاوانى ، نقوش آنية عثر عليها فى هيراكونبوليس(٢) ،

(1) Arkell, A T., "Varia Sudanica", in J.E.A. 36(1950) pp. 31-35.

(2) Quibell, J E, Hierakonpolis, II, pl xix,1.

نقش سطحها الخارجي بنقوش بارزة تمثل في اعلاها الصقر حور مكررا عدة مرات وهو واقف فوق مايشبه الغصن وظهر تحته علامة العقرب · وعلى ذلك فقد قرئت هذه المجموعة "الحور عقرب" وظهر قوسين على جانبي الاناء يصل بينهما حبل غليظ يظهر تحته ثلاثة طيور يتوسطها طائر الزقزاق ·

ويبدو ان هذه المجموعة من العلامات تعبر عن انتصار الملك عقرب على سكان الصحراء الذين يحيطون بالدلتا والذين كانوا يرمز لهم بالاقواس · وربما يرمز الحبل المصور هنا والذى يصل بين القوسين على تمكنه من اخضاعهم له تماما · ويحتمل ان طائر الزقزاق الممثل في الصف السفلي يشير الى ان الدلتا كانت تابعة له وراضية بحكمه · فيرى هذا الطائر وقد مثل هنا حرا طليقا ، ويرى بعض الباحثين ان هذه المجموعة من العلامات تعنى "حور العقرب" الذى اخضع الاجانب واخضع أهل الدلتا ·

ولقد عثر على عديد من نقوش الاواني كذلك تحمل الاسم الحوري كما في كل من طرخان وحلوان ، ويلاحظ ان هيئة الصقر متماثلة في نقوش الاواني التي عثر عليها في ابيدوس وطرخان وحلوان مما يؤكد انتماءها لملك واحد وكتابتها في عصر واحد · ويوضح ذلك امتداد نفوذ الملك عقرب شمالا حتى حلوان ·

كذلك عثر احد الباحثين في سقارة في المقبرة التي تنسب للملك حور

عحا على شكل للعقرب ممسك بفأس أو مذ به . ويشبه شكل العقرب هنا شكله الذى عثر عليه على قطعة عاجيه اسطوانية فى المقبرة التى تنسب للملك نعرمر فى ابيد وس ، ويشبه شكل العقرب فى هذ ين الاثرين شكله الممثل فى صلاية الحصون والغنائم ، مما دعا بعض المؤرخين الى نسبتها اليه . ومن ثم نسب اليه القيام بحروب د اخلية د مر فيها الحصون ، وحروب خارجية فى ارض التحنو التى غنم فيها الغنائم التى ظهرت على ظهر اللوحة ، وان كان البعض من الباحثين يقترح ان تكون هذ ه اللوحة احياء لذكرى انتصار الملك عقرب على بوتو .

وهكذا فقد خطا الملك عقرب خطوات كبيرة فى سبيل توحيد البلاد والد فاع عنها ضد البد و المغيرين عليها . ولكنه ترك مهمة النصر العسكرى الحاسم على الد لتا لخليفته نعرمر .

وهناك مجموعة من الاثار توضح الجهد الذى بذ له الملك نعرمر فى سبيل توحيد البلاد وتتمثل هذ ه الاثار فى :

١ ـ نقوش الصلاية الاردوازية (١) : (شكل ١٩ ، ٢٠) .

عثر على هذه الصلاية في معبد مدينة نخن وهى حاليا بالمتحف المصرى بالقاهرة ويبلغ طولها ٦٢سم ويتراوح سمكها مابين ١٥مم في بعض الاجزاء الحافة الى ٤سم في الوسط . ويوجد الاسم الحورى للملك فى قمة وجه اللوحة داخل مستطيل يرمز الى واجهة القصر (السرخ) وظهر على جانبى الاسم رأسان للمعبودة حاتحور وقد مثلت بوجه انثى لها قرنى البقرة واذنيها . وتعتبر هذه هى المرة الاولى التى يرمز فيها المصريون الى الهتهم بصورة تجمع بين الشكل البشرى والشكل الحيوانى .

وظهر فى الصف الاوسط من اللوحة ، الملك مرتديا تاج الجنوب ويمسك فى يده اليمنى بمقمعة ويجذب بيده اليسرى شعر عدو راكع امامه ويوجد على يسار العدو المضروب ذا الرأس العارية والشعر الطويل والذقن والمجرد من الثياب عدا حزام ضيق يتصل به سياج صغير من لحاء الشجر علامتين هيروغليفتين رأى عديد من العلماء انها تدل على اسمه الذى ربما يعنى " خادم البحيرة " التى ربما تشير الى بحيرة الفيوم ، بينما يرى البعض الاخر أن هذه العلامات تشير الى اقليم الاسير نظرا لعدم تسجيل المصريين لاسماء اعدائهم على اثارهم حتى لا يتركوا لهم

(1) Quibell, J.E., Hierakonpolis, 1, pl xxix.

فرصة للخلود ، ورجحوا ان يكون هذا الاقليم منطقة الفيوم أو ان يكون اقليما فى اقصى الاقاليم الشمالية الغربية للدلتا على حدود الصحراء الليبية ٠

وتوجد فوق الاسير مجموعة من العلامات تصور الصقر حور ، وله قدم طائر وذراع آدمية تمسك بحبل يمر خلال الشفة العليا لرأس انسان تحته مستطيل تخرج منه جزوع ستة نباتات بردى ٠ ورأى عديد من العلماء انها تدل على ان الاله حور قد احضر للملك ستة الاف اسير ، بينما يرى البعض الاخر انها تمثل نباتات الشمال أى ان هذا المنظر يمثل انتصارا على الشماليين ٠

ويوجد خلف الملك شخص يحمل صندلا فى يده اليسرى ، وفى يده اليمنى اناء له صنبور ويد ، ولهذا الشخص شعر قصير مغطى بطاقية سميكة ، ويرتدى حول رقبته قلادة عريضة ، اتجه بعض العلماء الى الاعتقاد بانها سير أو ياقة يرتبط بها الخدم ٠ وظهر فوقه علامتين رأى اغلب العلماء انهما تشيران الى لقبه ، ويوجد بالصف السفلى عدوين قتلى مجردين من الثياب وظهر فوق كل منهما علامة هيروغليفية تدل على اسم مدينته ٠

وتكمل النقوش المسجلة على ظهر اللوحة الاحداث المسجلة على وجهها فظهر الملك مرتديا تاج الشمال الاحمر ، ويمسك فى احدى يديه

بمقمعة وفى الاخرى مذبه • وظهر خلف الملك نفس الشخص الموجود وراءه على وجه اللوحة وهو يحمل فى احدى يديه نعل الملك ، وفى اليد الاخرى الاناء ذا الصنبور واليد • وظهر امام الملك شخص كتب اسمه فوقه ، وسار امام هذا الشخص موكب مكون من اربعة من حملة الاعلام ، يتقدمهم علمان عليهما الصقر حور والثالث عليه حيوان ابن آوى رمز الاله وبواوات فاتح الطريق ، والرابع عليه شئ يشبه قطعة من اللحم •

ويرى بعض العلماء ان هذه الاقاليم الممثلة شعاراتها فى هذا الموكب انما تعبر عن اشتراكها الفعلى مع الملك نعرمر فى حروبه التى ادت الى توحيد البلاد •

ويوجد امام الموكب الملكى مجموعة من العلامات الهيروغليفية يرجع انها تعبر عن المكان الذى يتجه اليه الموكب • واسفل هذه العلامات توجد جثث عشرة اشخاص مقيدة ايديهم ومقطوعة رؤوسهم ، وقد رتبوا فى صفين ، ووضعت رأس كل منهم بين قدميه ، ولهم جميعا ذقون ، مما يقربهم من هيئة البدو الاسيويين والليبيين •

وفيما يتعلق بالغرض الذى هدف من ورائه الفنان ان يرمز الى هذه الجثث العشرة (١) فيرى البعض انها تعبر عن تضحية بشرية تقدم للملك •

---

(١) انظر فى ذلك .. Legge, F., in psBA, 22 (1900). p 128..
Gardimer, A.H., Egypt of the phararhs, p. 404..

عبد العزيز صالح المرجع السابق ، ص ٢٢٦ •

ويرى آخرون انها تمثل الاعداء الذين هزمهم الملك ، ويرى البعـــض الثالث انها تشير الى مناسبة الزيارة وهى الاحتفال بذكرى نصر قديـــم انتصر الملك أو احد اسلافه فيه على عشرة احلاف من مناهضيه .

ويوجد فى الصف التالى وحشين غريبى الخلقة التفت اعناقهمـــا الطويلة حول حفرة الصلاية ، وقد ربطت بحبال التفت حول اعناقها وامسك بكل حبل أحد الاتباع .

ويرى بعض الباحثين ان راس هذين الشخصين تشبه تماما رأس الملك وعلى ذلك فهو يرى ان ذلك ربما يرمز الى اخضاع بعض القبائل ويـــرى البعض الاخر ان هذا المنظر يرمز الى اتحاد نصفى مصر (١) .

وفى الصف السفلى مثل الملك كثور واقف على قاعدة ويحطم سور مدينة بقرنيه وقد كتب اسم المدنية داخلها ، ويطأ الثور عدو منبطحا ذا شعـــر طويل .

وبعد هذه الدراسة التفصيلية لنقوش هذه اللوحة يرى الباحث ان الغرض من هذه اللوحة هو تخليد ذكرى بعض الحروب التى ادت فـــى النهاية الى ذلك الحدث التاريخى الهام فى حياة البلاد وهو اتحـــاد القطرين تحت لواء حاكم واحد . ومما يدعوه الى ذلك ، الهيئة التى صور

---

1 Gardiner A.H op. cit p 404

سهم الملك والتي يغلب عليها الهدوء. وتؤدي كما أن تصوير تابع الملك وآنية التطهير، ووجود كاهن امامه يدعو الباحث الى الاعتقاد بأن الملك كان يقوم باحتفال رمزي. كذلك فان صور الاعداء الممثلين على هذه اللوحة تقربهم من هيئة البدو والاسيويين والليبيين مما يدعو الى الاعتقاد بان الملك نعرمر قد اكمل اعمال سلفه الملك عقرب في الزود عن حدود البلاد وتخليصها من البدو والمغيرين عليها في الشرق والغرب

ثانيا . نقوش مقمعة الملك نعرمر (1) (شكل ٢١)

عثر عليها في معبد نخن وهي مصنوعة من الحجر الجيرى الخفيف نوعا ما ، وهي موجودة حاليا في متحف الاشموليان . والشكل الرئيسي في مناظر هذه المقمعة ، هو الملك الذى كتب اسمه الحورى خلفه في اعلى المنظر . وقد جلس على عرشه الموجود في مقصورة مرتفعة تسع درجات وقد ارتدى تاج الوجه البحرى الاحمر وثوبا طويلا يصل حتى قدميه وامسك في يده مذبه .

ونحلق فوق العرش الالهة الحامية نخبت ، ووقف خلف الملك الشخص حامل النعال ، ويوجد خلف الملك صغير من الاشكال نعتبر بالطبع منهم على نفس المستوى ، يحمل ثلاثة منهم هراوات طويلة ويوجد امام

---

(1) Quibell, J. E., Hierakonpolis I, pl. XXVI.

عرش الملك ثلاث صفوف . ويوجد في الصف العلوى اربعة من حملة الاعلام ويحتمل ان الفناء المواجه لهذه الالوية والتي يوجد فيها ثور وعجل يكون جزءا من المنظر الموجود في اسف اللوحة .. ويوجد في الصف الاوسط شخص يرتدى ثوبا طويلا وهو جالس في محفة مسقوفة فوق اريكة ، وخلفه ثلاثة رجال ملثمين يبدوا انهم يرقصون وأيديهم فوق صدورهم داخل سور لم يكتمل من اعلى واسفل .

ويسجل الصف الثالث اعداد ضخمة من الثيران والماعز والاشخاص تبلغ اعدادها ٤٠٠,٠٠٠ ثور و ١,٤٤٢,٠٠٠ و ١٢٠,٠٠٠ أسير .

واختلفت الاراء حول ماتدل عليه مناظر هذه المقمعة ، فرأى البعض انها تمثل الحاكم المأسور وقد احضر امام نعرمر وتبعه رعاياه الذين اجبروا على القيام برقص مقدس. وان الشكل الموجود في محفة يمثل الملك الاسير أو تضحية بشرية . وفيما يتعلق بالاشخاص الثلاثة الموجودين خلف الشخص الجالس في المحفة فيرجح ان يكون هذا المنظر معبر عن قيام الاسرى بالرقص في حضرة الملك،كذلك يرجح ان يكون الملك قد صور هنا وهو يحتفل بعيد زواجه من الاميرة الوارثة للارض التي هزمها . وان الشخص الموجود في المحفة هي نيت حتب .

ورأى بعض العلماء ان مناظر المقمعة تمثل مرحلة من مراحل احتفال الملك بعيد "حب سد" وان الشخصية الموجودة في المحفة قد

تمثل ولى عهد نعرمر أو احد كبار امراء الوجه البحري الذين عفا عنهم وقربهم اليه بينما يرى البعض انها تصور عيد ابتهاج بتعداد الغنائم .

ويرى الباحث ان تكون مناظر هذه المقمعة سجل لاهم الاعمال التى تمت فى عهد الملك نعرمر . وهى زواجه من الاميرة الشمالية نيت حتب التى عثر على مقبرتها فى نقادة . وتعتبر تلك لفتة ذكية من الملك لارضاء اهل الدلتا ، وحتى يصبح فى نظرهم حاكما شرعيا للبلاد ، لتحل المحبة والمودة مكان الحرب والبغضاء . ويلاحظ ان خلفاء الملك قد اتبعوه فى هذا التقليد ، اما عن الاعداد الضخمة من الماشية والماعز والاشخاص التى سجلتها رأس المقمعة فربما تشير الى الغنائم التى حصل عليها الملك فى حروبه المختلفة التى خاضها فى الشمال لاتمام وتدعيم وحدة البلاد وفى الشرق والغرب لتطهير ارض الكنانة من البدو والمغيرين عليها .

ويوضح اقصى جزء من رأس المقمعة معبدا بدائيا بسيطا وضعت عند مدخلة آنية فوق حامل مرتفع . وارتفع فوقه صار مرتفع كان يختص لوضع علم المعبود الذى اقيم المعبد من اجله ويظهر فى نهاية المعبد مقصورة الاله التى ظهر فوقها طائر يرمز الى اله المعبد الذى ربما يكون تحوت فى الاقليم الثالث من الدلتا أو المعبود جبعوتى اله جبعوت القديمة التى سميت فيما بعد باسم "ب" وربما يدل على محاولة الملك الجنوبى ارضاء الشماليين ببناء المعابد لالهة الشمال ويظهر اسفل المعبد حظيرة كبيرة ظهرت فيها ثلاثة غزلان ، يرجح انها تمثل قرابين مقدمة للمعبد .

يتضح مما سبق ان نقوش هذه المقمعة تعبر عن استقرار الملك نعرمر في ملكه ، وتوضح المحاولات الذكية التي قام بها الملك لارضاء الشماليين وهي زواجه من اميرة شمالية ، وقيامه ببناء المعابد لالهة الشمال .

أما بالنسبة للموضوع الثاني وهو : بداية استقرار الكيان السياسي الداخلي فسنبدأ بمناقشة الاراء المختلفة التي ابديت حول "مؤسس العصر" وهي مشكلة اختلفت بشأنها آراء المؤرخين اختلافا بينا . وارتبط ذلك بأربعة ملوك هم عقرب ونعرمر وعحا ومنى (١) .

وبالنسبة للملك عقرب فقد عثر على اسمه مكتوبا على عديد من الاثار ، من اهمها كما اشرت تلك التي تشير الى جهوده في عملية تجديد البلاد وهي رؤوس المقامع التي تسجل مراحل كفاحه والتي يظهر في اثنين منها مرتديا تاج مصر السفلى . وعثر على مقبرة له في ابيدوس وعثر فيها على آثار تحمل اسمه الحوري "كا" كما عثر على اسمه في مقبرة حور عحا بسقارة . وذلك

---

(١) انظر في ذلك :
أحمد امين سليم : دراسة تاريخية للحضارة المصرية القديمة اثناء عصر الاسرتين الاولى والثانية ، رسالة ماجستير ، الاسكندرية ، ١٩٧٧ ، ص٧٦ ـ ٩١ .

بالاضافة الى العثور على آثار له فى كل من طرخان وطرة وحلوان ٠

أما الملك نعرمر فقد ظهر اسمه على عديد من الاثار من أهمها لوحته الاردوازية ، ورأس مقمعة وظهر اسمه على ختم مع العلامة "من" ونسبت اليه مقبرة فى ابيدوس ٠

وبالنسبة للملك حور عحا الذى يعنى اسمه المحارب أو حور المحارب فقد عثر على هذا الاسم على بعض الاثار فى مقبرة صغيرة بأبيدوس نسبها احد الباحثين اليه ٠ وعثر كذلك على عديد من الاثار له فى مقبرة نيت حتب بنقادة من اهمها بطاقة عاجية توجد حاليا فى المتحف المصرى بالقاهرة تحمل الاسم الحورى للملك عحا جنبا الى جنب مع هيكل بناء بداخله اللقب النبتى "السيدتين" وعلامة هيروغليفية مفردة تعنى "منى" والتى اعتبرها معظم الكتاب انها تمثل اسم مينا ، وعثر على اسمه على عديد من الاثار فى مقبرة ضخمة بسقارة نسبت اليه ٠

أما الملك منى فلم يرد اسمه فى القوائم الملكية الا ابتداء من عصر الدولة الحديثة فهو لم يرد فى حجر بالرمو الذى كتب فى عصر الاسرة الخامسة ، بينما وضعته قائمة ابيدوس وبردية تورين على رأس ملوكها ، وكان تمثاله يسبق كل التماثيل الملكية المحمولة فى موكب الاحتفال بتتويج فراعنه الرعامسة ، ووضعه المؤرخ المصرى مانيتون على رأس اسرته الاولى ، وارتبط اسم منى فى اذهان المصريين انفسهم ببداية العصر التاريخى ٠ وعثر على

ختم يحمل اسمه في ابيدوس كما عثر على علامة "من" موضوعة على ظهر بطاقة خشبية في ابيدوس وعثر كذلك على اختام تحمل اسمه مع اسم الملك نعرمر بأبيدوس . وعثر ايضا على اسمه مع اسم الملك حورعحا كما ذكرت على بطاقة نقادة .

ولقد اختلفت آراء المؤرخين حول ترتيب هؤلاء الملوك وبيان تتابعهم على العرش ، ومنهم من يوحد مع منى وبالتالى ينسب اليه فضل تأسيس الملكية المصرية. وفيما يتعلق بالاراء التى تنادى بان الملك عقرب هو منى فقد نادى بهذا الرأى اركل (١) ، واعتمد فى تأييد رأيه على حقيقة عثوره على رأسى الصولجانين ولقد رأى ان الملك عقرب هو اول ملك قام بتوحيد مصر العليا والسفلى وهو الذى عرف فيما بعد تحت اسم منى وخلفه على عرش البلاد الملك نعرمر الذى اكمل الانتصار على الدلتا واستولى على ميناء اسيوى وصف بـ"الباب الكبير" .

ثم يؤيد رأيه بأن الملك عقرب قد نقش على راسه صولجه الذى صور فيه مرتديا تاج الجنوب الابيض ، قيامه بتحويل مجرى النيل قبل قيامه بتأسيس مدينة منف ، والتى ذكر هيرودوت ان الكهنة قد اخبروه بأن مينيس اول ملوك مصر ، قد قام ببناء سد ليفصل بين النيل وموقع مدينته ممفيس ، وعلى ذلك فهو يرى ان المادة الاثرية التى عثر عليها الملك عقرب توضح قيامه بتوحيد البلاد وانه اول من ارتدى تاج الشمال من

---

(1) Arkell: A.J . op. cit , pp. 31-35

الجنوبيين فى تاريخ البلاد ، وانه قام بتحويل مجرى النيل تمهيدا لبناء مدينة منف لتكون عاصمة لمصر الموحدة ، مما جعل توحيد هذا الملك بمينا امرا مؤكدا من وجهه نظره .

ولكن يرى الباحث ان هذا الرأى يحتاج الى تدعيم اكثر بالمادة الاثرية اذ ان الاثار التى عثر عليها لخليفته الملك نعرمر توضح ان التوحيد النهائى للبلاد قد تم على يدى نعرمر ، وان لم يمنع ذلك قيام الملك عقرب بدور ايجابى وكبير فى هذا المجال . وكذلك فان محاولة تفسير نقوش المقمعة على انها تشير الى قيام الملك عقرب ببناء سد لتشييد مدينة منف هو تحميل للامور فوق ماتطيق اذ انه من الواضح ان الملك يقوم هنا بحفر قناة لتخدم الاغراض الزراعية ، ويؤيد ذلك اهتمام الملوك فيما بعد فى هذا العصر بالاشراف على شئون الرى والزراعة .

اما فيما يتعلق بالاراء التى تنادى بان الملك نعرمر هو منى فقد نادى بها عدد كبير من العلماء (١) ، وقد اعتمدوا فى تأييد رأيهم على عدد من الافتراضات من بينها ان الاثار التى عثر عليها للملك نعرمر (الصلاية - رأس المقمعة) توضح انه كان فاتح عظيم تمكن من السيطرة على الدلتا

---

(١) من هؤلاء العلماء ، انظر
Newbervy. P.E., Great ones of Ancient Egypt London, 1929, PP 37-53.

ووحد البلاد تحت لوائه كما يوضح ختم عاجي صغير عثر عليه في نخـــن "هيراكونبوليس) انتصار نعرمر على ارض التحنو الليبيين . وقد كتب اسـم الملك في هذا الختم كسمكة كبيرة لها اذرع آدمية ممسكة بعصا تضرب بهـا عددا من الاسرى ربطت ايديهم خلفهم ، وتوجد فوقها الهة الكاب ناشرة جناحيها ، ويوجد امامها الصقر ويوجد على يسار اسم الملك اسم منطقـة "ارض التحنو" ويرى انصار هذا الرأى ان ذلك يتفق مع ماذكره مانيتـون من أن منيس قد وحد البلاد وحارب الليبيين . ومن ثم اصبح امر كون نعرمر ومنى شخصية واحدة شيئا واجبا .

ولكن يرد على ذلك ، بأنه اذا كانت آثار نعرمر تظهره كقائد عسكرى همام تمكن من توحيد البلاد تحت لوائه ، الا انه لايتبع ذلك بالضرورة ان يكون قد اصبح الحاكم الشرعى لمصر الموحدة ، كما ان زواجه من الاميـرة الشمالية نيت حتب ـ والتى توضحها نقوش رأس مقمعته ـ ليكتسب الشرعية فى حكم الدلتا لايجعل منه الحاكم المقبول للبلاد .

اما عن الاراء التى ترجح توحيد الحور عحا بمنى فقد راى عديد من العلماء (١) ان الملك حور عحا ومنى يمثلان شخصية واحدة . وقد اعتمدوا فى تأييد رايهم هذا على بعض الادلة ومنها ، ظهور الاسم الحورى عحـا

---

(١) انظر فى ذلك . Petrie. W.M.F . The Royal Tombs 11, pl x,.,x1.1-2
Emery. W B . Hor Aha.

على بطاقة نقادة وبجواره الاسم النبتى "من" يوضح انهما اسمان للملك واحد (شكل ٢٢) .

وكذلك وجود العلامة "من" على ظهر بطاقة للملك عحا عثر عليها فى ابيدوس يدل على ان منى كان اسما للملك حور عحا كما تعتبر مقبرة حور عحا الشمالية فى سقارة اقدم مبنى منذ عصر الاسرات فى سقارة ، ولم يعثر على أى مخلفات أو بقايا للملك نعرمر مما يوحى بأن العاصمة الجديدة منف لم تكن قد بنيت بعد ، وبالتالى يصبح بناء هذه العاصمة الجديدة لمصر الموحدة من نصيب حور عحا الذى بنى لنفسه مقبرة فى جبانتها سقارة . وبما ان التقاليد تنسب بناء مدينة منف الى منى فان حور عحا فى هذه الحالة يصبح هو منى .

وبعد هذا العرض لاراء العلماء المختلفة - يمكن ان نرجح اعتمادا على المادة الاثرية - ان الملك عقرب قد خطا خطوات كبيرة فى سبيل تحقيق الوحدة السياسية للبلاد . وان النصر العسكرى الحاسم على مملكة الشمال كان من نصيب الملك نعرمر الذى حاول اكساب حكمة للدلتا صبغة شرعية فتزوج من الاميرة الشمالية نيت حتب . وانه لم يتمكن من تنظيم نصرة والتمتع بنتائج حروبه . فخلفه على عرش البلاد ابنه حورعحا ، الذى وضع اللبنة الاخيرة للتوحيد النهائى وبنى مدينة منف العاصمة المصرية الاولى وعلى ذلك يرجح ان يكون الملك حور عحا هو منى ، واول ملك فى الاسرة الاولى وفى مصر الموحدة وان كانت هناك بعض الاراء ترى ان نعرمر

هو مي واتخذ ايضا اسم عحا (المقاتل) بعد انتصاره على الشمال . ويرى مري انه من الصعب الاخذ بهذا الرأى ، ويرجح في النهاية ان يكون عحا هو مي .

ويمكن ترتيب ملوك الاسره الاولى حسب المادة الاثرية التي عثر عليها على النحو التالي

عحا ، جر ، جت ، دن ، عج ـ ايب ، سمرخت ، قع .

ويلاحظ ان القوائم الملكية قد اختلفت فيما بينها اختلافا كبيرا في ذكر اسماء ملوك الاسرة الاولى ، فقد ذكرتهم قائمة ابيدوس على النحو التالي

مي ، تتي ، اتي ، اتا ، حسبتي ، مربيابي ، سمسم ، قبح .

وبينما اتفقت بردية تورين مع بردية ابيدوس في عدد هؤلاء الملوك على اعتبار انهم ثمانية ، الا انها اختلفت عنها في بعض الامور ، وهي انها لم تذكر الملك الثاني في قائمة ابيدوس وهو "تتي" واضافت ملكا آخر في نهاية الاسرة لم تذكره قائمة ابيدوس وهو "باونثر" .

وبعد توحيد مملكتي الوجه القبلي والبحري تحت حكم ملوك هذه

الاسرة التى ظهرت على آثارهم المعاصرة على النحو التالى :

عحا (مينيس) ، جر (اثوثيس) ، جت (يونيفيس) ، دن (يوسافيس عج ايب (مايبيس) ، سمرخت (سمسس) ، قع (بينفيس) .

أما ملوك الاسرة الثانية فانه يمكن ترتيبهم حسب الاثار المعاصرة التى عثر عليها على النحو التالى :

حتب سخموى ، رع نب ، نى نثر ، ونج ، سند ، سخم ايب (برايب سن) خع سخم ، خع سخموى .

ولقد اختلفت القوائم الملكية فيما بينها اختلافا كبيرا بشأن عدد ملوك الاسرة الثانية وترتيب تتابعهم على عرش البلاد ، ولم تتفق فيما بينها الا فى ذكر خمسة ملوك فقط ، بينما اختلفت فيما بينها بشأن الملوك الاخرين ، والملوك الخمسة الذين اتفقت عليهم القوائم هم :

كاكاو ، بانيترن ، واد جناس ، سندى ، جاجاى .

اما مانيتون فقد ذكر ان عدد ملوك هذه الاسرة بلغ تسعة ملوك حكموا البلاد لمدة ٣٠٢ سنة على النحو التالى

بويثوس ، كايخوس ، بنو ثريس ، تلاس ، سثنيس ، خايرس ،
نفر خريس سيسو ، خريس ، خنيريس .

وفيما يتصل بالموضوع الثالث ، وهو الخاص بالوسائل التى اتبعها ملوك العصر لتدعيم الوحدة بين الجنوب والشمال . فقد عمل ملوك عصر الاسرتين الاولى والثانية على تدعيم هذه الوحدة بعديد من الطرق والوسائل التى من بينها الالقاب الملكية ، والزواج من اميرات شماليات ، والسماح للوجه البحرى بشخصية متميزة فى ادارته تحت ظل التاجين ، وبناء معابد لالهة الشمال وزيارة الاماكن المقدسة الشمالية والاهتمام بالاعياد الدينية والدنيوية .

وتتضح الوسيلة الاولى فى ظاهرة اتخاذ الالقاب الملكية ، وهى من اهم الجوانب الحضارية التى ترتبط ارتباطا وثيقا بالنظام الملكى المصرى القديم وعلى رأس تلك الالقاب لقب حور (١) الذى يتكون من صقر جاسم فوق بناء يكتب على واجهته الاسم الخاص بالملك . ويرى احد العلماء ان الصقر قد اضيف هنا لتوصيل فكرة ان هذا هو اسم الملك الابدى ولم يتخذ كلقب اقليمى .

Petrie. W.M.F . The Royal Tombs, 1,p. 36.

وبينما يرى آخرون ان هذا اللقب مرتبط بعبادة اوزير وانه يدل على ان الملك هو ابن اوزير وخليفته الحي على الارض. وبالنسبة لتفسير الاطار الذى يحتوى على الاسم ، فقد اختلفت الاراء بصدده ، فهناك رأى يرى انه اما يمثل بوابة المقبرة أو جدار المقبرة ذا الدخلات والخرجات ، بينما يرى معظم المؤرخين ان الواجهة التى يكتب فوقها اسم الملك هى واجهة القصر وليست واجهة المقبرة وظهر الصقر حور كلقب اول الامر على بعض الاثار التى عثر عليها للملك عقرب ثم ظهر بعد ذلك على اثار الملك نعرمر.

ولقد كان للاسم الحورى الاسبقية على كل الاسماء الاخرى عندما كان يذكر على الاثار ، وهو يعتبر وسيلة تعريفنا الوحيدة المؤكدة لاسماء الملوك التى وجدت على الاثار التى اكتشفت فى ابيدوس وسقارة والمناطق الاخرى التى عثر فيها على اثار ترجع لهذا العصر.

ويلى اللقب الحورى فى الظهور على الاثار ، اللقب النبتى ، الذى سمى كذلك بسبب قراءة اللقب "السيدتان" الممثلتان فى صورة رخمة التى تشير الى الالهة "نخبت" الجنوبية وحية ترمز للالهة "واد جيت" الشمالية ويدل ذلك على رغبة الملك فى التمتع بحماية الالهة الشمالية والالهة الجنوبية ، كما يشير الى كونه ممثلا لقطرى الوادى ، هذا بالاضافة الى ما فى ذلك من صلة بينهما ...

ولقد ظهرت اول اشارة الى هذا اللقب على بطاقة نقادة ويدل هذا اللقب على النظام السياسى فى مظهره وتقاليده ، كان يتمسك بالظواهر الحضارية المحلية ويحافظ عليها فى اطار مصرى موحد . أما الاسم الثالث الذى ظهر فى هذا العصر فهو مايطلق عليه "اللقب النسوبيتى " الذى يدل على انتساب الملك لنبات البوص أو الاسل شعار مملكة الصعيد والنحلة شعار الدلتا وبذلك يتضح ان هذا اللقب يمثل ملك الوجه القبلى والبحرى . وان الغرض منه اظهار الفرعون بمظهر الوارث الشرعى لكل من المملكتين القديمتين صاحبتى الشعارين . ويوضح ذلك مدى ارتباط الملكية المصرية القديمة بالمظاهر البيئية المحلية الموجودة فى البلاد . وكان اول ظهور لهذا اللقب على الاثار فى عهد الملك دن ، ولكن لا يعنى ذلك بالضرورة انه لم يكن مستعملا فى عصر من سبقه من الملوك .

ويلاحظ فى هذين الاسمين — النبتى والنسوبيتى — ان الهة الصعيد وشعاره كانت تسبق تلك الخاصة بالدلتا ، وربما يرجع ذلك ان الملوك الذين قاموا بتوحيد البلاد كانوا من الجنوب ، وبالتالى جعلوا الهة قومهم وشعاره فى المقدمة .

اما الوسيلة الثانية التى قام بها الملوك فى بداية عصر الاسرتين الاولى والثانية فكانت الزواج من اميرات شماليات ، وذلك حتى يدعموا اواصر النسب بين الجنوب والشمال ، بالاضافة الى مافى ذلك من ارضاء

للشماليين وكان لذلك اثره الكبير فى سرعة المزج الحضارى بين شقى الوادى وبلورته حتى ظهر خلال هذا العصر فى صورة مصريةصميمة ٠

وبدأ الملك نعرمر الزواج من اميرات الشمال ، فتزوج من الاميرة الشمالية "نيت حتب" وخلد ذلك الحدث فى نقوش رأس مقمعته كما سبق القول ٠ وينسب معظم الباحثين لها المقبرة الضخمة التى عثر عليها فى نقادة ٠

ويبرر الاثرى الانجليزى والتر امرى وجود مقبرة الملكة بعيدا فى الجنوب الى انها قد ماتت قبل ان يتم اخضاع الشمال نهائيا ، وان الذى قام بدفنها هو ابنها حورعحا (١) ٠

ويعتمد فى تأييد هذا الرأى على حقيقة العثور على بعض القطع الاثرية التى تحمل اسم الملك حورعحا واسم الملك نعرمر واسم الملكة نيت حتب فى المقبرة التى تنسب اليها ٠

وتبع نعرمر فى هذا التقليد الملك جر الذى تزوج من الملكة الشمالية حرنيت وكشفت الحفائر التى اجريت فى منطقة سقارة وجود مقبرة لها هناك وتؤيد الاثار المكتوبة التى عثر عليها فى هذه المقبرة انها كانت زوجة

(1) Emery, W.B., Archaic Egypt., Edinbargh, 1963, B. 49.

للملك جر (١) ٠

وكان يصحب الملكات الشماليات عدد من الوصيفات ٠ اذ عثر في ابيدوس على بعض اسماء الاماء التى كان يدخل فى تركيبها المقطع "نيت" مما كان له اثره الكبير فى انتشار التزاوج بين الشماليات والجنوبيين وبالتالى تدعيم الروابط الاسرية والحضارية بين شطرى البلاد ٠

أما الوسيلة الثالثة التى اتبعها ملوك عصر الاسرتين الاولى والثانية فكانت السماح للوجه البحرى بشخصية متميزة فى ادارته تحت ظل التاجين فلقد كان للملكية فى هذا العصر كل خصائص الملكية فى العصور التالية ٠ واصبحت تنظيمات هذا العصر اساسا لكل التنظيمات التى اعقبتها فى الدولة القديمة ، الا انه يلاحظ ان ادارة الوجهين احتفظت فى البداية بطابع ثنائى كان الغرض منه ارضاء الشماليين ولو من الناحية النظرية على الاقل ٠

وعلى ذلك فقد قام النظام الادارى فى هذا العصر على اساس وجود فرع ادارى لكل افرع الادارة الهامة فى الدلتا ٠

واعتبر الملك فى هذا العصر حاكما مطلقا له صفة ٠ وسلطته كاملة على كل الشئون الدنيوية والدينية واستمد ذلك من طبيعته المقدسة

(1) Ibid . p 60.

التى آمن بها اتباعه • وكان لقبول المبدأ القائل ان مصر لم تكن يحكمها شخص من الوجه القبلي أو شخص من الوجه البحرى ولكن ينتمى لعالم الالهة بجانب حملة للصفة الانسانية اثره الكبير فى تدعيم الملكية المصرية اذ انه كان لاينتمى الى منطقة اقليمية معينة •

ويبدو ان الملك كان يرأس الادارة المركزية مباشرة ، اذ لاتكفى الادلة الاثرية التى عثر عليها لاثبات وجود وظيفة الوزير فى هذا العصر •

وكان يعاون مستشاران احداهما لشئون الوجه البحرى والاخر لشئون الوجه القبلى ويوضح ذلك رغبة ملوك هذا العصر فى ارضاء أهل الدلتا • وربما كانت اعلى وظيفة ادارية فى هذا العصر وظيفة "حامل الختم" التى تدل على الختام والخازن والامين ، وكان اكبر حملة الاختام فى اوائل هذا العصر هم حملة اختام ملك الوجه البحرى الذين كان لهم اشراف واسع على شئون الوجه البحرى ومصالحه •

ويرى بترى ان اول ظهور لهذا اللقب كان فى عهد الملك دن • وتوضح بطاقة ترجع الى هذا العهد ان حامل هذا اللقب كان (حما كا)[(١)]

وظهرت الشخصية المتميزة للشمال فى تكوين الادارة المالية فى هذا العصر اذ تكونت من بيتين للمال احدهما للشمال والاخر للجنوب واعتمدت

(1) Petrie, W.M.F., The Royal Tombs, 1, pl., xv, 16.

موارد بيتى المال على الضرائب المحصلة من المحاصيل الزراعية والحيوانات والمصايد وانتاج المصانع ٠

واعتمدت كذلك على ماتنتجه المحاجر والمناجم وماتعود به التجارة وماتستولى عليه الدول من اسلاب وغنائم فى حروبها الخارجية ٠

وكان يتولى كل بيت الانفاق على مشروعات الدولة ومرتبات الموظفين

واوضح نظام الادارة الاقليمية فى هذا العصر اهتمام الملوك بالشمال وعملهم على تدعيم الاقتصاد القومى للبلاد مما كان له اثره على مظاهر الانتاج الحضارى ٠

فقد كان من اهم مهام حكام الاقاليم الاشراف على القنوات والمحافظة عليها وتطويرها وكان عليهم العمل على الحصول من الارض بالطرق [illegible] على كل مايمكن الحصول عليه لزيادة الثروة العامة ومحاسبة [illegible] وكان على حكام الاقاليم كذلك القيام بعمل احصاء عام ، كان يجرى ابتداء من الاسرة الثانية كل عامين بانتظام ٠ ويبدو كذلك ان حكام الاقاليم كانوا مسئولين كذلك عن تجهيز الجيوش وقت الحاجة اليها ٠

وكان يقوم باعمال الرصد والتسجيل طائفة الكتبة الذين كان لهم دورهم الرئيسى فى بيوت المال والقصور الملكية لكتابة الاوامر والرسائل

ونسخها ٠

وساعد النظام الادارى على تقدم البلاد الحضارى ومن ناحية اخرى فقد استلزم النظام الادارى تدوين كل صغيرة وكبيرة مما ساعد على سرعة بلوغ الخط الهيروغليفى درجة كبيرة من الاتقان منذ هذا العصر ٠

أما الوسيلة الرابعة التى اتبعها ملوك عصر الاسرتين الاولى والثانية فكانت الاهتمام باقامة المعابد فى الشمال وزيارة الاماكن المقدسة الشمالية والاهتمام بالاحتفال بالاعياد الدينية والدنيوية وذلك كمحاولة منهم لتهدئة الشماليين وكسب رضاهم ومحبتهم ٠

ولقد اوضحت الاثار التى عثر عليها لملوك مصر الموحدة الاوائل اهتمامهم بهذا الامر ٠

ويوضح ذلك نقوش بطاقة ابنوسية عثر عليها فى ابيدوس وهى تخص الملك حورعحا (1) ٠ (شكل ٢٣) ٠ وتوضح نقوش هذه البطاقة قيام حورعحا بتأسيس معبد للالهة نيت ؛ اله مدينة سايس الشمالية وذلك رغبة منه فى كسب رضا الشماليين ومحبتهم ٠

(1) Legge, F , in psBA, 29 (1907), pp. 19-22.

وتوضح نقوش بطاقة عاجية عثر عليها فى ابيدوس قيام الملك جر بزيارة مدينتى بوتو وسايس المقدستان فى الوجه البحرى ٠

ويلاحظ ان الاحداث التى سجلها حجر باليرمو لعصر الاسرتين الاولى والثانية هى فى معظمها احتفالات بأعياد دينية قام الملوك بها تجاه معظم الالهة المعروفة فى ذلك العصر والتى تمثل معظم مناطق البلاد ، حتى يكسبوا محبتهم وولاءهم ٠

ومن هذه الاعياد عيد عبادة حور ، عيد ولادة انوبيس ، عيد سشر ، عيد مولد مين عيد عبادة حور رب السماء ٠

ويسجل حجر بالرمو كذلك كثيرا من الاعياد الدنيوية التى احتفل بها ملوك العصر ويتضح من اسماء كثير من الاعياد انها تميل الى تأكيد الشخصية الذاتية للشمال ، وذلك لارضاء اهله ٠

ومن هذه الاعياد عيد تجلى ملك الوجه القبلى ، عيد تجلى ملك الوجه البحرى ، والاحتفال بعيد التاج الاحمر والاحتفال بعيد اتحاد القطرين ٠

بالاضافة الى تلك الوسائل السابقة التى اتبعها ملوك هذا العصر فانه يستدل من الاحداث التى قامت فى اواخر الاسرة الاولى الفرعونية

بحدوث ميل نحو الشماليين وهو الامر الذى اكدته الاثار المعاصرة ، وكذلك اللاحقة وتتمثل هذه الاحداث فى قيام الملك سمرخت بمحو اسم سلفه الملك عدج ايب على بعض الاثار وقام الملك قع خليفة سمرخت بمحو اسم الاخير من على بعض الاثار الخاصة به .

ويضاف الى ذلك ان قائمة الملوك بسقارة قد بدأت بالملك عدج ايب واغفلت اسم خليفته سمرخت كما يلاحظ ان مقبرة عدج ايب فى ابيدوس هى اقل مقابر الاسرة الاولى هناك فى بنائها ومحتوياتها .

ويلاحظ كذلك ان الملك عدج ايب قد اتخذ لقبا جديدا عبارة عن صقرين فوق محطين يدلان على حور وست ، ويرى احد الباحثين انهما يرمزان لحور الدلتا وحور الصعيد وربما يشير الى سيادة الاله حور على كل من الشمال والجنوب ، مما يعنى الحد من نفوذ ست ولو بطريق غير مباشر ، اذ كان الصقر رمزا لاحد اقاليم الجنوب وهو اقليم هيراكونبوليس الذى عبد هناك مما اثار حفيظة عبدة ست تجاه الملك .

وتفسر هذه الاحداث على اساس انها تدل على ميل الملك عدج ايب للشماليين ميلا شديدا جعلهم يعتبرونه كأول ملك شرعى فى نظرهم وعلى ذلك فقد بدأوا به قائمة ملوكهم .

ولم ترض هذه السياسة خليفته الملك سمرخت الذى شن عليها غارة

هوجاء . مما اثار حفيظة الشماليين نحوه فلم يذكروه في قائمتهم .

ولكن خليفته الملك قع اعاد الامور الى ماكانت عليه من ود وميل نحو الشماليين ، واظهر سخطه بمحو اسم سلفه من على اثاره .

ويتضح مما سبق ان فراعنة مصر الاوائل لم يتركوا فرصة من الفرص لاخضاع الشماليين الا وانتهزوها — ويمكن القول ان محاولة اخضاع اهل الشمال يساعد المؤرخ في القول بأن هذه المرحلة الهامة من تكوين الحضارة المصرية القديمة كانت تجمع فعلا بين حضارتي الشمال والجنوب مما يعطيها وحدة حضارية محلية الا انه يلاحظ من ناحية اخرى ان الفراعنة قد اضطروا في بعض الاحيان الى القيام بعمليات قمع عسكرية تجاه الشماليين ، وذلك عندما يستدعي الامر ذلك حتى يستتب الامن في ربوع البلاد ، وتوضح الاثار التي عثر عليها لملوك هذا العصر قيام بعضهم ببعض العمليات العسكرية في الدلتا ومن ذلك قيام الملك خع سخم بحملة حربية في الشمال وذلك استنادا على ماورد من نقوش على بعض اواني هذا الملك والتي فسرت بعام محاربة الشماليين وكذلك مانقش على قاعدتي تمثاليه المصنوع احدهما من الاردواز والاخر من الحجر الجيري الصلب من صور للاعداء المذبوحين في مختلف الاتجاهات ، وسجل في المقدمة "الاعداء الشماليين وعددهم ٤٧٢٠٩" (1) .

(1) Quibell, T.E., orp. cit., p. 11.

وفى نهاية الحديث عن السياسة الداخلية فى عصر الاسرتين الاولى والثانية نتناول مسألة تصوير الملك برايب سن لحيوان ست فوق سرخه بدلا من الصقر حور .

فلقد اثار هذا الامر جدلا كبيرا بين علماء المصريات الذين رأى بعضهم انه يمثل ثورة دينية قام بها برايب سن ضد حور ، او انه يمثل نوعا من الصراع السياسى والدينى بين الشمال والجنوب .

ويمكن القول - اعتمادا على الادلة الاثرية - انه لم تكن هناك فى الغالب خصومات سياسية أو دينية ونقترح ترتيب الاحداث فى هذه الفترة على النحو التالى :

لقد هاجم الليبيون الدلتا فى عهد الملك نى نثر واحتلوها وانفصلوا بها عن الصعيد وحاول الملك نى نثر استرداد الدلتا فقام بالحروب هناك ولكنه لم يتمكن من استردادها ودحر الغزاة .

ومما يشير الى سوء الاحوال فى هذه الفترة ان الملكين الذين خلفا نى نثر على عرش البلاد لم يحكما لفترة طويلة ، ولم يعثر على اثار تذكر لهما ولما اعتلى العرش برايب سن اتخذ الاسم الحورى "سخم ايب" الذى يعنى قوى القلب ، وتلقب بلقب "برن ماعت" الذى قد يعنى الذى خرج للعدالة" ويدل هذان الاسمان "سخم ايب وبرن ماعت" على ان

الملك كان شجاعا ، وان حروبه لم تكن الغرض منها هو مجرد الحـــرب وسفك الدماء بل كان يبغى تحقيق العدالة المتمثلة فى تطهير بلاده من المعتدى الاثيم .

وانتسب الملك لاله آخر من الهة مصر الكبار هو الاله "رع" الذى ظهر على بعض اختام الملك مع اسمه المنتسب لست . ويتضح من ذلك ان الملك سخم ايب قد اراد خوض غمار هذه الحروب تحت رعاية بعض الهه مصـــر الكبار حتى تمنحه تلك الالهة النصر الموزر على اعدائه .

ونستدل من نقش عير كامل عثر عليه مكتوبا على جزء من آنية مصنوعة من الديوريت تحت الهرم المدرج بسقارة على قيام الملك بغزو للبلاد الاجنبيه التى كان المقصود لا منها الارض التى يحتلها الاجانب أى الدلتا .

ولم تؤد الجهود التى بذلها الملك سخم ايب الى دحر الغـــزاة وتطهير البلاد منهم فكان على خليفته الملك خع سخم مواصلة الجهـــاد لتحرير البلاد حتى تمكن من ذلك وطرد الغزاة ، وعاد للبلاد امنهـــا وسلامها .

هذا موجز مختصر لترتيب الاحداث فى هذه الفترة المضطربة ، امـــا عن الادلة التى تعتمد عليها فى عدم حدوث ثورة دينية أو قيام صـــراع سياسى بين الشمال والجنوب فى هذه الفترة فتتمثل فى حقيقة العثور علـــى

الاختام الخاصة بالملك والتى تحمل اسمه منتسبا لحور فى المقبرة التـــى تنسب اليه بأبيدوس جنبا الى جنب مع الاختام التى تحمل اسمه منتسبـــا لست (١) فـلو كانت هناك ثورة دينية ضد حور لما احتفظ الملك باختامه التى يظهر فيها اليه ·

ويستدل من الالقاب التى ظهرت فى هذا العصر - ان الملـــوك كانوا مرتبطين دائما مع حور وست فكان من الالقاب التى اتخذتها الملكات فى هذا العصر لقب "التى ترى حوروست" ·

كما ظهر على بعض الاثار لقب آخر يجمع بين الالهين وهو لقب " ساق حورون راع ست" (٢) مما يوضح انه لم يكن يوجد عداء بين حور وست فـــى هذا العصر ·

وقد ظهر فى احد اختام الملك التى كتب فيها اسمه منتسبا لست الا نه رع اله مدينة اون (هليوبوليس - عين شمس) وهو من الهة الشمال الكبرى ،

---

(1) Petrie, W.M.F., op. cit., p. 12.

(2) I bid., xxv11, 96, 129.

مما يشير الى عدم وجود نزاع بين الملك وبين الوجه البحرى ، والا لما انتسب الى احد الهتهم .

ثم اذا كان قد حدث صراع سياسى بين الشمال والجنوب اقتصر على اثره حكم برايب سن للبلاد على الجنوب فقط ، مما دعاه الى نبذ الاله حور والاستئثار بالاله الجنوبى ست فلم تمسك بآلهة الشمال وشعاره اللذان يدخلان فى الاسم النبتى والاسم النسوبيتى للملك ، اذ توضح الاثار بما لا يدع مجالا للشك اتخاذ الملك برايب سن للاسم النسوبيتى الذى يتكون من النحلة ونبات البوص والاسم الذى يتكون من الالهتين نخبت الالهة الحامية لمدينة نخب والالهة واجيت الهة مدينة دب فى شمال الدلتا . ويؤكد ذلك ان الملك لم يتعصب للجنوب ولم ينقم على الشمال .

ويضاف الى ماسبق ، ان اهل الوجه البحرى لم يناصبوا ست العداء ولم يكونوا له ضغينه بل يلاحظ ان مفكرى مدينة اون عندما كونوا تاسوعهم المقدس جعلوا من الاله ست أحد افراد هذا التاسوع .

ويتضح مما سبق انه لم توجد عداوة بين الشمال والجنوب فى ذلك العهد ولم يوجد عداء دينى بين الجانبين ، بل استمرت شعائر برايب سن تقام فى سقارة اكبر جبانات الوجه البحرى حتى عصر الاسرة الرابعة وصور زوسر الاله ست فى احد معابده ، ذلك الاله الذى افترض ان الملك برايب سن قد انحاز له ضد معبود الشمال حور واعترف احد رجال الاسرة الثالثة الكبار بالكهانة له .

رابعا : سياسة مصر الخارجية فى عصر الاسرتين الاولى والثانية

يرى كثير من الباحثين أن وجود علاقات وثيقة ومنتظمة بين مصر والاقطار المجاورة لها فى الفترة السابقة أو التالية لتوحيد البلاد مباشرة هو أمر بعيد الاحتمال (١) ، اذ توضح الادلة الاثرية وجود معاملات تجارية غير ثابتة ، وحملات عسكرية مصرية للدفاع عن حدود البلاد ولتأمين الحصول على السلع الغير متوفرة فى البلاد فلقد كانت علاقة مصر بالشعوب المحيطة بها يسودها السلام طالما لم تحاول تلك الشعوب غزو البلاد (٢) اما اذا حاولت احداها ذلك ، فانها كانت تلق جزاءها سريعا من فراعنة مصر الذين مافتئوا القيام بالحملات العسكرية لرد الغزاة الطامعين فى خيرات البلاد .

وعلى ذلك فانه يمكن القول ان السياسة الخارجية فى عهد الاسرتين الاولى والثانية لم تكن تقوم على اساس الغزو الخارجى بل كانت لمصر علاقات سلمية تجارية منذ عصور ماقبل الاسرات مع جيرانها وخاصة فلسطين ولقد اثبتت الادلة الاثرية المتمثلة فى العثور على مقامع كمثرية واوانى فخارية ذات ايدى مموجة عثر عليها فى مصر ، استيراد مصر لها من فلسطين (٣)

---

(١) Edwards, I.E.S., op. cit., p. 40 .

(٢) نجيب ميخائيل ابراهيم : المرجع السابق ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٣) رشيد الناضورى : جنوبى غربى اسيا وشمال افريقيا ، الكتاب الاول بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ١٩٧ .

وازدادت هذه الصلات فى عصر الاسرتين الاولى والثانية وامتدت حتى الساحل السورى بل ووصلت حتى جزيرة كريت(١) ٠

واستخدم المصريون فى هذا العصر المناجم الموجودة فى سيناء لاستخراج الذهب والفيروز واستغلوا المحاجر الموجودة فى الصحراء الشرقية وعلى ذلك فقد كان لزاما على الفراعنة أن يحافظوا على أمن وسلامة هذه القوافل المتجهة الى تلك المناطق ، كما كان عليهم العمل على تأمين طرق القوافل بين سورية ومصر (٢) ٠ ولذا تحدثنا الاثار عن قيام الفراعنة بتأديب البدو الموجودين فى تلك المناطق حينا بعد حين ٠

وسنتناول فيما يلى بالدراسة علاقة مصر بالدول المجاورة فى هذا العصر ، وهى النوبة وليبيا وفلسطين والساحل السورى وجزر شرقى البحر المتوسط ٠ وجنوب العراق القديم فى هذه الفترة ٠

---

(١) شارف (السكندر) : المرجع السابق ، ص٤٨ ٠

(٢) نجيب ميخائيل ابراهيم : المرجع السابق ، ص١٤٣ ٠

أولا : علاقة مصر بالجنوب :

اطلق المصريون على ارض النوبة اسم "تاستى" Ta - Zty (١) ، وكان يعيش فيها مجموعة قبائل من أهمهـا واوات وايرثت ويام ومازوى • وهم يعيشون فى مناطق فقيرة على المرتفعـات الغربية من النهر • ويعتمدون فى حياتهم على الزراعة وتربية المواشـــى وصناعة السلال والحصر • وترجع اهمية بلادهم الى وجود الذهـــب فى مرتفعاتها الشرقية ، ولكونها المنفذ الوحيد لبلاد السودان حيث العاج والابنوس وجلود الحيوانات • (٢)

ويرجح ان المصريين فى عصور ماقبل الاسرات كانوا ينتمون الـــى نفس الفرع الحامى الذى انتمى اليه سكان النوبة السفلى • وكان المصريون والنوبيون متقاربين لحد ما من الناحية الحضارية فى عصر ماقبل الاســرات الاول ثم بدأ الاختلاف بينهما منذ عصر ماقبل الاسرات الاوسط ، اذ لــم يستطع النوبيون أن يحافظوا على درجة التقدم مع جيرانهم الشماليين • ويوضح ذلك تجهيزات المقابر النوبية المعاصرة لمقابر عصر الاسرتين الاولى

---

(١) Gardiner, A.H., Ancient Egyptian Onomastica, vol. 2, p. 2.
ويذكر نيوبرى ان المصريين قد اطلقوا على النوبة أسم "ارض القوس" Ta - Pedt وذلك لكون القوس السلاح الرئيسى لسكانها • انظر Newberry, p.E; "Ta Tehenu 'Olive Land'" In Ancient Egypt, 1915, p 35

(٢) نجيب ميخائيل ابراهيم المرجع السابق ، ص ١٤١ ـ ١٤٢ •

والثانية فى مصر والتى كان أثاثها الجنازى فقيرا ، كما انها ظلت تـــزود بفخار وتجهيزات جنازية من نوع اختفى من المقابر المصرية بعد عصور ماقبـــل الاسرات الاخيرة (١) .

ويحتمل ان الحدود بين البلدين كانت تقع فى اول الامر فى مكان مـــا فى منطقة جبل السلسلة ، مما قد يفسر تسمية المصريين للمنطقة التى تقع جنوب جبل السلسلة حتى الاول ، وهى المنطقة التى تضمنـــت الأقليم الاول فى مصر العليا ك "ارض النوبة" "T3 Sty" فـــى القوائم التاريخية (٢) .

وتوضح بطاقة ابنوسية للملك عحا (٣) عثر عليها فى ابيدوس ، لم يتبقى منها سوى جزئها العلوى قيام الملك عحا بحملة عسكرية فى النوبة ، احضر فيها العديد من الاسرى ، الذين سجلت اعدادهم فى الجزء السفلى من البطاقة التى لم يعثر عليه ـ كما يرى بترى (٤) أو انها كانت تعبر عـــن الاحتفال بضم هذا الاقليم الى مصر (٥) .

---

(1) Edwards, I.E.S., op. cit., p. 50 .

(2) Ibid., p. 50.

(3) Petrie, W.M.F., The Royal Tombs, II, pl. xI,I.

(4) Ibid., p. 20.

(5) Edwards, I.E.S., op. cit., p. 50 .

وبذلك تمكن عحا من مد حدود مصر الجنوبية ، فيما وراء جبل السلسلة الذى يرجح انه كان يمثل حدود مصر الجنوبية من قبل (١) حتى الشـــلال الاول (٢) .

وواصل الملك جر سياسة سلفة الجنوبية ، فتوغلت جيوشه جنوبا حتـى الثاني . اذ عثر عند النهاية الجنوبية لقمة جبل الشيخ سليمـــان قرب وادى حلفا (٣) على نص صخرى يسجل قيام الملك جر بحملة عسكرية فى النوبة . ويظهر فى هذا النص مركب ذات مقدمة مرتفعة بامتداد ومؤخـــرة قائمة . ويوجد امام المركب شكل انسانى كبير يجلس فى مواجهة المركـــب ويداه مقيدتان خلف ظهره ، ويمر حبل حول رقبته يبدو أن نهايته متصلة بمقدمة المركب . ويوجد حبل آخر مشابه يمر حول صدره . ورجح Arkell (٤) ان يكون هذا الشخص زعيم نوبى .

---

(١) Ibid., p. 23.

(٢) Emery, W.B; Arohaic Egypt, p. 51.

(٣) جبل الشيخ سليمان هذا عبارة عن تل صغير من الحجر الرملى يقـع شمال قرية عبد القادر وغرب موقع بوهن الجنوبى بحوالى نصف ميـــل مباشرة والتى تعرف محليا كور . انظر :
Arkell, A.J., "Varia sudanica" In J.E.A., 36 (1950), pp. 27-29, Fig. I, p. 28.

(٤) Ibid., p. 29.

ويوجد بين هذا الشخص والقارب شكل انسانى أصغر يبدو وأنه سقط ميتا ويوجد تحته شكل انسانى آخر مستلقى على ظهره يبدو وانه يعانى من سكرة الموت · ويوجد اسفل المركب جثتين انسانيتين · ويوجد فوق الحبل الذى يمر حول رقبة الشخص الجالس فى مواجهة المركب مايشبه بناء له قمة دائرية عليه خطوط راسية وافقية يبدو وانها تشير الى تفاصيل بنائه · وظهر فى اسفل المنظر علامتى مدينتين ، يوجد على احداها الصقر وعلى الاخرى مايبدو وانه المشيمة الملكية ـ كما رأى Arkell ·

وفى نهاية النقش يوجد سرخ الملك جر · ولقد مثل الصقر بشكل ردىء · وظهر امام سرخ الملك رجل واقف ويدا خلف ظهره ، وتوجد فى يديه العلامة 𓋋 التى تمثل بلاد النوبة (١) ·

ويستحيل الجزم ـ كما يرى ايمرى (٢) فيما اذا كان هذا النقش يسجل انتصارا فعليا للملك جر فى النوبة ، أم أنه يسجل مجرد حملة تأديبية قام بها جر · ويرى عبد العزيز صالح (٣) ، ان ذلك يعبر عن

(1) Emery, W.B., op. cit., p. 60.

(2) Ibid., p. 60 .

(٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٩١ ·

اتساع التبادل التجارى فى عهد جر مع بلاد النوبة أو السودان ، وزيادة استغلال مناجم الذهب فى وادى حلفا ، وقيام الجيش بحماية هذا التبادل أو ذلك الاستغلال .

ويرى عديد من المؤرخين أن الملك خع سخم قد قام بحملة عسكرية فى النوبة ، وذلك اعتمادا على ما ورد من نقش على جزء من لوحة مصنوعة من الكوارتز (١) تبين جزءا من أسير راكع على منصة ، صور بهيئة تشبه الشكل الذى اعتاده المصريون فى تصويرهم لليبيين (٢) . وهو الانف المعقوف واللحية ، وظهر شكل يبدو انه الملك يركع فوقه . ويوجد اسفل هذا المنظر الاسم الحورى للملك خع سخم ، وامامه مجموعة من النقوش يمكن أن تقرأ " هزيمة البلاد الاجنبية " (٣) .

ويقترح الدارس أن يكون هذا النقش مكملا للنقوش الموجودة على قاعدتى تمثالى خع سخم واللذان يشيران الى حروبه ضد الليبيين فى الدلتا كما رجح الدارس من قبل — وذلك نظرا لان هيئة الاسير المصور فى النقش السابق تشبه هيئة الليبين ، كما ان العلامة التى فوق راسه من الممكن أن

(1) Quibell, J.E., Hierakonpolis, II, pl LvIII, pp. 47-48.

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٢٧٦ .

(٣) Quibell, J.E., op. cit., p. 48 .

تكون قوسا أو ريشة ـ كما رأى عبد العزيز صالح (١) ـ وفى الحالة الاخيرة تكون نسبته لليبيين غير مشكوك فيها ·

ومما يدعو الدارس الى هذا الاقتراح كذلك ، أن أحوال العصر كانت تتطلب من الملك خع سخم توجيه كل نشاطه وامكانياته تجاه الشمال حتى يتمكن من طرد الليبيين ، ويعيد البلاد الى ماكانت عليه من قبل ، اكثر من توجيه اهتمامه ناحية الجنوب ·

وعلى اية حال فلقد كانت العلاقات الطبيعية بين البلدين أساسا هى علاقة سلمية اساسها التبادل التجارى فاستورد المصريون من هناك الابنوس والعاج وربما الابسيدان كذلك فى مقابل بعض المنتجات المصرية مثل الاوانى الفخارية والحجرية (٢) ·

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٢٧٦ ·

(٢) Edwards, I.E.S., op. cit., p. 5I.,
Vercoutter, J., op. cit., p. 269.

ثانيا . علاقة مصر بالغرب

أما عن العلاقات بين مصر وليبيا في عصر الاسرتين الاولى والثانية ، فيلاحظ ان الوجه البحرى كان معرضا دائما لهجوم الليبيين القاطنين غربه ، وتشير أقدم أخبار الوجه البحرى الى منازعات ومشاحنات مستمرة مع الليبيين (١) .

ومن بين الشعوب الليبية العديدة التى ذكرت في الآثار المصرية ، لم يرد في آثار عصر الاسرتين الاولى والثانية سوى سكان المنطقة التى تسمى تحنو Ṯḥnw وظهر اسم هذه المنطقة على الآثار المصرية فى أول الامر في لوحة الحصون والغنائم ، ثم ظهر على ختم عاجى للملك نعرمر على شكل ، وبعد عهد الدولة القديمة حتى الاسرة الثامنة عشر كتب ونجده (٢)

ويرى نيوبرى أنها تعنى "أرض الزيتون" وذلك نظرا لأن الزيتون كان من أهم منتجات أرض تحنو ، وبذكر أنه قد سمى في قوائم قرابين

(١) برستد : جيمس هنرى ، تاريخ مصر ، ص ٢١

(2) Gardiner A. H. Ancient Egyptian Onomastica, vol. I., pp 16

الدولة القديمة زيت التحنو hatt ṭehenu (١)
وفيما يتعلق بموقع ارض التحنو ، فيرى نيوبرى أن أرض الزيتون كانت تتكون في الازمنة المبكرة من منطقة بحيرة مريوط وكل المنطقة الواقعة غرب الفرع الكانوبي للنيل ، ويحتمل أيضا معظم الدلتا نفسها (٢) .

ويرى أحمد فخرى انه يحتمل انها كانت توجد في مريوط وواحة سيوة والبحرية وبرقة (٣) . ويرى جاردنر أن أرض التحنو أما انها كانت تحتوى الحدود الغربية للدلتا أو انها كانت تقع خارجها مباشرة (٤) وصورت المناظر المرسومة على جدران معابد الدولة القديمة شعب تحنو بعدة ملامح مصرية فلون بشرتهم أحمر داكن ، ولهم لحية قصيرة وعلى جباههم خصلة شعر ، كما علقوا زيل الحيوان خلف النقبة وامامها ، حتى عندما كانوا يصورون أمراة فانه كانوا يعلقوب جراب عضو التذكير الذى نسبه المصريون أحيانا (٥) . ويرى جاردنر ان هذه الخصائص تميز التحنو عن التمحو الليبيين وتظهرهم بأنهم ذوى قرابة شديدة للمصريين (٦) .

(1) Newberry, P.E., op. cit., pp. 97-98.

(2) Ibid., p. 99.

(3) Fakhry, A. Bahria Oasis, I, Cairo, 1942, p.5;

(4) Gardiner, A.,H. op cit., p. 119

(5) Edwards, I.E.S., op cit., p. 47.

(6) Gardiner, A.H., op cit, p 1[illegible]

وبالاضافة الى ذلك قد اتخذوا بعض الاسماء المصرية (١) ويــــرى جاردنر انه توجد عديد من العبادات التى ربطت بين التحنو وغرب الدلتا ومن ذلك الاله ‏"Thnw" "صاحب التحنو" الذى يوجـد بين آلهة مصر السفلى والذى يحتمل انه يتطابق مع الاله Hr Thnw وانه ذكرت كذلك الالهة Thnw Nit نيت صاحبة التحنو مره (٢) .

ويبدو انه نتيجة لمظهرهم الملكى فقد اطلق عليهم " حاتيوعـــا " hatiw-c وهى الكلمة المصرية الشائعة التى تعنى أمراء (٣) ويرى ادواردز (٤) ان التقسيم بين الشعبين قد نتج عن عدم اخضاع ملوك مصر العليا لل"حاتيوعا" اخضاعا كاملا عند قيامهم بجهودهم الحربيـــة لتوحيد البلاد .

وتوضح الشواهد التاريخية فى مرحلة تالية أن هذه البلاد كانـــت غنية جدا . فلقد سجل الملك ساحورع أحد ملوك الاسرة الخامسة انه احضر غنائم من هناك تقدر بحوالى ١,٢٣,٤٤٠ ثور و ٢٢٣,٤٠٠ حمــــار و ٢٣٢,٤١٣ راس ماعز و ٢٤٣,٦٨٨ راس غنم . وتوحى هذه الاعـــداد

(1) Fakhry, A., op. cit., p.6.

(2) Gardiner, A.H., op, cit., p II8.

(3) Gardiner, A.H., op. cit . p II7.

(4) Edwards, I.E.S., op. cit., p 47 .

الضخمة بأن هذه البلاد كانت تضم بين حدودها أراضي غنية جـــــدا بالحشائش(١) .

ويستدل من الاثار التى عثر عليها للملك نعرمر قيامه بحمله فى هـذه البلاد . فتوضح نقوش الصلاية الاردوازية الكبرى للملك وهو يهم بضـــرب أسير ، رأى عديد من العلماء انه يمثل زعيم الاقليم الشمالى الغربـــى للدلتا ، أو زعيم بحيرة التى كانت شعارها الحربة ، والتى رأى سنيوبرى(٢) انها بحيرة مريوط .

ويرجح انها تعبر عن هزيمة الملك لاهل هذه البلاد وسجـــل الملك هذا الانتصار على ختم عاجى صغير عثر عليه فى هيراكونبوليس (٣) . ويظهر فى هذا الختم اسم الملك الذى يتكون من سمكة وازميل ، وقد رسمت السمكة ولها ايد ادمية ممسكة بعصا طويلة تهم بضرب عدد من الاســرى رسموا فى صفوف ثلاث ، وقد قيدت ايديهم خلف ظهورهم وظهر فـــى هذا النقش العلامة التى تشير الى أرض التحنو ومن الممكن ان تكون لوحة الحصون والغنائم ، التى رجح انها ترجع لعصـــر الملك نعرمر ، تشير الى نفس العلامة وعلى ذلك فهى تشير الى الغنائم التى غنمها الملك من هذه البلاد .

---

(1) Newberry, p.E., op. cit , p. 99.

(2) Ibid., p 99.

(3) Quibell, J.E.; Hierakonpolis, I, pl. xv, 7.

وعثر فى المقبرة رقم ٣٤٧١ التى تنسب للملك جر بسقارة على لوح من المرمر (١) عليه نقش يصور الملك وهو فى الهيئة المعتادة للفرعون المنتصر يضرب اسيرا ليبيا (٢) ٠

ويرى ادوارز (٣) أن ذلك ربما يعبر عن قيام الملك بحملة ضـــد الليبيين ٠ ولقد عثر فى مقبرة الملك قع بأبيدوس (٤) على قطعة عاجية منحوتة بشكل جيد على هيئة أسير تدل هيئته على انه ليبى ، مما قد تدل علــى قيام الملك بتأديب الليبيين المقيمين غرب البلاد ٠

ورغم تلك الاشارات المتكررة الى قيام حملات ضد الليبيين فى غـــرب الدلتا فانه يبدو أن الملك دن قد احضر زيت الزيتون من ارض التحنـــو بالطرق الودية اذ يظهر على احدى بطاقاته التى عثر عليها فى ابيدوس (٥) العلامات [hieroglyphs] التى يمكن أن تقرأ he Thnw "زعيـم

---

(1) Emery, W.B., Great Tombs, I, p. 60, Big 3I .

ويبلغ اقصى طول لهذه البطاقة ٢٧,٩ سم ، واقصى عرض لها ١٣,١ سم واقصى سمك لها ١٦,٠ سم٠

(2) Emery. W B., Archaic Egypt. p.60

(3) Edwards I.E S . op cit., p 24

(4) Petrie W M.F The Roya Tombs. I. pl xvII. 30. p 23

(5) Ibid pl xv. I6

التحنو" كما يمكن أن تدل على "زيت التحنو" أو ان تكون تعبر عن اسم اقليم ثنى (١) ويفضل الدارس تفسيرها على اساس انها تعنى "زيت التحنو" وذلك على اعتبار أن هذا الجزء من البطاقة يذكر العطايا التى أهداها الملك للمعبد عند التأسيس(٢) ، ومن بينها الخشب والنبيذ وكذلك الزيت الذى احضره الملك من ارض التحنو ومما يرجح ان هذا الزيت قد جلب بالطريق الودى عدم اشارة الاثار الى قيام الملك دن بالحرب فى ارض التحنو .

ويتضح مما سبق أن العناصر الليبية التى عرفت فى عهد الاسرتين الاولى والثانية كانت عناصر التحنو وانها كانت تقيم غربى الدلتا مباشرة ، وان ملوك هذا العصر قاموا بالعديد من الحملات التأديبية هناك وذلك لتأمين حدود البلاد الغربية . ورغم ذلك فقد تمكن الليبيون فى عهد برايب سن من احتلال الدلتا لفترة من الوقت الى ان جاء الملك سخم سخم على عرش الكنانة وتمكن من طردهم منها . واحضر الفراعنة من هذه البلاد الكثير من منتجاتها كجزية مثل الماشية والماعز والاغنام . وكان

---

(1) Ibid., p. 4I.

(2) Legge, F., "The Tablets of Negadha and Abydos", Inp. S.B.A., vol. 29 (1907), pp. I04 - I05.

زيت الزيتون الذى اشتهرت به هذه البلاد من بين المواد التى احضرهـا الفراعنة من هناك . وكانوا يهدونها للمعابد ويحتفظون بها فى مقابرهم .

ثالثا : علاقة مصر بالشمال الشرقى :

أما عن العلاقات بين مصر وسوريا وفلسطين فانه يبدو انه كان لمدن الدلتا الواقعة عند مصبات فروع النيل القديمة بالقرب من البحر المتوسط علاقات تجارية مع مدن سواحل سوريا منذ عصور ماقبل الاسرات مما اثر فى رخائها وثرائها (١) .

ويؤيد وجود تلك الصلات العثور فى أرضية معبد فى بيبلوس (جبيل) يؤرخ بعصر الدولة الوسطى من عديد من الاشياء التى استخدمها المصريون بكثرة فى عصور ماقبل الاسرات مثل السكاكين المصنوعة من الظران واللوحات وعقد ذهبى وقطعتى لعب وغيرها من التمائم الحيوانية الصغيرة . وان حقيقة وجود هذه الاشياء تحت ارضية المعبد يوضح انها تكون جزءا من ملكية الهيكل المبكر الذى أعيد بناؤه ، وان التجار المصريين قد أحضروها معهم كقرابين لارضاء الالهة المحلية "سيدة بيبلوس" (٢) .

(١) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ٢ ، ص٤٦ .
Edwards, I.E.S., op. cit., pp. 45-46.

(٢) يلاحظ ان الالهة الفينيقية قد تعددت . وكان لكل مدينة الهها الرئيسى الخاص بها . وفيما يتعلق بمدينة بيبلوس (جبيل) فقد تكونت مجموعتها الالهية الرئيسية من الالهة ال وبعلة وادون انظر رشيد الناضورى المدخل فى التطور التاريخى للفكر الدينى ، الكتاب الثالث بيروت ، ١٩٦٩ ، ١٤٣ .

ولقد كان الدافع الاقتصادى هو الدافع الرئيسي المباشر فى تلك الصلات اثناء هذا العصر ·فاحضر المصريون خشب الارز الذى عثر على بعض قطع منه فى مقابر البدارى (١) ·

ونظرا لازدياد أعباء الحياة ومتطلباتها عند بداية العصر التاريخى فى مصر ، وهى المرحلة المعبر عنها اثريا بنهاية الطبقة الرابعة وبداية الطبقة الخامسة فى موقع بيبلوس ، فلقد اتسعت دائرة الصلات الخارجية وزاد نطاق نشاطها نسبيا · ومما يؤيد ذلك العثور على نسبة كبيرة من التمائم الحيوانية المصرية وبعض الاوانى الحجرية ، التى من أهمها قطعة من انية حجرية مصقولة عليها اسم الملك خع سخموى آخر ملوك الاسرة الثانية · وقد احضرتهذه الاثار مع عمليات النشاط الاقتصادى وعثر عليها أما فى ودائع الاساسات أو فى الطبقات المعاصرة (٢) ·

وكان الهدف الرئيسي الذى هدفه المصريون من هذه الصلات هو الحصول على اخشاب لبنان ، التى استخدموها فى تشييد مصاطب أبيدوس وسقارة وغيرها (٣) · وربما استخدمت كذلك فى صناعة السفن الكبيرة منذ

---

(١) رشيد الناضورى : اقدم صلات حضارية بين مصر ولبنان ، مجلة كلية الاداب ـ جامعة الاسكندرية ، ١٩٦٨ ، ص٥ ·

(٢) نفس المرجع السابق ، ص٦ ·

(٣) Edwards, I.E.S , op. cit., p. 46.

عهد الملك حور عحا (١) ٠

كما احضر المصريون من هذه البلاد الزيت والراتينج Resines الذى احضر فى اوانى فخارية عثر عليها فى مصر ، وهى توضح الملامح السورية أما فى زينتها أو فى شكلها (٢) ٠ وربما صدرت لهم مصر فى مقابل ذلك معدن النحاس(٣) ٠

وتوضح بعض الادلة الاثرية وجود علاقات اقتصادية منذ عصر ماقبل الاسرات الاخيريين مصر وفلسطين ويتمثل ذلك فى العثور على عدد من الاوانى الفخارية ذات الايدى المموجة فى المعادى وجرزة ونقادة وغيرها، الذى يرجع فى أصوله الى فلسطين حيث عثر عليه فى الطبقة الثامنة فى جريكو والطبقة الثامنة عشرة فى بيت شان (٤) ٠ وعثر فى تل الشيخ جنوب فلسطين على شقفة من الفخار تحمل اسم الملك نعرمر ٠ ولكن لايعنى ذلك أن نعرمر قد وصل الى هذه البلاد ، وذلك لعدم توفر الادلة الاثرية الوافية ٠ إذ لا يدل وجود اسماء الحكام دائما على حدوث غزو حربى

---

(١) وذلك كما يعتقد كيس ٠ انظر :
عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٩٢ ٠

(٢) Edwards, I.E.S., op. cit., p. 46.

(٣) يرى ذلك مالوان Mallwan ، انظر :
Emery, W.B., op. cit., p. I8.

(٤) رشيد الناضورى : جنوبى غربى آسيا وشمال افريقيا ، الكتاب الاول ، ص ٢١ ٠

بل ربما يدل على وجود صلات اقتصادية وحضارية بين البلدين (١) ٠

هذا وينسب بعض المؤرخين الي ملوك عصر الاسرتين الاولى والثانية القيام بعمليات عسكرية في آسيا ٠ ويعتمدون في ذلك على ما ورا٠ في بعض بطاقات الملوك ولوحاتهم من تصوير لفتح حصون ، مثلما يظهر ذلك على صلاية الملك نعرمر وعلى بطاقة الملك د ن (٢) ٠

ولكن من المستبعد قبول هذا الرأى ، نظرا لصعوبة القيام بهذه الاعمال في هذا العصر ٠وعدم أهميتها من وجهة نظر الفراعنة في ذلك العصر الذى وجهوا فيه كل اهتمامهم نحو تدعيم وحدة البلاد والنهوض بها اقتصاديا وحضاريا وتأمين حدودها ٠ ويرى الدارس ان الصلات بين مصر وهذه البلاد اقتصرت في هذا العصر على الصلات السلمية المتمثلة في التبادل الاقتصادى بينهما (٣) ٠

---

(١) رشيد الناضورى : اقدم صلات حضارية بين مصر ولبنان ، ص٦ ٠

(2) Petrie, W.M.F., op. cit., pl. xv, I6.

(3) Vercoutter, J., op. cit., p. 269.

ويبدو أن تلك العمليات العسكرية كانت داخل الحدود المصرية نفسها اما فى الصحراء الشرقية أو فى سيناء ٠ وكان الغرض منها تأديب البدو القاطنين فى هذه الجهات وذلك لتأمين طرق القوافل التجارية ، وطرق القوافل المتجهة للمحاجر فى الصحراء الشرقية أو المناجم فى سيناء اذ توضح الادلة الاثرية ان فراعنة مصر قد ارسلوا البعثات التجارية الى الصحراء الشرقية منذ عهد نعرمر ، الذى وجد اسمه منقوشا على صخور وادى القاش بجنوب الطريق التجارى الذى يربط بين قفط والقصير (١) ٠

وتدل الاثار التى عثر عليها فى المقبرة التى تنسب للملك جر بأبيدوس على احضاره الفيروز من سيناء الذى استخدم فى صناعة الاساور الاربعة الرائعة الصنع (٢) ٠

ويبدو انه قام بحملة عسكرية لتأديب البدو القاطنين فى هذه البلاد اذ تذكر حولياته المسجلة على حجر بالمو وحوليات القاهرة قيامه بضرب ارض Setjet وهو الاسم الذى اطلق فيما بعد على كل غرب آسيا والذى من المحتمل انه كان مقتصرا فى هذا العصر على سيناء (٣) ٠

---

(1) Emery, W.B., Archaic Egypt, p. 47.

(2) Petrie, W.M.F., Royal Tombs, II, pp. I6-19, pl. I.

(3) Edwards, I.E.S., op. cit., p. 13-23.

كما عثر على اسم الملك جت مكتوبا على صخرة فى احد وديان الصحراء الشرقية بالقرب من ادفو (١) ٠

ولقد ظل هذا الدرب مستخدما فى جميع العصور سواء للتجارة أو للحصول على بعض معادن هذه المنطقة وبخاصة الذهب(٢) ٠

وسجل الملك دن كذلك على بطاقة من بطاقاته تأديبه لاهل هذه المناطق ٠ وتقول نقوش هذه البطاقة اول مرة لضرب الشرق (٣) ٠ وربما يشير ذلك الى تأديبه للبدو فى سيناء أو فى الصحراء الشرقية ٠ ويرى ادواردز ان هؤلاء الشرقيين يبدو انهم هم الذين ذكروا فى السطر الثالث من حجر بالرمو ك *iw ntiw* والذين لقوا مصيرا مشابها (٤) ٠ على يد خليفته الملك عبج ايب(٥) ٠

(١) Clere, J.J. "Un Graffito du Roi Djet dans le Desert Arabique" In Ann. Senv, xxxvIII (1938) pp. 85-93.

(٢) احمد فخري : مصر الفرعونية ، ص٧٩ ٠

(3) Newberry, P.E., and Wainuright, G.A., " King Udy - mu (Don) andthe palermo Stone", In Ancient Egypt, 1914, p. 150, Fig. 3.

وهى من مجموعة اثار ماك جريجور) ٠

(٤) Edwards, I.E.S. op. cit., p. 27.

(٥) عبدالعزيز صالح : المرجع السابق ، ص٢٩٢ ٠

أما الملك سمرخت فقد ترك نقشا في وادي مغارة في سيناء (١) يوضح تأديبه للبدو الموجودين في هذه المناطق ..

ويتضح من ذلك ان علاقة مصر مع سوريا وفلسطين في عصر الاسرتين الاولى والثانية كانت علاقة سلمية اساسها التبادل التجارى ، وان نشاط الفراعنة العسكرى في شرق البلاد كان قاصرا على تأمين طرق القوافل التجارية والبعثات الاقتصادية التى تعمل في المحاجر والمناجم في الصحراء الشرقية وسيناء .

أما عن الطريق الذى اتبعته القوافل التجارية بين مصر والساحل السورى ، فيرجح معظم المؤرخين (٢) انه كان عن طريق البحر وذلك نظرا لصعوبة استخدام الطريق البرى في هذا العصر .

---

(1) Gardiner, A., and peet, I.E., The Insocriptions of Sinai partI, Inrtoduction and Plates, London, 1917. pl. I.

ويرى بعض المؤرخين ان هذا النقش خاص بالملك سخم خت الذى حكم بعد زوسر في الاسرة الثالثة أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٨١ .

(2) Frankfort, H., "Egypt and Syria in the First Interediate Period", In J.E.A., vol. 12 (1926), pp. 80-86..

Edwards, I E.S , op cit . p. 46

رابعا : العلاقات بين مصر وجزر البحر المتوسط :

أما عن العلاقات بين مصر وجزر البحر الابيض المتوسط فانه يستدل من الكشوف الاثرية على احتمال وجود علاقات تجارية معينة بين مصر وجزر البحر الابيض المتوسط ، ولا سيما بين مصر وجزيرة كريت منذ عصر ماقبيل الاسرات . ويرجح ذلك العثور على اوانى لها رقبة ضيقة واربعة أيادى عمودية حول الوسط فى البدارى وهى تشبه الفخار الذى عثر عليه بترى فى ابيدوس وأطلق عليه الفخار الايجى (١) .

ولقد عثر فى ابيدوس على عدد من الاوانى الاجنبية فى المقابر التى تنسب للملك جر ، وسمرخت ، ولقد نسبها بترى الى اصل أيجى (٢) . وذلك على اساس أن طرازها لم يعرف فى مصر ، وان هذا الطراز يشبه النمط الايجى . ويرى بترى ان الاصل الاجنبى لهذه الاوانى أمر بعيد عن التساؤل (٣) .

---

(١) يلاحظ أن هذا الفخار الذى عثر عليه فى المقبرة رقم ٥٦٩ أبالبدارى لا يرجع الى عصر هذه الحضارة ، اذ يرجح انه يرجع الى عصر ماقبل الاسرات .

(٢) Baumgartel, E.J., op. cit . pp 11-12.
Petrie, W.A.F . The Rogal tombs, 11, pp. 117 pp 46-47.

(٣) . Abydos. I pl vIII

كما عثر ايمرى فى سقارة على آنيتين من هذه الاوانى الايجية فى المقبرة (١) التى تنسب للملك جت ، واعطاها رقم G II ' G 9

وعثر رزق الله مكرم الله كذلك فى حفائره التى قام بها فى سقارة على نماذج من هذه الاوانى وان كان يرى انها تقليد مصرى منقول عن النموذج السورى أو الايجى (٢) .

ومن ناحية اخرى فيذكر سليم حسن انه عثر على بعض أثار مصنوعة من حجر الابسيدان " (الزجاج البركانى) فى المقابر المصرية منذ عصر ماقبل الاسرات ، ويذكر ان هذه المادة لاتوجد فى جبال مصر قط ولكنها توجد بكثرة فى جزر بحر ايجة وكذلك فى بلاد الحبشة وارمينيا ، ويحتمل ان مصر كانت تستورده من هذه البلاد . ويذكر انه عثر كذلك على بعض اشــــياء مصنوعة بحجر سليم حسن الى تسميتها مادة الصنفرة فى مقابر عصر ماقبل الاسرات ، ويرى انه لا يمكن أن يكون اصلها الا من جزر الارخبيل وبخاصة جزيرة (نكسوس) أو آسيا الصغرى . (٣) .

---

(1) Emery. W.E., Great Tombs, II, p; 75, Fig 88, G9. GII
(2) Macramallah, R., un Cimetiere Archaique de la classe Moyenne du peuple a Saqqarah, le caire. 1940 Figs. 14-15, p 12

سليم حسن المرجع السابق ، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧

ويرى البعض ان مصر كانت تصدر لكريت معدن النحاس في مقابـــل النبيذ والزيت(١) • الذى ربما يكون قد جلب في هذه الاوانى التى عثر على نماذج منها في مصر ولقد عثر في انقاض المنازل التى ترجع الى العصر الحجرى الحديث المتأخر اسفل البهو الرئيسى لقصر مينوس في كريت على قطع لاوانى حجرية تشبه في صناعتها الاوانى المصرية في هذا العصر (٢) •

أما عن كيفية وصول هذه الاشياء الى مصر فتختلف بشأنهـــا آراء العلماء • ولكن يحتمل قيام المصريين بهذه الرحلات(٣) خاصة وانهم قد وصلوا الى سواحل فينيقية من قبل • ومن الجائز كذلك ان أهل كريت قد قاموا هم الاخرين بمثل هذه الرحلات اذ كانوا قد اعتادوا الملاحة بين جزر بحر ايجة • فمن المحتمل ان يندفعوا في رحلاتهم نحو الجنوب حتى الدلتا (٤) •

(١) يرى ذلك مالوان ، انظر

Emery, W. B., Archaic Egypt, p. 18

2. Evans, A.. The palace of Minos, Acomparative Account of the Successive stages of the Early Cretan Civilization as Illustrated by the Diocoveries, At Knossos, vol II, part I, London, 1928, p.30, F. 12.

(٣) شارف (الكسندر) . المرجع السابق ، ص ٤٨

(٤) سليم حسن . المرجع السابق ، ص ٢٥٨

ولسون (جون) المرجع السابق ، ص

وهناك احتمال ثالث وهو ان كلا الطرفين كانوا يتقابلون على الساحل السورى فى ميناء جبيل (بيبلوس) .

خامسا : العلاقات بين مصر وجنوب العراق :

أما عن صلات مصر بجنوب العراق فى عصر الاسرتين الاولى والثانية فيرى عديد من المؤرخين انه وجدت صلات تجارية وحضارية بين مصر وجنوب العراق فى الفترة المبكرة لعصر الاسرتين الاولى والثانية والفترة السابقة لها . وتوضح تلك الصلات حقيقة العثور على مجموعة من الاوانى الفخارية ذات الصنابير المائلة وكذلك على بعض الاوانى ذات الاذان المثلثة فى مستجدة والبدارى . وتنتمى تلك الاوانى الى العراق القديم فى عصر حضارة جمدة نصر (١) ويلاحظ ان نموذج تلك الاوانى ذات الصنابير يظهر فى لوحة نعرمر الاردوازية ، مع اختلاف بسيط وهو ان الاناء الذى يحمله حامل فعلى الملك له يد يمسكه به . وعثر كذلك على اربعة اختام اسطوانية فى كل من جرزة ونجع الدير وهى تنتمى الى عصر حضارة الوركاء وعصر حضارة جمدة نصر (٢) فى العراق القديم .

---

(١) رشيد الناضورى : جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا ، الكتاب الاول ، ص ٢١٠ ـ ٢١١ ، شكل ٥٧ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢١١ .

ويلاحظ ان الاسطوانة المحفورة قد استخدمت خارج مصر والعراق فى عيلام والاناضول عند بداية التاريخ (١) ·وتوضح المادة التى صنعت منها هذه الاختام الاربعة التى عثر عليها فى مصر وكذلك الاشكال التى نقشت عليها بأنها قد صنعت فى بلاد النهرين (٢) · ويرى ادوارد ز (٣) ان الدلائل التى تشير الى اصلها الميزوبوتامى هى اكثر تاكيدا من أى مناقشة يمكن أن تقدم لتفضيل أصل آخر لها ·

ولم ينقل المصريون هذه الفكرة كما هى بل استخدموا الاسطوانات المحفورة لغاية لاشبيه لها فى بلاد مابين النهرين (٤) · فاستخدمت كأختام تكتب عليها اسماء الموظفين والقابهم وكذلك بعض اسماء الملوك وهذا يظهر الاختلاف بينها وبين الاسطوانات العراقية التى كانت تحمل رسوما لانقوشا · وزيادة على ذلك فان الاختام المصرية كانت تصنع عادة من الخشب ، وهى المادة التى لم تستعمل فى بلاد مابين النهرين (٥) ·

ويتضح من ذلك ان المصرين لم ينقلوا الفكرة كليا بل كيفوها وطوروها حسب تقاليدهم الحضارية ، وحتى تلائم حاجتهم الخاصة ·

---

(1) Edwards, I.E.S., op. cit., p. 42.

(2) Frankfort, H., Birth of Civilization in the Near East, London, 1951, p. 101.

(3) Edwards, I.E.S., op. cit, p. 43.

(4) Frankfort, H., op. cit., p. 101.

(5) Ibid., p. 101.

ويظهر التشابة الفنى بين مصر والعراق فى هذه الفترة المبكرة علــى بعض الاثار التى عثر عليها فى مصر والتى رسم عليها اشكال وعناصر زخرفية ظهرت بكثرة فى العراق وكانت من سمات الفن هناك وتأثرت مصر مؤقتـــا بهذا الاسلوب الفنى العراقى القديم بطريق مباشر أو غير مباشر ، ويوضح ذلك ان اكثر هذه التآثيرات والمظاهر الفنية ظلت فى العراق القديـــم حتى آخر ايامه بينما اختفت من مصر لحد كبير بعد الاسرة الاولى ومـــن هذه الاساليب الفنية مانجده محفورا على يد سكين عثر عليها فى جبـل العركى بالقرب من نجع حمادى ، ويظهر فيها رجل يفصل بين اسديـن ومثل هذا المنظر مألوف فى العراق ولكنه نادر فى الاثار المصرية . ويبدو من رداء وهيئة الشخص الذى يفصل بين اسدين انه سومرى ة ولايـــدع ذلك مجالا للشك فى اصلها العراقى . ويرى عبد العزيز صالح أنه اذ صح ان صورة هذا الشخص تشبه صور العراقيين أو الساميين الاوائل فلابأس من افتراض ان الفنان المصرى قد استوحاها من أثر عراقى وصل اليه عن طريق التجارة غير المباشرة وقلدها على مقبض سكينه (١) .

وسمة اخرى من سمات الفن العراقى تظهر على لوحة نعرمـــــر الاردوازية ، وهى نقش اسدين او نمرين استطالت اعناقهما والتفت حول بعضها . ويتطابق ذلك بشكل ملفت للنظر مع اختام وطبعات اختـــام اكتشفت فى اورك ، وعلى ختم اسطوانى يوجد حاليا فى اللوفر ويـــؤرخ

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

بعصر اورك جهدة نصر . وفي كل من لوحة نعرمر والاختام كانت رقاب الوحوش متشابكة ، وهو الشكل الذى تقرر في الفن العراقى . كما ظهرت الثعابين الملتفة الرقاب على ثلاثة ايدى سكاكين ترجع الى عصر ماقبيل الاسرات في مصر . ويلاحظ ان ترتيب هذه الوحوش والثعابين هو نفس نموذج الانتاج العراقى (١) .

وتتميز هذه الاشكال بطابع الواقعية الواضح ، واستخدمت الاشكال الحيوانية لانتاج رسم زخرفي وهى خاضعة لغاية فنية محضة . ولم يستعمل المصريون هذا الاسلوب الفنى على هذا الشكل (٢) . وعلى ذلك فانه يلاحظ ان المصريين سرعان ما اتجهوا الى اسلوبهم المصرى المتفق مع فكرهم الحضارى .

ويرى بعض العلماء (٣) ان مصر قد اقتبست من العراق القديم ظاهرة الفجوات المنتظمة في العمارة . وهى الظاهرة التى ظهرت في أول امرها في مصطبة نيت حتب بنقادة . ويبنون رأيهم هذا على اساس انه يمكن تتبع اصل هذه الظاهرة المعمارية في العراق القديم بينما لا يمكن تتبعها في مصر .

ولكن يلاحظ ان الاجزاء العليا من مقابر عصر ماقبل الاسرات لم يبق

---

(١) Edwards, I.E.S., op. cit., p. 41.

(٢) Frankfort, H., op. cit., p. 103.

(٣) من هؤلاء العلماء : ويلسون (جون) : الحضارة المصرية ، ترجمة احمد فخرى ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٨٤ .

منها شيء على الاطلاق بحيث يمكن ان نستدل عما اذا كانت قد اتبعت نظام المشكاوات أم لا (١) . ومن ناحية اخرى ، فربما كانت مقبرة نقادة تطورا لمقابرعصور ماقبل الاسرات فى مصر السفلى ، خاصة وانها قد بنيت من اجل الملكة الشمالية نيت حتب ، وتبنتها مصر بعد التوحيد ، وعلى ذلك فانه لايمكن الجزم برأى قاطع فى هذا الموضوع حتى تستكمل الحقائق ويلاحظ كذلك انه مع تشابه الفكرة المعمارية للمشكاوات فى مصر والعراق ، الا انها اختلفت فى طريقة التنفيذ وفى الاغراض التى استخدمت من اجلها فى كلا البلدين فبنى المصريون السطوح الداخلية لمشكاواتهم على مستويات متعاقبة كثيرة لم تظهر فى مشكاوات العراق .. اما عن استخدامها ، فقد استخدمت فى مصرفى واجهات القصور والاسوار والمصاطب . ولم تستخدم فى العراق الا فى تشييد معابد الالهة فقط (٢) .

ويود بعض العلماء كذلك (٣) . ان ينسب فضل اختراع الكتابة الهيروغليفية المصرية الى تأثير عراقى وذلك على اعتبار ان مصر قد اخذت

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٢٦٦ ، هامش ٦٥ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص٢٦٦ .

(٣) من هؤلاء العلماء : Frankfort, H., op. cit., pp. 105-108.

Edwards, I.E.S., op. cit., p. 44.

ويلسون (جون) : المرجع السابق ، ص٨٦ .

من العراق القديم فكرة الكتابة ولكن يلاحظ انه لايوجد أى دليل واضح على ان السومرين قد حثوا المصريين لاختراع الكتابة الهيروغليفية . ولا يمكن ان نعتبر اختراع الكتابة السومرية الصورية كان اسبق من اختراع الكتابة المصرية . اذ انه بالاضافة الى حقيقة امكانية تتبع الكتابة الهيروغليفية المبكرة منذ عصر ماقبل الاسرات المبكر فى نقادة أى قبل وصول التأثير السومرى ، فان العلماء يتفقون على ان الكتابة الهيروغليفية المصرية فى مرحلتها التصويرية قد عبرت عن مظاهر البيئة المصرية (١) الصميمة ولم يظهر أى اثر أو دليل يوضح ان فكرتها ترجع الى اصل سومرى .

ولقد حافظت الكتابة المصرية على عناصرها التصويرية اكثر من ثلاثة الاف عام وبلغت بها غاية اكتمالها الفنى والتعبيرى . واضافت الى مقاطعها الصوتية حروفا هجائية ، فى الوقت الذى لم تتطور فيه الكتابة التصويرية العراقية الى الحروف الهجائية ووقفت عند حد المقاطع الصوتية (٢) .

---

(١) El-Nadoury, R., "ANote on the Idea of writing in Egyptian Hieraglyphic and Sumerian Cuneiform" In Bulletin of the Faculty of Arts, Alexandria University, vol. xx., 1966, pp. 41-43.

(٢) عبدالعزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٦٥ .

ويلاحظ ان الاتصال بين مصر والعراق في اواخر الالف الرابع ق٠م كان لفترة محدودة ولم يستمر بعد الاسرة الاولى لانه لم يوافق الذوق المصرى٠ ولم تكن مصر في تلك الفترة بالذات اقل ثقافة أو حضارة من العراق بل انها كانت تفوق في بعض النواحي ٠ وان اقتباس المصريين لبعض الاساليب(١) العراقية لهو دليل على نضج الادراك الفني في مصر وتطلعه الى افاق جديدة ابعد من الافاق المحلية ٠

أما عن كيفية وصول تلك المؤثرات العراقية لمصر٠ فهناك طريقان يمكن الوصول بواسطتهما جغرافيا ٠ الطريق الاول وهو طريق البحر الاحمر ، ثم احد الاودية الى وادى النيل مثل وادى الحمامات عن طريق القصير فقط ، أو عن طريق وادى الطميلات الموصل بين جنوب شرق الدلتا والبحر الاحمر٠ أو ان يتصلوا بلمصريين في احد موانى البحر الاحمر مثل السويس أو القصير (٢) ٠

اما الطريق الاخر الذى من المحتمل ان تكون قد وصلت هذه المؤثرات بواسطته فهو عن طريق سوريا خلال الهلال الخصيب (٣) ٠٠

---

(١) احمد فخرى : المرجع السابق ، ص٩٠
(٢) ويلسون (جون) : المرجع السابق ، ص٠ ٩٠
(٣) رشيد الناضورى : جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا ، (الكتاب الاول) ص٢١٣٠

Edwards, I.E.S., op. cit., p. 44.

أو ان يكون الاتصال بين الطرفين قد تم في المناطق التي يجلب منها البخور في جنوب الجزيرة العربية جبة أو الشاطئ الصومالي ، اذ عرف البخور في مصر منذ زمن قديم واذا صح ذلك بالنسبة لسومر ، فان ذلك المكان يصبح ملائما لالتقاء الطرفين ، أو لعل الوسطاء كانوا يطلعون المصريين على ماانجزه السومريون (١) . ولعل هذه المؤثرات السومرية قد وصلت مصر عن طريق بعض الوسطاء الذين كانوا يقومون بمهمة نقل السلع بين اقطار الشرق الادنى القديم ، وبالتالي ينقلون الافكار السائدة في كل مجتمع من هذه المجتمعات .

وعلى ذلك فانه يلاحظ ان هذه الاراء ، مازالت في مرحلة الاحتمال ولكل منها من القرائن مايدعمه ومن الحجج مايدحضه ، ولا يمكن ان نحل هذه المشكلة بصفة نهائية الا بعد استكمال الحفائر في طبقات الدلتا المبكرة ، وكذلك عمل مسح اثرى لمنطقة وادي الحمامات والجزيرة العربية حتى يمكن البت برأى نهائي عن الطريق الذي اتبع في وصول هذه المؤثرات ولا شك ان هذه الصلات الخارجية سواء اقتصادية او حربية قد اثرت بشكل او آخر في المرحلة الاولى من تكوين الحضارة المصرية القديمة .

(1) Engelbach, R., "The A dvent of the Dynastic Race" In An,serv., Tome xlII, (1943), p. 208.

Frankfort, H., op. cit., pp. 110-III.

الفصـــل الخامس

الدولة القديمة

عصـــــر بناة الاهـــــرام

٢٧٨٠ق٠م – ٢٢٣٠ق٠م

الدولة القديمـة
عصـر بناة الاهـرام
٢٢٨٠ق٠م ـ ٢٢٣٠ق٠م

تعرف عصور الدولة القديمة عادة بتعريفين اصطلاحيين وهما :

"العصور المنفية " للدلالة على استقرار فراعنتها وحكوماتهم المركزية في مدينة منف ، " وعصر بناة الاهرام " نظرا لما يتميز به هذا العصر من تشييد الاهرامات الضخمة تمتد على طول الصحراء الغربية ، وتعتبر مفخره لهذه العصور ليلا على ما وصلوا اليه من تقدم وكفاية وتتكون الدولة القديمة من الاسرات الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة ٠

الاسرة الثالثـة

تبدأ عصور الدولة القديمة بعصر الاسرة الثالثة ، وتجابه المؤرخ في دراسة عصر هذه الاسرة أمور رئيسية تتصل بنشأتها وترتيب ملوكها وسياستهم الداخلية والخارجية وسنحاول دراسة هذه الموضوعات فيما يلي :

أولا : نشأة الاسرة الثالثة :

يرتبط تأسيس الاسرة الثالثة بثلاثة ملوك هم : سانخت ونب كـــا ونثروخت(١) وفيما يتصل بالملك الاول وهو سانخت فان اسمه يفيد معنى "الحماية القوية" ولقد عثر على العديد من الادلة الاثرية التى تحمل اسمه الحورى سانخت ومنها العديد من طبعات الاختام التى عثر عليها فى المصطبة الضخمة المبنية من الطوب اللبن وهى المقبرة التى تنسب اليه فى بيت خلاف . وعثر على طبعتى ختمين له اسفل مجموعة من الاوانى فى شمال معبد الملك نثر رخت الجنزى . بالاضافة الى ذلك فقد نسرك نقشيين فى وادى مغارة بسيناء بجوار نقوش الملك نثررخت . رسخم خت ويوجد احد هذين النقشين فى المتحف المصرى بالقاهرة تحت رقم ٣٨٥٦٥ ، ويوجد النقش الاخر فى المتحف البريطانى بلندن (٢) .

أما بالنسبة للملك نب كا ، فقد ظهر اسمه على العديد من الاثار التى ترجع الى عصر الاسرة الثالثة والعصور التالية لها . وتتمثل الاثار

---

(١) انظر عن هذه الاراء : احمد امين سليم : دراسة تاريخية لنشأة الاسرة الثالثة وتطورها السياسى والحضارى ، رسالة دكتوراة ، الاسكندرية .

(٢) Gardiner, A.H.,Peet, T.E., The Inseriptions of sinai vol,1, London, 1955, pl. I.

التى ترجع الى عصر الاسرة الثالثة فى انطباع ختم طينى عثر عليه فى المقبرة التى تنسب الى الملك سانخت فى بيت خلاف ويظهر فى هذا الختم بقايا خرطوش ملكى ظهر عليه جزء من العلامة الاخيرة من الاسم الملكى المكتوب عليه . وتوصل عالم المصريات الالمانى الجنسية "كورت زيته" بعد فحصه لانطباع هذا الختم الطينى الى الاعتقاد بأن هذا الجزء من الخرطوش الملكى . خاص بالملك نب كا ، وهو الامر الذى نرجحه . وظهر اسم الملك نب كا كذلك على قطعتين من الحجر عثر عليهما فى ابوصير وتوجد ان حاليا فى متحف مدينة برلين ويرجح انهما قد جاءتا من مقبرة الكاهن اختعا الذى كان يقوم بالخدمة الكهنوتية فى عهد الملك نب كا (١) .

بالاضافة الى تلك الاثار المعاصرة ، فقد ظهر اسم الملك نب كا على العديد من الادلة الاثرية والنصيه التى ترجع الى العصور التالية لعصر الاسرة الثالثة مما قد يوضح ان ذكرى الملك نب كا ظلت عالقة فى اذهان المصريين لفترة طويلة بعد عهده . ومن تلك الادلة الاثرية التى

(1) Smith, W.S., in T.E.A., vol. 46 (1942), pp. 518-520, Fig. 9.

عثر عليها العديد من الجعارين عثر عليها في ابيدوس وبعض المجموعات الخاصة مثل مجموعة اسايس ولوفتي وبالاضافة الى تلك الجعارين فلقد سجلت برديه وستكار التى ترجع الى نهاية عصر الدولة الوسطى اسم الملك "نب كا" من بين الملوك الذين جاء ذكرهم في ثنايا احداثها وهى تضع الملك نب كا بين نثر رخت وسنفرو • ووضعته قائمة ملوك ابيدوس بين ملوكها الستة والسبعين وكان ترتيبه فيها الخامس عشر وجاء ترتيبه قبل الملك "نثررخت" • ووضعته بردية تورين كذلك قبل الملك نثر رخت •

ولقد عثر على العديد من الادلة الاثرية التى تحمل اسم الملك نثررخت والتى ترجع الى عصر الاسرة الثالثة ، ومن هذه الادلة العديد من طبعات الاختام التى عثر عليها في مصطبة مبنية بالطوب اللبن في بيت خلاف(١) تقع جنوب المصطبة التى تنسب الى الملك سانخت وعثر كذلك على العديد من طبعات الاختام الخاصة به في عدد من المقابر بنفس الموقع

وبالاضافة الى ذلك فقد ترك لنا نقشا يحمل اسمه في وادى مغارة بسيناء كما ظهر اسمه في نقوش معبده الذى شيده في مدينة أون ، والذى توجد بقاياه في متحف مدينة تورين • وظهر مرات عديدة على الاثار الموجودة في مجموعته الجنزية التى شيدها في سقارة ومن بينها لوحات

---

(1) Garstang, T. sethe, K., Mahasna and Bet kallaf, London, 1903, pp. 8-11.

الحدود التى حددت حدود منطقة بناء مجموعته والحجرات المزينة الموجودة اسفل الهرم ، وفى بعض دهاليز هرمه المدرج ، واسفل المقبرة الجنوبية .

وبجانب هذه الاثار المعاصرة ، فقد ظهر اسمه على العديد من الادلة الاثرية اللاحقة لعصر الاسرة الثالثة ، ومن بينها لوحة فى السيرابيوم ترجع الى عصر الاسرة الثانية والعشرين .

كما ظهر اسمه الذى عرف به بعد عهده وهو "جسر" على العديد من الاثار منذ عهد الدولة الوسطى ، ومنها نقش على تمثال اقامة الملك سنوسرت الثانى لسلفه الملك "جسر" وجاء هذا الاسم كذلك فى ثنايا برديه وستكار وقائمة ملوك ابيدوس وسقارة وتورين . وورد هذا الاسم على العديد من الادلة الاثرية التى ترجع الى العصر المتأخر ومنها تابوت حجرى خاص بكاهن يقوم بالكهانة فى عصر الاسرة السادسة والعشرين وظهر على نقش فى وادى الحمامات ، كما ظهر كذلك على لوحة فى جزيرة سهيل جنوبى اسوان ترجع الى العصر البطلمى .

واختلفت آراء المؤرخين حول ترتيب هؤلاء الملوك وبيان تتابعهم على العرش ومن منهم ينسب اليه فضل تأسيس الاسرة الثالثة . ويمكن تحديد تلك الاراء فى اتجاهين ، يرى اصحاب الاتجاه الاول أن الملك نثر رخت هو اول ملوك الاسرة الثالثة ، بينما يرى اصحاب الاتجاه الثانى

أن الملك سانخت هو أول ملوك الاسرة الثالثة ، ويوجد اصحاب هـــذا الرأى الملك سانخت مع الملك نب كا .

يعتمد اصحاب الاتجاه الاول فى تأييد رايهم على بعض الادلـــة الاثرية ومنها طبعات الاختام التى عثر عليها فى كل من ابيدوس وبيـــت خلاف التى توضح الصلة المباشرة بين الملك نثررخت والملك خع سخمـــوى اخر ملوك الاسرة الثانية عن طريق الملكة فى ماعت حب . فقد عثر علـــى انطباع ختم طينى فى مقبرة الملك خع سخموى بأبيدوس كتب عليه اســم الملكة مرتبط بعبارة "ابناء الملك" (١) وعثر على انطباع ختم فى المقبـرة التى تنسب الى الملك ننثر رخت فى بيت خلاف - والتى عثر فيها علـــى طبعات اختام خاصة به كتب عليه اسم الملكة ثلاث مرات وفى كل مرة كان يذكر بعد اسمها لقب من القابها . واول الالقاب التى ذكرت "أم ملك مصر العليا والسفلى" وهو الامر الذى يرجع كون الملكة نى ماعت زوج خـــع سخموى وام نثررخت .

ومن بين الادلة التى يسوقها اصحاب هذا الرأى كذلك ما ذكـره "كورت زيته" عن وجود وجه شبه قوى بين طبعات اختام الملك خع سخموى التى عثر عليها فى ابيدوس وبين طبعات اختام الملك نثررخت التى عثـــر

(1) Petrie, W.M.F., The Rogal Tombs, 11, p. 210.

عليها فى بيت خلاف . مما يرجح وجهة نظره فى كون عهود هذين الملكين متقاربة وان احد هما قد خلف الاخر .

ويرى اصحاب هذا الرأى ايضا أن تسجيل : تورين لاسم الملك "جسر" بالمداد الاحمر دليل على اهميته كمؤسس لعصر جديد (١)

أما اصحاب الاتجاه الاخر الذى يذهب الى القول بأن الملك سانخت هو مؤسس الاسرة الثالثة ، فيرون ان الملك سانخت هو الاخ الاكبر للملك نثررخت وانه لم يقدر له الجلوس على عرش البلاد لفترة طويلة ، وعند وفاته لم يكن قد انجب سوى بنت كانت عند وفاة والدها فى سن صغيرة ، فخلفه على العرش اخوه نثررخت .

وبناء على الادلة الاثرية والنصيه فاننى ارجح الرأى الاخير وهو كون الملك سانخت اول ملوك الاسرة الثالثة ، وذلك على اعتبار ان الملك خع سخموى قد تزوج من ثلاث سيدات انجب من زوجته الرئيسية الاميرة حتب حرنبتى ومن زوجته الثانية سانخت ومن زوجته الثالثة "نى ماعت حب" ابنه الملك "نثر رخت" وكان الملك سانخت الابن الاكبر للملك خع سخموى واكتسب الشرعية فى حكم البلاد نتيجة زواجه من الاميرة حتب حرنبتى الوارثة الشرعية للعرش ، واثمر زواجهما عن انجاب الاميرة "انت كا اس" . وعندما وافى الاجل الملك سانخت خلفه على العرش اخوه الملك

(1) Garstang, T., sethe, k., op. cit. , pp. 22-23.

نثررخت الذى اعترف فى بداية عهده بمكانة هاتين السيدتين — زوج اخيه وابنتها — وعلو قدرهما فنقش اسميهما مع اسمه على العديد من لوحات الحدود ، وكما ظهر كذلك على العديد من القطع الاثرية التى عثر عليها فى بقايا معبده الذى شيده فى مدينة اونو .

ومن الادلة الاثرية النصية التى ترجح هذا الرأى حقيقة العثور على طبعة الختم الخاص بالملكة نى ماعت حب فى المقبرة التى تنسب الى الملك نثر رخت فى بيت خلاف مع طبعات الاختام الخاصة بالملك نثررخت مما يشير الى العلاقة الوثيقة بينهما ، بينما لاتوجد اية ادلة نصيه أو اثرية تشير الى وجود اية صلة بين الملك سانخت وبين نى ماعت حب ، مما يدل على انه كان ابنا للملك خع سخموى من زوجة اخرى .

وبالاضافة الى ذلك فقد عثر على العديد من الادلة الاثرية التى تميز الملكة حتب حرنيتى باتخاذها لالقاب الملكات وظهورها على الاثار وهى ترتدى رداء الملكات مما يشير الى وضعها المميز كوريثه لعرش البلاد ، وهو الامر الذى اعترف به الملك نثررخت فى بداية عهده ، فاظهرها هى وابنتها "انت كا اس" على العديد من آثاره التى شيدها فى مستهل حكمه للبلاد .

ويضاف الى تلك الادلة النصيه دليل اثرى آخر يتصل بالتطور المعمارى للمقابر التى تنسب الى الاسرة الثالثة فى بيت خلاف ، فالجزء

المتبقى من البناء العلوى للمقبرة التى تنسب الى الملك سانخت يوضح انه قد بنى اصلا فى هيئة درجات تشبه شكل الهرم المدرج · ويمكن أن يستدل من ذلك على اسبقية طراز مقبرة سانخت لهذا الشكل من البناء الذى اخذ نثررخت فكرته وعدلها فى بناء هرمه ، مما يشير الى اسبقية سانخت لاخيه الملك نثررخت فى حكم البلاد ·

ويلاحظ من ناحية اخرى ان تطور مستوى بناء المقابر الملكية فى عصر الاسرة الثالثة على هيئة اهرام مدرجة قد ادى الى وجود خط متواصل يمكن اثباته للترتيب الزمنى لتشييداتهم بدءا من الملك نثررخت · ونظرا لعدم العثور حتى الان على بناء هرمى يمكن نسبته الى الملك سانخت غير المقبرة التى تنسب اليه فى بيت خلاف فان وضعه على رأس الاسرة قبل الملك نثررخت يصبح مرجحا ·

ويتجه العديد من المؤرخين الى توحيد الملك سانخت بالملك نب كا · ولقد كان كورت زيته هو اول من اقترح امكانية توحيد الملك سانخت بالملك نب كا ، وذلك من واقع فحصه لطبعات الاختام التى عثر عليها فى المقبرة التى تنسب الى سانخت فى بيت خلاف ويعتمد اصحاب هذا الرأى كذلك على ماذكرته قائمة ملوك ابيدوس وبرديه تورين من أن الملك نب كا قد سبق الملك نثررخت فى الجلوس على عرش البلاد ، وهو الرأى الذى نرجحه ونأخذ به — فعلى ذلك يصبح توحيد الملك الذى ذكرته اثار عصره بالاسم الحورى — سانخت بالملك الذى ذكرته القوائم باسم "نب كا" امرا مرجحا ·

ترتيب ملوك الاسرة الثالثة :

تعتبر مشكلة ترتيب وتتابع ملوك الاسرة الثالثة على عرش البلاد من أهم الموضوعات الحيوية المتصلة بهذا العصر ، نظرا لما يحيط بها من غموض شديد ناجم عن نقص الادلة المتبقية من هذا العصر بشكل كبير ، واختلاف قوائم الملوك فيما بينها فى ذكر ملوك هذا العصر وترتيبهم وكذلك الاختلاف بين الروايات المنقولة عن مانيتون .

وسنكتفى فى مجال هذه الدراسة بمناقشة ترتيب ملوك الاسرة الثالثة حسب المادة الاثرية التى عثر عليها لهم . ويلاحظ ان محاولة ترتيب هؤلاء الملوك حسب اسمائهم التى ظهرت على اثارهم المعاصرة يكتنفها المصاعب نظرا لقلة النصوص التاريخية المتبقية من هذا العصر وندرتها بشكل كبير .

وعلى ذلك فان محاولة ترتيبهم تعتمد بشكل كبير على أسس أثرية من أهمها تتبع خط التطور المعمارى الذى تم خلال عصر هذه الاسرة وتمثل فى تشييد المقابر الملكية على هيئة اهرامات مدرجة .

ويمكن ترتيبهم على اساس ذلك على النحو الاتى :

١ـ سانخت (نب كا)　　٢ـ نثررخت　　٣ـ سخم خت
٤ـ خع بسا　　٥ـ نب كارع　　٦ـ حو (حونى)

واوضحنا من قبل الادلة التى تؤيد اسبقية سانخت كمؤسس للاسرة جاء بعده الملك نثررخت وفيما يتصل بالملك الثالث وهو سخم خت فان اسمه يفيد معنى "قوى الجسد" ولقد بدأ تشييد هرم مدرج له الى الجنوب الغربى من هرم نثررخت الا انه لم يتمكن من اتمام بنائه (١) ، وعثر فى دهاليز هذا الهرم على العديد من انطباعات الاختام التى تحمل اسمه الحورى ، كما ترك نقشا فى وادى مغاره بسيناء . ويعتمد ترتيب الملك سخم خت كخلف للملك نثررخت على بعض الادلة ومنها ان البناء الرئيسى فى مجموعة الملك سخم خت عبارة عن بناء مربع له صفة الاهرامات المدرجة ، وقد اتخذ هذه الهيئة منذ اول مرة بعكس هرم الملك نثررخت الذى تعدل تصميمه اكثر من مرة اثناء بنائه ومن ثم فقد استفاد المعماريون الذين شيدوا هرم سخم خت من المحاولات المتتالية التى بذلت فى هرم سلفه نثررخت ، مما يبرهن على اسبقية الاخير . ومن هذه الادلة كذلك العثور على قطعة من احدى لوحات الحدود الخاصة بالملك نثررخت والتى تحمل اسمه الحورى فى جدار هرم سخم خت وقد اعيد استخدامها كمادة بناء

(1) Mohamad Zakaria Ghoneim, The Buried pgramid, London, 1956 .

مما يؤكد على اسبقية عهد الملك نثررخت لعهد الملك سخم خت · ويتصل بذلك ايضا العثور على اسم احد رجال القصر فى عهد الملك نثررخت مكتوبا على بعض قطع الاوانى فى دهاليز هرم الملك سخم خت · ويرجح ذلك ان هذا الموظف قد خدم عهدى كلا الملكين ، ويستدل من ذلك انهما قد خلفا بعضهما على عرش البلاد ·

ومن هذه الادلة كذلك العثور على قطعة من احدى لوحات الحدود الخاصة بالملك نثررخت والتى تحمل اسمه الحورى فى جدار هرم سخم خت وقد اعيد استخدامها كمادة بناء مما يؤكد اسبقية عهد الملك نثررخت لعهد الملك سخم خت ·

وفيما يتصل بالملك خع با فقد عثر على اسمه منقوشا على ثمانية أوان مصنوعة من المرمر فى احدى المصاطب المشيدة من اللبن بجوار الهرم الذى ينسب اليه فى زاوية العريان (١) ، ويتشابه هرم هذا الملك مع هرم سخم خت بشكل كبير مما دعا الى القول بأنه شيد بعد هرم سخم خت مباشرة · ونظرا لعدم الكشف حتى الان عن أى آثار ملكية اخرى يمكن نسبتها الى الاسرة الثالثة وتوضع بين هذين الملكين ، فان خع با يكون هو خليفة الملك سخم خت مباشرة ، ومن ناحية اخرى فانه يلاحظ وجود

---

(1) Barsanti. A."Ouverture de la pyramide de Zaouiet-et-Aryan". in ASAE. vol II. 1901. pp. 92-94.

شبه بين هؤلاء الملوك الاربعة (سانخت - نثررخت - سخم خت - خع با) يتمثل فى التشابه فى نقوش اختام الاوانى التى تحمل الاسماء الحوريــــة لهؤلاء الملوك مما قد يشير بطريقة غير مباشرة الى تتابع هؤلاء الملوك على العرش وعدم وجود فترات زمنية متباعدة تفصل بينهم .

أما خامس ملوك الاسرة وهو نب كارع فينسب اليه هرم الى الشمال من هرم خع با فى زاوية العريان (١) ويستدل من تخطيطه وابعاده وقطاعاتــه انه أكثر تطورا من أهرام اسلافه .

أما آخر الاسرة وهو الملك حونى فقد ورد اسمه فى كل من قائمتــى تورين وسقارة كآخر ملوك الاسرة الثالثة ، وقد شيد لنفسه هرما فــى ميدوم (٢) ويعتبر تصميمه المعمارى مرحلة انتقال بين الهرم المدرج والهرم الحقيقى والذى ظهر فى عصر الاسرة الرابعة ، ويكون الجزء الواقع فوق سطح الارض نواة البناء أضيفت اليها ثمانى طبقات من المبانى فى كل من الجهات الاربع جعلت منه هرما مدرجا ذا ثمانى درجات من طراز الهـرم ذى الطبقات وكسيت كل درجة بكساء من الحجر المنحوت ثم ملىء مابيــن

---

(1) Barsanti, A. "Foilles de Zaouiel-el-Aryan" in ASAE. tom-7 (1906). pp. 260-286. Tom. 8 (1907) pp? 201-210,. Tom. 12 (1912). pp. 57-63 .

(٢) محمد انور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

المدرجات ثم كسيت بالحجر الجيرى الناعم ليصبح شكله كهرم حقيقى ويحيط به اقدم مجموعة هرمية كاملة تم الكشف عنها حتى الان ، ومن ثم فان هذا الهرم يمثل المرحلة النهائية فى تطور الهرم المدرج وانه يكاد يكون من المؤكد انه يسبق اهرام سنفرو أول ملوك الاسرة الرابعة بمباشرة ، وتقدر مدة حكم الملك حونى بحوالى اربعة وعشرين عاما .

ثانيا : السياسة الداخلية فى عصر الاسرة الثالثة :

سنناقش فى هذا الموضوع امرين رئيسيين :

يتصل الاول منها بمدة حكم الاسرة الثالثة وتحديدها الزمنى .

ويتصل الثانى منهما باحوال السياسة الداخلية التى انتهجتها مصر فى هذا العصر .

أ - اما فيما يتصل بمدة حكم الاسرة الثالثة وتحديدها الزمنى :

فقد اختلفت آراء المؤرخين اختلافا بينا حول التحديد الزمنى لبداية ونهاية عصر الاسرة الثالثة ، والفترة الزمنية التى استغرقها هذا العصر ويمكن اجمال هذه الاراء فى ثلاثة آراء : الرأى الاول ، ويمكن تسمية اصحابه بأصحاب التاريخ بعيد المدى ، ومن اوائل الذين اتجهوا هذا الاتجاه المؤرخ المصرى مانيتون الذى ذكر ان مدة حكم الاسرة الثالثة قد بلغ ٢١٤ سنة وذلك حسب رواية افركانوس ، أو ١٩٨ سنة

حسب رواية يوزيبيوس في النسخة التى ترجع الى سينكيلوس أو ١٩٧ سنة في النسخة الارمينية ، ونهج نهجه من المورخين والمحدثين وليم فلندرز بترى الذى اتجه الى القول بأن عصر الاسرة الثالثة قد استغرق حوالى ٢١٤ سنة وذلك على اساس انه قد بدأ حوالى ٤٩٩١ ق ٠ م وانتهى حوالى عام ٤٧٧٧ ق ٠ م (١) ٠

أما اصحاب الرأى الثانى ، والذين يمكن تسميتهم بأصحاب التاريخ الوسط فيجعلون مدة حكم الاسرة الثالثة تتراوح من ثلاثة وسبعين عاما الى مائة عام ومن هؤلاء العلماء وليم ستيفنسون سميث وميخالوفسكى ٠ ومما هو جدير بالملاحظة ان بردية تورين التى ترجع الى عهد الفرعون رمسيس الثانى ثالث ملوك الاسرة التاسعة عشر قد قررت مدة اربعة وسبعين عاما لعصر ملوك الاسرة الثالثة ومن العلماء المحدثين كذلك الذين اتجهوا هذا الاتجاه كل من برستد ، وسير ألن جاردنر ، وجان يويوت ، ووليم هيز ، ومن العلماء المصريين الاجلاء الاستاذ الدكتور احمد فخرى ، والاستاذ الدكتور عبد العزيز صالح ٠ ويلاحظ ان اصحاب هذا الرأى يختلفون فيما بينهم حول بداية عصر الاسرة الثالثة ونهايته فنرى منهم من يجعل بدايته حوالى عام ٢٩٨٠ ق ٠ م بينما آخرون ينزلون بهذه الى حوالى عام ٢٦٨٦ ق ٠ م ، اما عن نهايته فنرى اصحاب الاتجاه الاول الذين يجعلون بدايته حوالى عام ٢٩٨٠ ق ٠ م

---

(1) Petrie, W.M.F., A history of Egypt, vol, I, p. 39.

يجعلون نهايته حوالى عام ٢٩٠٠ق٠م بينما اصحاب الرأى الثانـــى الذى جعلوا بدايته عام ٢٦٨٦ق٠م نراهم يجعلون نهايته حوالى عـام ٢٦١٣ق٠م الا انه يرجح انه قد بدأ حوالى عام ٢٧٨٠ق٠م وانتهـــى حوالى عام ٢٦٨٠ق٠م (١)

أما اصحاب الرأى الثالث ، والذين يمكن تسميتهم بأصحاب التاريخ القصير المدى ، فيجعلون مدة حكم الاسرة الثالثة تتراوح من تســعة واربعين عاما الى خمسة وخمسين عاما ، ومن هؤلاء العلماء "كيس" الذى قدر مدة حكم الاسرة الثالثة بتسع واربعين عاما ، وذلك على اعتبار انـه قد بدأ حوالى عام ٢٦٧٦ق٠م وانتهى عام ٢٦٢٧ق٠م واتجه الكسندر شارف الى تقدير هذه المدة بحوالى خمسين عاما ، وذلك على اســاس انها تبدأ حوالى عام ٢٦٥٠ق٠م وتنتهى حوالى عام ٢٦٠٠ق٠م بينمـا اتجه بعض العلماء الى تقدير مدة حكم الاسرة الثالثة بخمسة وخمسيــن عاما ، ومن بين هؤلاء العلماء "ايتين د ريوتون" و "جاك فاند ييـــه" وذلك على اساس انها تبدأ حواللى عام ٢٧٧٨ق٠م وتنتهى حوالى عـام ٢٧٢٣ق٠م وكذلك موربيه ، وذلك على اساس انها تبدأ حوالى عـــام ٢٨٩٥ق٠م وتنتهى حوالى عام ٢٨٤٠ق٠م (٢) ٠

---

(1) Gardiner, A.H., Egypt of the pharaohs, pp. 433-434.
(2) Moret, A., Histoire de la Nation Egyptienne, t. II, paris, 1932, p. 90.

ويتجه الباحث الى تأييد اصحاب الرأى الثانى الذين يتجهون الى تقدير مدة حكم الاسرة الثالثة من ثلاثة وسبعين عاما الى مائة عام ، حيث توضح الادلة الاثرية والنصية المعاصرة التى كشف عنها امكانية ملائمة هذا التقدير لمدة حكم ملوك هذا العصر .

ب - سياسة مصر الداخلية فى عصر الاسرة الثالثة :

فيما يتعلق بأمور السياسة الداخلية فى هذا العصر ، فتوضح المادة الاثرية المتبقية من هذه الفترة والمتمثلة فى مقابر ملوك هذا العصر التى شيدت على هيئة اهرامات مدرجة مبنية بكتل الحجر الجيرى المحلى ، ومكسوه بالاحجار الجيرية الجيدة ، المجلوبة من محاجر طره على شاطئ النيل المقابل وجود تنظيم ادارى قوى ومنظم تمكن من تشييد هذه العمائر الضخمة لاول مرة فى تاريخ البشرية ، بما يتطلب مثل هذا العمل من حشد لاعداد ضخمة من العمال نظمت فى مجموعات عمل لكل منها عملها المنوط به ، وبالاضافة الى ذلك فقد كان على الجهاز الادارى كذلك مسئولية تنظيم احوال البلاد الداخلية وحفظ الامن والنظام فى الداخل والدفاع عن حدود البلاد فى الخارج .

وكان الملك على رأس الجهاز الادارى الذى اتخذ من منف عاصمة له ومقرا . واتخذت الملكية فى هذا العصر القابا جديدة تتمشى مع تطور النظام الملكى فى هذا العصر ، وترتبط بالعقائد الفكرية المصرية ارتباطا

وثيقا ويتمثل ذلك فى اتخاذ اللقب "رع نب" الذى يفيد معنى "الشمس الذهبية" ويشير من ناحية اخرى الى انتساب الملك الى رب الشمس الذهبية وهو المعبود "رع" ولقد اثبتت الادلة الاثرية المتصلة بالملك نثررخت اتخاذه لهذا اللقب الذى ظهر على العديد من آثاره · وقد يشير اتخاذ الملك نثررخت لهذا اللقب الذى يرتبط بالاله رع الذى تأسست عبادته فى مدينة أون (هليوبوليس- شمس) الى اتجاه الفرعون نحو هذا الاله وارتباطه به ·

وبالاضافة الى هذا اللقب ، فانه يستدل من بعض الادلة الاثرية على احتمال اتخاذ الملك نثررخت للقب ملكى آخر وهو لقب "حورنب" الذى يفيد معنى "حور الذهبى" والذى يشير الى ارتباط الفرعون بهذا المعبود وانه كان وصفا حوريا جديدا للملك · ويشير "هنرى فرانكفورت(١) الى ان استخدام علامة الذهب فى الالقاب الملكية فى عصر الاسرات الثلاث الاولى يدل على ان هذا اللقب يعبر عن الوهية الملك بتجسيده لحور الذى لا يفقد لمعانة وتلك خاصية من خصائص الذهب وكذلك الشمس ، فالذهب - كما يقول "جسد الالهه" وقال رع عند بداية كلماته : ان جسدى من الذهب الخالص·

---

(1) FrankFort, H., kingship and the Gods, Chicago, 1945, p. 46.

ويستدل من الادلة الاثرية السابقة اتخاذ الملك نثررخت للقب "حور نوب" ضمن القابه وبذلك يكون قد جمع فى القابه الملكية اربعة القاب من الالقاب الخمسة التى اتخذها ملوك مصر وهى :

اللقب الحورى واللقب النبتى ، واللقب النسوبيتى ، واخيرا لقب حور الذهبى ، ويشير ذلك الى تطور النظام الملكى فى عصر الاسرة الثالثة .

وتوضح الشواهد الاثرية والنصيه التى ترجع الى الاسرة الثالثة أن طريقة تركيز السلطة فى يد الملك واسرته ممن يرتبطون به رابطة الدم كما ظهرت فيما بعد فى بلاط الملك خوفو لم تكن قد اكتملت بعد فى عصر الاسرة الثالثة . واظهرت الادلة الاثرية التى كشف عنها من هذا العصر عدد كبير من رجال الدولة الاكفاء الذين تمكنوا من تنفيذ المشاريع المعمارية الضخمة التى تم تشييدها وتمكنوا من تحقيق تطور حضارى ضخم وملموس ووضعوا بذلك الاساس القوى الصلد للتطور الحضارى الذى شهدته مصر خلال عصر الاسرة الرابعة . وكان لجهدهم الضخم ، وما استطاعوا تحقيقه من دعم للاقتصاد الداخلى والدفاع عن حدود البلاد ، وما وصلوا اليه من تقدم حضارى اكبر الاثر فى التقدم الذى حققته الاسرة الرابعة . وتوضح الالقاب التى اتخذها هؤلاء الرجال انهم كانوا مرتبطين بالحرف والاعمال العامة ، وكان الطريق ممهدا امام الاكفاء منهم لتولى الوظائف الكبرى

فى الدولة (١) فقد كانت الحاجة ماسة الى هذه النوعية من الرجال الذين يتولون المناصب حسب كفائتهم ومهارتهم وامكانياتهم ، وكان لهذه السياسة اثرها الكبير فى تحقيق هذه الطفرة الكبيرة من التطور التى شهدها عصر الاسرة الثالثة .

وفيما يتعلق بمنصب الوزير فانه يلاحظ من الادلة الاثرية التى عثر عليها حتى الان أنه لم يلقب احد من كبار رجال الدولة فى عصر الاسرة الثالثة بلقب "ثاتى " الذى يعنى "وزير" وان كان قد تقلد بعضهم من الوظائف والمهام مايصل به الى هذه الدرجة ولايعنى ذلك ان هذه الوظيفة لم تكن قد عرفت اذ يبدو انها قد وجدت على الاقل منذ عصر الاسرة الثانية ويستدل على ذلك من العثور على عدد من الاوانى يبلغ عددها احدى وعشرين آنية اسفل هرم الملك نثررخت المدرج تحمل اسم شخص يدعى "منكا" (٢) تلقب بلقب "الوزير" ولقد عثر على هذه الاوانى فى بهوين اسفل الهرم ، ويلاحظ ان الكتابات التى عثر عليها فى هذين البهوين تؤرخ بعصر الاسرتين الاولى والثانية ، ولم يعثر فيها على أية نقوش تخص الملك نثررخت نفسه ، ومن ثم فان هذا الشخص "منكا" يكون سابقا لعصر الاسرة الثالثة .

---

(1) Smith, W.S., in CAH., vol.1, part 11, cambnidge, 1971, p.160.

(2)Lacau, p., Lauer, T.P.H. La Pyramide a Degres, t.v., pp. 1-3, Figs 1-4.

وحفظت الادلة الاثرية المتعددة التى ترجع الى عصر الاسرة الثالثة اسماء العديد من كبار الدولة والوظائف التى كانوا يتقلدونها ومن هؤلاء ايمحوتب ، نجم عنخ ، حسىرع ، خع باوسكر ، مثن ، آى ان خنوم ، انيوحتب وغيرهم ٠

ولعل ابرز هؤلاء جميعا المهندس المعمارى "ايمحوتب" الذى يفيد اسمه معنى "الذى يأتى فى سلام" أو المجئ فى سلام" ولقد وصل ايمحوتب الى درجة رفيعة فى البلاط الملكى ، بلغت الى الدرجة التى سجل فيها اسمه والقابه على قاعدة تمثال الملك نثررخت ، وهو امر نادر الحدوث على الاثار المصرية بشكل عام٠

وحمل ايمحوتب العديد من الالقاب التى من بينها : حامل ختم ملك مصر السفلى ، الاول بعد الملك (ملك مصر العليا) ومدير البيت الكبير ، الامير الوراثى ، كبير الرائين ٠ ونعم ايمحوتب بسمعه طيبة كواحد من كبر الحكماء المصريين ، واعطت شهرته كحكيم انطباعا عميقا حتى انها اصبحت تقليدا وطنيا لعدة قرون ، وتناولت الاجيال جيلا بعد جيل حكمته المتضمنة فلسفة الحياة التى علمتها اياه التجارب التى عاشها ٠ وجعله المتعلمون فى عصر الدولة الحديثة على راس أهل الحكمة والتعليم واعتبروه من رعاة المثقفين واعتبر ايمحوتب فى العصور المتأخرة كابن للاله "بتاح" وقد شيد له معبدا على هذا الاساس بالقرب من السرابيوم اطلق عليه "معبد ايمحوتب بن بتاح" ومنذ عصر الاسرة الرابعة اعتبر ايمحوتب

كطبيب نصف موءله ، ثم عبد في العصر الفارسي كاله الطب . ويذكر مانيتون الذى اطلق عليه اسم "اموثيس" ان اليونان قد اعتبروه كاسكليبيوس لمهارته في الطب وبالاضافة الى ذلك فقد ارتبط اسم ايمحوتب بعدد من المعابد التي شيدها البطالمة في مصر مثل معبد ادفو وفيله ودير المدينة (١) .

وكان "حس رع" الذى يفيد اسمه معنى "المفضل عند رع" ، أو "الممدوح من رع" من كبار رجال الدولة الذين عاشوا في عهد الملك نثررخت وسجل حسى رع الالقاب التي لقب بها على الاطارات الخشبية الخمس التي تركها في مقبرته خلف الابواب الوهمية ، والتي تعد نموذجا رائعا لفن النحت في هذا العصر ، وهى توجد حاليا في المتحف المصرى بالقاهرة . ومن اهم الالقاب التي اتخذها لقب "الكاتب الملكى" ومثل حسى رع في هذه اللوحات الخشبية في هيئة تتصل بهذه الوظيفة . اذ مثل اما وهو يمسك بادوات الكتابة في يده أو يحملها فوق كتفه (٢) .

ويعتبر "متن" من آخر الشخصيات الكبيرة التي عاشت في الاسرة الثالثة فقد امتد به العمر ، الى ان توفى في عهد الملك سنفرو اول ملوك

(1) Hurry, T.B., Imhathep, the Vizier and physician of king zoser, oxford, 1928.
(2) Quibell, T.E., The Tomb of Hesy, le cairc, 1913.

الاسرة الرابعة وسجل على جدران مقبرته التى شيدها فى سقارة تاريخ حياته والوظائف التى تقلدها والهدايا والمنح التى حصل عليها ٠ ويعتبر ذلك اقدم سجل حتى الان عثر عليه يحوى تاريخ حياة انسان وترجع اهمية هذا السجل الى ذكره للادارة الحكومية فى الدلتا ، التى لا نعرف شيئا عن كيفية ادارتها فى هذا العصر ، وذلك من خلال نشاط مثن فى الدلتا والوظائف التى تقلدها ويذكر فى هذه النقوش ترقية فى الوظائف بدأ من وظيفة الكاتب ، ثم مشرفا على مخزن المؤن ، حتى وصل الى درجة حاكم لعدد كبير من المدن والمقطاعات فى الدلتا كما كان أيضا حاكما على بعض المناطق فى مصر العليا مثل ، الجزء الشرقى من الفيوم واقليم انوبيس(١) ٠

وفيما يتصل بالتشييدات المعمارية فى عصر الاسرة الثالثة :

فلقد كان لظروف البيئة المصرية الصميمة ، والتى يتميز مناخها بالاستقرار والثبات وقلة الامطار ، كما تتميز مصر من الناحية الجغرافية بكون الظاهرة الغالبة فيها تتمثل فى خطوط متوازية متعامدة ٠ وكان لذلك اثره الكبير فى شكل الطرز المعمارية التى اتخذها المعمارى المصرى ومن اهمها جعل اسقف المبانى الحجرية على هيئة مستوية ، ووجود الافنية كعنصر هام فى العمارة المصرية وهى تتعاقب مع الابهاء والقاعات

---

(1) Breasted, J.H., ARE, 1, 170-175.

على محور مستقيم ٠ ومن ناحية اخرى كان لتوفر الاحجار الجيدة اللازمة للبناء على طول الوادى ، اثره الكبير الفعال فى امكانية تشييد عمائر ضخمة على طول الوادى الخصيب ٠

وكان للاستقرار السياسى الذى نعمت به مصر خلال هذا العصر ووجود رجال اكفاء تولوا المناصب الادارية العليا فى الدولة اثره الكبير فى هذا التطور المعمارى ٠ وكان للتطور الذى تم خلال هذا العصر والذى تمثل فى اتجاه الملوك نحو اله الشمس رع اثره الكبير الفعال كذلك فى التطور المعمارى الذى تمثل فى تشييد المقابر الملكية على هيئة اهرامات مدرجة وهو الامر الذى قد يشير الى كونها كسلم يرمز لصعود الملك الى السماء ٠

ويعتبر الهرم المدرج الذى شيده الملك نثررخت فى سقارة (١) من اول الاهرامات المدرجة التى شيدت فى تاريخ العمارة المصرية ، وتم الوصول الى الشكل النهائى لهذا الهرم بعد عدة تعديلات اجريت على التصميم الاصلى للبناء والحق بالهرم عدة مبانى اخرى تتمثل فى وجود معبدا جنزيا الى الشمال من الهرم ، ويوجد بجوار المعبد فناء السرداب الذى يحوى تمثالا حجريا لمشيد الهرم الملك نثررخت ٠ والى الشرق من الهرم توجد مجموعة من المبان تتمثل فى وجود بنائى الشمال

---

(١) انظر : Firth, C.M., Quibell, T.E., The step pyramid, vols. I, II, Le caire, 1935.

Laner, T.P.H., La pyramide a Degres, t. I, le caire, 1936.

والجنوب ، ويقع الى الجنوب منها فناء المقاصير الذى يوجد الى الغـرب منه بناء صغيرا كان يستخدمه الملك لتغيير ملابسه وشاراته اثناء الاحتفال بطقوس عيد سد . ويوجد الى الجنوب من الهرم الفناء الكبير الذى يوجد عند نهايته الجنوبية وفى داخل سور المجموعة الجنوبى المقبرة الجنوبية . وكان يحيط بالمجموعة سور ضخم لا يوجد فيه سوى مدخل واحد عند الركن الجنوبى الشرقى ، وكان يؤدى هذا المدخل الى صالة الاساطين التـى تفضى بدورها الى الفناء الكبير الواقع جنوب الهرم .

واحتوت مجموعة نثررخت العديد من المظاهر المعمارية التى تميزت بها . ويتضح ذلك فى تقليدها العمارة اللبنية بحذق ومهارة فائقتيـــن وظهر ذلك فى الابواب التى اتخذت هيئتين ، اما شكل الابواب المنفرجة أو المفتوحة ، وكذلك فى اسقف المبانى التى نحتت اسطحها الداخليـة ولونت باللون الاحمر بحيث تحاكى هيئة فلوق النخيل ذات القطع نصـف المستدير وظهر ذلك ايضا فى ناحية اخرى ، وهى الاساطين التـــى استخدمت فى مبانى هذه المجموعة ، والتى لم توضع مستقلة بل شيــدت بحيث تستند الى حوائط ويرجع ذلك الى ان المعمارى فى ذلك الوقــت لم يكن قد تعود على وجود الاساطين المستقلة فى المبانى . ولقد ظهرت اربعة انواع من الاساطين فى مبانى هذه المجموعة ، وهى الاساطيـــن المقناه ، والاساطين المضلعة والاساطين التى تحاكى البــردى ، والاساطين التى تحاكى سيقان نبات اللوتس .

وعبرت مبانى هذه المجموعة من ناحية اخرى عن بعض المفاهيــــم

السياسية للمجتمع المصرى ، وهى ان مصر تتكون من اقليمين : مصر العليا ومصر السفلى وانعكست هذه الثنائية فى بعض مبان هذه المجموعة ، بحيث كان هناك بناء خاص بالجنوب وآخر خاص بالشمال .

ومن ناحية ثالثة ، فقد عبرت بعض مبان هذه المجموعة عن بعض النواحى الفكرية التى ظهرت فى المجتمع المصرى القديم خلال هذا العصر مثل ظاهرة الاحتفال بعيد تجديد شباب الفرعون وهو العيد الذى اطلق عليه المصريون "حب سد" .

وكان للجهود المعمارية التى بذلها المعماريون فى تشييد هرم الملك نثررخت اثرها الكبير والفعال فى التشييدات المعمارية التى شيدها خلفاء الملك نثررخت الذى شيدوا مقابرهم جميعا على هيئة اهرامات مدرجة وهو الامر الذى يمكن على اساسه اطلاق تعبير "عصر الاهرامات المدرجة" على عصر الاسرة الثالثة ، وذلك من الناحية المعمارية .

واستفاد المعماريون الذين قاموا بتشييد هرم الملك سخم خت خليفة الملك نثررخت من التجارب التى مر بها ايمحوتب فى تصميم هرم الملك نثررخت المدرج ، فقاموا بتشييد هرمه الى الجنوب الغربى من هرم سلفه لتكون كهرم مدرج من اول الامر (١) ، ولم يتبق من البناء العلوى لهذا الهرم سوى مايقرب من سبعة امتار ، ويتضح من دراستها انه قصد ان يتكون

(1) Lauer, T.P.H., in BIE, t. xxxvi (1953-1954), p. 357.

هذا الهرم من سبع درجات يصل ارتفاعها الى سبعين مترا ، حيث ان نواه هذا الهرم تتكون من طبقة مربعة من البناء تضم اربع عشرة طبقة تميل نحو المحور المركزى للهرم بزاوية تتراوح بين ٧١ ، ٧٥° ويفترض ان كل زوج من هذه الطبقات قد صمم ليكون درجة واحدة .

وشيد سخم خت معبده الجنزى الى الشمال من هرمه وذلك جريا على سنة سلفه نثررخت ، ولكن نظرا لاستخدامه في العصور التالية كمحجر فانه لم يتبق الا بعض احجار قليلة لا تمكننا من معرفة التخطيط المعمارى الذى اتبع فى تشييده . ومثله مثل سلفه ايضا فقد شيد مصطبه الى الجنوب من هرمه بحوالى عشريين مترا ، ولكنه لم يشييدها فى لب السور الجنوبى مثل سلفه ولكنها شيدت فى منتصف المسافة بين الهرم وبين السور الجنوبى واحاط بمجموعة سخم خت سور ضخم مشيد من الاحجار الجيرية المحلية ومكسو من الخارج بالحجر الجيرى الجيد المنحوت ، وانتظم واجهة السور الخارجية فجوات منتظمة وابراج بارزة .

وكان للكشف عن هرم الملك سخم خت اثره الكبير والفعال في القاء الضوء على هرم خلفه الملك "خع با" (١) الذى شيده فى زاوية العريان . فيما بين اهرام الجيزة وابوصير ، والذى يطلق عليه "الهرم ذى الطبقات" وتوضح الاجراء المتبقية من هذا الهرم ان صاحبه قد سلك فى بنائه التقاليد

(1) Barsanti, M.A., in ASAE., t., II, (1901), pp. 29-94.

المعمارية التى اتخذها الملك سخم خت فى تشييد هرمه · ويتضح من دراسة الاجزاء المتبقية منه ان النية كانت تتجه الى ان يرتفع بنيان هذا الهرم الى سبع درجات وذلك مثل هرم سلفه سخم خت ويتضح من ذلك ان المعماريين الذين قاموا بتشيد هذا الهرم قد توسموا الخطى التى اتبعت فى تصميم هرم الملك سخم خت من حيث وجود الطبقات الجانبية ، وبناء المداميك فى وضع مائل وليس افقى ، كما ان زواية ميل الهرم تتقارب مع زاوية ميل هرم الملك سخم خت والى الشمال من هرم الملك خع بـا بحوالى كيلو متر ونصف ، يوجد هرم خلفه الملك "نب كارع" (١) وهو لم يكتمل بناؤه كذلك مثل اهرام اسلافه "سخم خت وخع با" · ولقد وضع تصميم هذا الهرم ليضارع فى حجمه هرم الملك نثررخت - وينسب رايزنر طراز هذا الهرم الى الاسرة الثالثة ويتجه الى الاعتقاد بان مقاييس هذا الهرم ، وطريقة عمل الممر الموصل الى الحفرة الكبيرة ، تظهر وجود اوجه شبه بينه وبين هرم الملك نثررخت المدرج · وانه كان يقصد ان يكون هرما مدرجا مثله · ولقد عثر فى الجهة الغربية من حجرة الدفن على تابوت مصنوع من الجرانيت ، وهو على شكل بيضاوى ، وهو من الاشكال الفريدة فى التوابيت المصرية ، وقد حفر له فى ارضية حجرة الدفن مكان ليثبت فيه ، وقد وجد غطاؤه مثبتا عليه ، ولكن لم يعثر فى التابوت على أى شىء يشير الى وجود دفنه فيه ·

---

(1) Barsanti, M.A., in ASAE., t., vii (1906), pp 262.

ويعتبر الهرم الذى شيده الملك حونى فى ميدوم (١) آخر الاهرامات الملكية المدرجة فى عصر الاسرة الثالثة ، ويشبه هذا الهرم هرم سلفه نثر رخت فى انه لم يبن من اول الامر حسب تخطيط سابق وتصميم واحد ، بل ظهر هذا الهرم فى شكله النهائى بعد ثلاثة تعديلات رئيسية اجريت على بنائه العلوى ، الذى كان يتكون فى اول الامر من نواة على هيئة سبع درجات ثم اضيفت اليها كسوه سميكة كانت تقل فى الارتفاع عن الدرجات القديمة وشيدت احجار الكسوه من الاحجار الجيرية الموجودة فى المنطقة ثم غطيت باحجار جيرية بيضاء . وعندما تم بناء الهرم ذى الدرجات السبع ثم زيادة ارتفاع القمة وزادت كل درجة تليها الى مستوى اعلى من الدرجة التى فوقها فى التصميم السابق ، واضيفت درجة جديدة الى القاعدة فأصبح الهرم يتكون من ثمانى درجات . أما التعديل الاخير ، فقد كان المقصود منه ان يتحول الهرم ذو الدرجات الثمانية الى هرم كامل ، وتوصلوا الى ذلك عن طريق ملء مابين الدرجات بالاحجار المحلية ، ثم كسى البناء كله بالحجر الجيرى الجيد واصبح طول ضلع الهرم بعد المرحلة الثالثة ١٤٤,٥ مترا . وكان ارتفاع الهرم يصل الى ٩٢ مترا . ولكن لم يتبق منه حاليا سوى اجزاء من الدرجتين الثالثة والرابعة من مرحلته الاولى ، وكل من الدرجتين الخامسة والسادسة وجزء من الدرجة السابعة من المرحلة الثانية ، وبذلك يظهر الهرم فى شكله الحالى كهرم له ثلاث درجات .

---

(1) Edwards, I.E.S., op. cit., p. 64. FF.

ويرجع ان الاسباب التى ترجع وراء انهيار البناء العلوى تكمن فى كونه قد احتوى عددا من نقاط الضعف التى امكن تجنبها عند تشييد هرم الملك نثررخت المدرج ، ومن هذه العوامل ان الاحجار التى شيد بها كانت صغيرة نسبيا ولم تشذب ، وكانت توجد فجوات كبيرة غير منتظمة بينها ، ومن ثم فان وقوع هذا النوع من البناء تحت ضغط ثقل كبير يعرضه للتحطم بسهولة ويؤدى الى كارثة تهدد بتغيير البنيان كله . ومن هذه العوامل كذلك ان عدد الجدران المدعمة فيها كانت قليلة العدد ، ومن ثم كانت المسافات بينها بعيدة وبالاضافة الى ذلك فقد احتوى هذا الهرم مجموعتين من المبانى الضعيفة تتصل ببعضها بعد عدة تعديلات فى تخطيط البناء الاصلى ، كما ان الاسطح الخارجية للهرم قد سويت وصقلت فى مرحلته الاولى ، وبعد ان اجريت الزيادة الثانية تم تسوية اسطح الهرم الخارجية وصقلها مرة اخرى ، وكان لهذه الاسطح خطورتها الكبيرة على بناء الهرم الداخلى ، حيث ان الكتل الحجرية الموجودة فوقها كانت تتزلق بسهولة نظرا لانها غير مثبتة فى طبقات البناء الموجود تحتها اما آخر هذه الاسباب واهمها فيرجع الى التعديل الذى أجرى على تصميم الهرم ليكون كهرم كامل ويرجع ذلك الى كون هذا — التعديل قد تحقق بواسطة وضع طبقات من الكتل الحجرية الضخمة فى وضع افقى على درجات الهرم ، ثم كسيت بغطاء حجرى يصل سمكه الى سبعة امتار ولم يكن لهذا الغطاء أى اساس يرتكز عليه بل كان يستقر مباشرة على الرمال ومن ثم فان الانهيار قد حدث حاولا فى هذا الغطاء مع السطح الخارجى للتعديل الثانى فى الهرم .

وبالاضافة الى هذه الاهرامات التى امكن نسبتها الى بعض ملوك الاسرة الثالثة ، فانه ينسب الى الاسرة الثالثة كذلك اربعة اهرامات اخرى فى كل من سيلا (١) بمحافظة الفيوم وزاوية الاموات بمحافظة المنيا (٢) ونوبت بمحافظة قنا (٣) والكوله بمحافظة اسوان (٤) .

ولا تعتمد هذه النسبة على اسس نصية أو اثرية محققة ، اذ لم يعثر فى أى هرم من هذه الاهرامات على اية نقوش أو كتابات يمكن أن يستدل منها على مشيديها ، كما انه يستحيل القول على وجه التأكد أن تكون هذه الاهرامات خاصة بملوك . وقد نسبت هذه الاهرامات الى الاسرة الثالثة بناء على وجهة النظر التى ابداها علماء الاثار الذين قاموا بالعمل فيها . وذلك على اساس انها قد شيدت لتكون اهرامات مدرجة ، ونظرا لكون هذا الطراز من المقابر الملكية قد ظهر فى عصر الاسرة الثالثة وتطور فى عصر الاسرة الرابعة الى الهرم الكامل . فانها فى هذه الحالة تكون قد شيدت فى عصر الاسرة الثالثة الذى يمكن أن يطلق عليه من الناحية

---

(1) Borchardt, L., in ASAE., t.1, (1900), p. 212.

(2) Weill, R., in C.R- Ac.Insce., 1912, p. 488-490.

(3) Petrie, W.M.F., Quibell, T.E., op. cit., p. 65.

(4) Stienon, T., in Chronique dè Egypte, no. 49(1950),p 42.

المعمارية اسم " عصر الاهرامات المدرجة " ولكن يلاحظ من ناحية اخـرى ان هذه الاهرامات الاربع لم تدرس دراسة علمية منظمة بشكل كامل ، ومن ثم فإنه لايمكن تحديد تاريخها تحديدا مؤكدا ، وهو الامر الذى لا يمكـن الوصول اليه الا بمزيد من الحفائر في مواقع هذه الاهرامات وكذلك بتعرية اجزاء كبيرة منها حتى يمكن تحديد تاريخها بدقة اكبر .

سياسة الاسرة الثالثة الخارجية :

فيما يتصل بسياسة ملوك الاسرة الثالثة الخارجية ، فيلاحـظ أن المادة الاثرية والنصية التى كشف عنها الملوك هذا العصر حتى الان لا تعطى صورة واضحة عن طبيعة هذه العلاقات ، وربما يوحى عـدم العثور على ادلة أثرية أو نصيه مباشرة تشير الى قيام فراعنة هذه الاسـرة بحملات عسكرية للدفاع عن حدود البلاد الى ان مصر قد نعمت فى هـذا العصر بأمن خارجى ناجم عن استقرار حكومتها وقوتها فى الداخل فلـم يتجرأ احد على انتهاك حرمتها وتدنيس ثراها المقدس .

وقد يستدل من نص متأخر يرجع الى العصر البطلمى ، على أن حدود مصر الجغرافية فى عهد الملك نثررخت قد امتدت فى الجنوب الى مابعـد الجندل الاول وحتى جزيرة ضرار أو جزيرة قرنه ، والتى تقع امام بلـدة قرنه عند المحرقه جنوب الدكه ، واطلق عليها الاغريق تاكمبسو ، ثم سميت فيما بعد بالاغريقية دوديكا شانيوس ، او الاثنتى عشر سلسلة ، ويمكننـا

أن نرى فى هذا النص اشارة الى ضم بلاد النوبة بالفعل الى مصر .

وقد سجل هذا النص فى العهد البطلمى حوالى نهاية القرن الثانى قبل الميلاد ، على صخرة عالية بجزيرة سهيل جنوبى اسوان ، ويشير هذا النص الى حدوث كمجاعه فى مصر فى عهد الملك نثررخت نتيجة انخفاض مياه النيل لمدة سبع سنوات ، فتضاءلت المحاصيل ، وجفت الفواكه ، وقل كل شىء يمكن اكله واصبح الاطفال يبكون ، والشباب ينتظرون ، واصيبت قلوب الشيوخ بالاسى ، وانثنت ارجلهم وتراخت ايديهم ، حتى رجال القصر لحقتهم الحاجة واغلقت المعابد ابوابها ، ووجد كل شىء خاويا ، وعندئذ استدعى الملك حامل الختم ورئيس الكهنة المرتلين ايموتب بن بتاح جنوبى جداره وسأله عن المكان الذى ينبع منه النيل ، وعن الاله المتحكم فى هذا المنبع وبعد ان رجع ايموتب الى المخطوطات ، عاد الى الملك واخبره بأنه توجد مدينة فى وسط المياه ، والتى منها يرتفع النهر ، وتسمى هذه المدينة آبو (الفنتين فى مقابل مدينة اسوان الحالية) وهى تعتبر بداية البداية ، وعاصمة الاقليم الاول ، وعند ها يوجد المنبعان اللذان يصدر عنهما كل الاشياء الطيبة وهى مهد الفيضان واثناء نوم الملك جاءه الاله خنوم الذى قال له : انا خنوم خالقك ، انى اعرف النهر عندما يتدفق فى الحقول ، ان النهر سيتدفق بقوة دون سنوات توقف أو تراخ ، ان النباتات ستنمو وستنضج الفاكهه ، وستصبح النهـ الحصاد فوق كل شىء ، ستمضى سنوات الجوع . وعندما افاق الفرعون من رؤياه ، اصدر مرسوما بالقرابين المقدمة الى الاله خنوم سيد منطقة

الشلال والمشرف على التربة ،فجعل حده الغربي جبال مانون ، وحده الشرقي جبال بخو من الفنتين وحتى تاكمسو كل هذه المنطقة له في الشرق والغرب سواء كانت أرضا خصبة أو صحراوية أو نهرية وكل مكان يقع في هذه المنطقة التي تبلغ كما قدرها برستد من ٧٥ الى ٨٠ ميل وجعل الملك لمعبد الاله خنوم الحق في تحصيل ضريبة العشر من صيد السمك والطوير واعمار المحاجر والمتاجر والمارة بهذه المنطقة .

ولقد قام بول بارجيه (١) بدراسة هذا النص واتجه الى الاعتقاد بأن هذه اللوحة قد كتبت في عهد بطليموس الخامس حوالي عام ١٨٧ ق.م وانها تعكس الاحوال السيئة التي مرت بها البلاد في هذه الفترة ، ويروى انه قد تخفى وراء نشررخت بالذات الى ان ذلك يرجع الى اهمية هذا الفرعون وذكراه في نفوس المصريين .

بينما يعتقد بعض المؤرخين الى الاعتقاد بأن للقصة أصلا قديما ، وان الاسلوب الذى كتبت به لا يخلو من تعبيرات ترجع الى عصر الدولة القديمة وانه يحتمل انه كان للقصة اصل قديم تعرض للتلف ، فلما زار احد الملوك البطالمة المنطقة امر بنقشها من جديد وتنفيذ ماجاء لصالح معبده (٢) ، ويرى شارف اننا اذا اعتبرنا هذا النص مزيفا فهو مكتوب

---

(1) Barguet, p., la stele de la Famine a sahel, 1953.,

(2) Wilson, T., "The Tradition of seven lean year in Egypt" in ANET., 1966, pp. 31-32 .

ولاشك فى العصر البطلمى ويدعى كاتبه انه من الاسرة الثالثة فيجب علينا ان نرى فيه على الاقل صدى لاحداث قديمة ، وان سيطرة مصر فى عصر الاسرة الثالثة امتدت الى هذا الجزء من بلاد النوبة السفلى .

وتوضح نقوش وادى مغاره بسيناء قيام ملوك الاسرة الثالثة والاوائل بحملات تأديبية فى هذه المنطقة لتأمين طرق القوافل التى تتجه الى هذه المناطق لاستخراج الاحجار الكريمة الموجودة محاصرة بها . وتشير هذه النقوش الى اهتمام ملوك الاسرة الثالثة بهذه المنطقة واستغلالها وحماية دروب القوافل بها .

وترك اول ملوك الاسرة الثالثة الملك "سانخت" نقشين فى وادى مغاره يوجد احدهما حاليا فى المتحف المصرى بالقاهرة ، ويوجد الاخر فى المتحف البريطانى . وقد مثل الملك فى النقش الموجود المصرى ، وهو يرتدى تاج مصر العليا ويمسك فى احدى يديه بمقمعه وبالاخرى عصا . أما النقش الموجود فى المتحف البريطانى ، فقد مثل فيه الملك فى حجم اكبر وهو يرتدى تاج مصر السفلى ويقوم بتأديب البدو .

وحذا الملك نثررخت حذو سلفه فى تأمين تلك المنطقة ، فمثلته نقوشه التى تركها بجوار نقوش سلفه وهو يقوم بتأديب احد سكان هذه المنطقة وظهر فى هذه النقوش كذلك احد موظفى الملك وقد كتب امامه : "قائد الجيش" ويعتبر ذلك من اقدم الالقاب العسكرية التى ظهرت فى هذا العصر .

ونهج الملك سخم خت خليفة نثررخت نفس النهج فقام بحمـــلات التأديب فى سيناء التــى سجلها فى نقوشه التى تركها بجوار نقوش سلفه ، وقد مثل فيها الملك مرتين وهو يرتدى تاج الجنوب ، ومرة يرتدى تـــاج الشمال وقد ظهر فى نقشين منهما وهو يحمل فى احدى يديه مقمعـــــه وبالاخرى عصا وظهر فى النقش الثالث وهو يقبض بناصية اسير راكع امامـــه ويهم بضربه بالمقمعه .

ومما هو جدير بالذكر ان عالم الاثار المانى فيليب لوير (١) يتجه الى ترجيح ان الملك سخم خت قد مات اثناء قيامه بحملة بعيدة ، من ثم لـم يدفن فى اسفل الهرم الذى بدأ تشييده فى سقاره . ويدلل على رايه بان مبانيه الجنزية قد قطعت فجأة ، ومن ثم فربما كان ذلك اثناء قيامــــه بحملات تأديب البدو فى سيناء نظرا لعدم العثور على اية ادلة اخــــرى تشير الى قيام الملك بأية حملة من الحملات فى المناطق الاخرى ، ومن ناحية اخرى فانه يلاحظ ان ذلك يتفق وما اعطته بردية تورين لفترة حكـم هذا الملك والتى قدرتها بست سنوات وما قدره مانيتون لفترة حكمه والتى قدرها بسبع سنوات .

---

(1) Lauer, T.P.H., Saggara, the Royal cemetery of Memphis, London, 1976 , p. 139.

الاســـرة الرابعـة

قد يبد و للوهلة الاولى ان عصر الاسرة الرابعة من اكثر الاســـرات المعروفة فى مصر القديمة ، نظرا لكونها اسرة بناة الاهرام الكبرى . ولكن الحقيقة غير ذلك فليس لدينا الا الشئ القليل عن تاريخ هذه الاســـرة والملك الذى لدينا معلومات اكثر فى عهده ، هو الملك سنفرو، مؤســـس الاسرة ، اما عن بقية الملوك فلانعلم عنهم الشئ الكثير سوى نشاطهـــم المعمارى . وسنقوم فيمايلى بعرض لنشأة الاسرة وترتيب ملوكها وسياستهم الداخلية والخارجية .

أولا : نشأة الاسرة الرابعة :

يمكن حصر وجهات النظر حول نشأة الاسرة الرابعة فى وجهتين يرى اصحاب الرأى الاول ان انتقال السلطة من الاسرة الثالثة الى الاســـرة الرابعة قد تم بطريقة طبيعية (١) ، وان أم "سنفرو" مؤسس الاسرة كانت تدعى "مرسى عنخ" وانها قد دفنت فى ميدوم وهى ملكة ذكرتها قائمـة بالرمو واحتفظ المصريون بذكراها حتى أوائل الدولة الحديثة ، فسجل كاتب من عصر الاسرة الثامنة عشر اسمها داخل خرطوش على جانب من معبد حونى فى ميدوم . ويتجه اصحاب هذا الراى الى القول بأن مرسى عنخ أم

---

(1) Reisner, G.A., Smith, W.S., A History of Giza Necropolis II, The Tomb of Hetep-Heres, cambridge, 1955, p. 1F .

سنفرو كانت زوجة للملك حونى آخر ملوك الاسرة الثالثة ، ولكنها لم تكن الزوجة الرئيسية فتقدمت عليها زوجة اخرى تتمتع بالدم الملكى الخالص انجبت منه ولدا وبنتا ولم يعرف حتى الان اسم الولد الذى كان وليا للعهد ، ويرجح انه مات فى اواخر عهد ابيه وانه دفن فى المصطبة رقم ١٧ فى ميدوم على مقربة من هرم والده هناك. أما الابنه فقد سميت "حتب حرس" وانحصرت وراثه العرش فيها بعد وفاة اخيها ، ولما كان المصريون حينئذ ولم يكونوا قد الفو حكم الاناث منفردات ، فقد زوج حونى ابنته حتب حرس ووريثه العرش من ولده سنفرو الذى انجبه من زوجه مرسى عنخ تجنبا للخلاف بين فروع زوجته وحتى تنتقل الى ابنه سنفرو الصبغة الشرعية الكاملة فى اعتلاء العرش ، ولقد احتفظ سنفرو لزوجته حتب حرس بمكانتها فسمح لها بأن تتلقب بلقب "بنت الاله" (سات نتر) .

أما اصحاب الراى الآخر فيرون ان الاسرة الرابعة كانت بداية لوحدة سياسة جديدة للبلاد ، حيث يتهجون الى القول بأن انقساما قد حدث بين الوجه القبلى ومملكة فى الوجه البحرى ، ويرون أن الانقسام ظل موجود حتى تدخل حكام الاشمونيين فى مصر الوسطى وكانوا يمتون بصلة القرابة الى بيت الملك نثررخت ، وناصروا الملك حونى واعتبروه الوريث الشرعى لعرش نثررخت ، ولكنه لم يتمكن من استعادة وحده البلاد كاملة ، فلما مات انتهت الاسرة الثالثة ، وورثت العرش بعده ابنته حتب حرس التى تزوجت من "سنفرو" الذى يعتبرونه من غير ابناء الاسرة المالكة وبذلك نقلت حق الحكم الى زوج من غير اسرتها أو بمعنى آخر نقلت اليه

الحق الاوزيرى المقدس التى استندت اليها اسرتها الثالثة القديمة فى الحكم . واعتمد اصحاب هذا الراى على تفسير خاص للجانب السياسى والاسطورى مستمد من المذهب المنفى المدون على لوحة شباكا (١) .

وقد ورد فى ثنايا هذا المذهب احداثا سياسية قديمة فى عبارات اسطورية جاء فيها ان نزاعا عنيفا نشب بين الملكين حور وست بعد موت اوزير صاحب العرش غرقا فى انب حج التى تمتع فيها بمكانة عظيمة جب رب الارض ووالد أوزير ان يفصل بينهما فقسم المملكة بينهما تسمين فجعل ست ملكا على الصعيد ويمتد حكمه شمالا حتى بلدة سو قرب الفيوم ، كما جعل حور ملكا على الوجه البحرى الا أن جب ادرك انه اجحف بحق حور فرجع فى حكمه واعلنه ملكا على مصر كلها وتوجه بالتاجين فى مدينة انب حج ، واضطر ست الى قبول هذا الحكم . وهكذا استقر اوزير مرة ثانية فى ارض حصن الملكة وتجلى ولده حور ملكا على الصعيد والدلتا بين ذراعى ابيه اوزير شأنه شأن الارباب والملوك الذين من قبله والذين من بعده .

وحاول اصحاب الاتجاه تأييد رأيهم بالقول بأن هذا الانشقاق السياسى الذى اشير اليه قد حدث خلال الاسرة الثالثة وذلك على اساس ان تأليف المذهب المنفى لم يسبق اوائل الدولة القديمة .

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٢١-٣٢٢ .

ويلاحظ ان هذا الراى الاخير ، قد اعتمد على ان مصر قد فقدت
تها فى الاسرة الثالثة ، وهو امر لانوافق عليه ولانأخذ به . والامر
. هنا ان ام سنفرو انما كانت تسمى "مرسى عنخ" وان زوجته كانت
ب حرس وهى التى قامت بالدور الرئيسى فى انتقال العرش اليه ، فهى
بلة الدم الملكى النقى . الذى يمثل الفرع المباشر للوراثة ، على
ماس انها ابنه "حونى" آخر ملوك الاسرة الثالثة .

وهناك من الادلة مايشير الى ان زواج سنفرو من حتب حرس انما تم
ابان عصر سلفه "حونى" ولم يكن قبيل أو بعد ارتقائه العرش ذلك لان
ولدها "خوفو" كان لابد أن يكون زاد عن العشرين عاما . عندما اعتلى
العرش ليصبح له ولدان اكتملت رجولتهما عند نهاية الثلاثة والعشرين عاما
تى حكمها . فقد شوهد الامير خوفو خع اف فى منظرين على احدى
حوائط قبر انتهى العمل فيه فى نهاية حكم والده . مره كشاب ومعه امه ،
واخرى كرجل بدين أما الامير كاوعب ، الذى يبدو مرجحا انه توفى فى فترة
معاصرة لوفاة ابيه صور وعليه الوقار مكتمل الرجولة وذلك على احدى
حوائط قبر ابنته الملكة مرسى عنخ الثالثة ، واذا قدرنا ان سنفرو قد تزوج
من "حتب حرس" فى سن الثامنة عشرة لينجب منها ولده البكر ، عند ذلك
لابد ان يكون قد تزوجها فى منتصف عصر سلفه "حونى" لكى يدعم حقه فى
وراثة العرش المصرى .

أما عن صلة سنفرو بحونى ، فهناك من يجعله ابنا له ، ومن يجعله

روجا لابنته وفي الواقع فاننا لانعرف تماما على وجه اليقين صلة الواحد منهما بالاخر ، فيرى الدكتور مهران انه لايميل الى اعتبار سنفرو ابنا لحوني ولما كان هناك مايدعو الى قيام اسرة جديدة ، اللهم الا اذا كان ذلك يعني ان فترة حكمه انما تمثل بداية عهد جديد من تاريخ مصر ابان عصر الدولة القديمة ، تتميز بتركيز الحكم في الشمال فضلا عن عدم وجود اهرامات في الجنوب . ومهما يكن من امر فان سنفرو انما يدين بعرشه الى الرابطة التي تربطه بحوني واسرته (١) .

ولقد مات حوني بعد ان حكم اربعة وعشرين عاما وتولى العرش بعده سنفرو الذي ظل وفيا لذكرى ابيه وعمل بمعاونة مهندسيه على الاستفادة من خبرات عهده في اتمام هرمه ومعبده في ميدوم . وعندما اراد أحد الادباء في عصر الدولة الوسطى ان يعبر عن انتقال العرش من حوني الى سنفرو قال

"وبعد ان توفي جلالة الملك حوني ، نصب جلالة الملك سنفرو باعتباره ملكا فاضلا في هذه الدنيا كلها".

---

(١) محمد بيومي مهران : مصر ... ، ص ١٣٥ .

ترتيب ملوك الاسرة الرابعة :

أ ـ سنفرو :

مؤسس الاسرة الرابعة إطلق عليه مانيتون التسمية "سوريس" وسماه ابوه "بتاح سنفرو" "بمعنى" الاله بتاح جملنى" وعثر على اسمه داخل خرطوش فيما اصطلح على تسميته بالهرم المنكسر في دهشور (أو الهرم الجنوبى) وذلك بين العلامات التى تركها العمال على بعض الحجارة التى بنى بها الهرم . وكتب اسمه الحورى نب ماعت فى تاريخ للتعداد الخاص عثر عليه فى مبانى الهرم الشمالى للملك بناحية دهشور وذلك فى الزاوية الجنوبية الغربية للهرم . كما ظهر اسمه على جوائط معبد الوادى للهرم المنكسر ، وعلى لوحات مقوسة اعلاها اقيمت فى المقصورة عند قاعدة الهرم الجانى . وكشف كذلك عن لوحتين مستديرة اعلاها خاصيتير ، كانتا مقامتان عند مقدمة الطريق الصاعد من ناحية معبد الوادى . وعثر على اسمه على كتلتين حجريتين فى فناء المعبد الصغير عند قاعدة ميدوم

كان سنفرو بناء عظيما وسنناقش منشآته المعمارية فى الجزء الخاص بسياسة الاسرة الرابعة الداخلية ، وكان محبوبا من الشعب فظلت ذكراه عالقة بأذهان المصريين قرون عديدة ، وكانوا يشيرون اليه بقولهم "الملك المحسن" "والملك الرحيم" و"الملك المحبوب" و"الملك الفاضل" وتلقب

سنفرو بلقب "حورى معبر وهو "نب ماعت " أى "رب العدالة" (١) .

واحتفظ الادب الشعبى لسنفرو بذكرى عطرة قلما احتفظ بهـــا الملوك سواء وتضمنت هذه الذكرى ثلاث روايات ادبية صورته جميعا على وتيره واحدة فوصفته بأنه ملك فاضل ، وصورته متواضعا يميل الى المعرفة ويكرم العلماء ويحسن الاستماع ويكتب بنفسه ولا يأبى ان يسأل عما لا يعرفه كما صورته يميل الى المرح والاستمتاع.

واقدم هذه الروايات ورد فى بروية وستكار التى كانت قد احضرتهـا الانسة وستكار من مصر وسلمتها الى ليبسيوس حينما كان مقيما فى انجلترا عام ١٨٣٨ـ ١٨٣٩ ثم أودعت فى متحف برلين بعد وفاة ليبسيوس ويرجح ان تكون هذه البردية ترجع الى ايام الهكسوس وان موضوعها قد كتـب ايام "امنحات الاول" مؤسس الاسرة الثانية عشرة الذى قام بكتابة بعض التنبوءات والقصص . وتشير مقدمة القصة الى ان الملك خوفو اراد ان يسرى عن نفسه فتاوى ابناءه الثلاثة وطلب منهم ان يقصوا عليه بعض القصص فنظر هؤلاء الى الماضى وبدأوا فى سرد ما أذهب عنه الملل .

(1) Gann, B., Concerning King sneferu, J.E.A., 12 (1926), pp. 250-251

فلما جاء دور الامير جدف رع . وقف يتكلم وقال لوالده : سوف أقص عليك اعجوبة حدثت في عهد والدك "سنفرو" وهي من الاعمال العظيمة التي قام بها كبير الكهنة المرتلين "جاجا م - عنخ" وذلك انه ذات يوم كان الملك "سنفرو" حزينا ، ومن أجل ذلك جمع رجال القصر ليجد لنفسه تسلية ولكنه لم يجد شيئا ، وحينئذ استدعى جاجا م - عنخ ، الذي اشار على الملك ان يلتمس التسوية في الخضرة والماء والوجوه الحسان ، وان يستقل قاربا ويصطحب معه عددا من العذارى ، فان قلبه سوف ينشرح حينما يراهن يجدفن جيئه وروحه ، وحينما يرى الامناظر التي على البحيرة وينظر الى ماحولها وشاطئيها الجميلة .

وعمل سنفرو بالنصيحة واصطحب في قاربه الكبير عشرين عذراء احضر ن عشرين مجدافا من الابنوس مرصعه بالذهب ، وعهد اليهن بالتجديف والغناء ، فاصطففن على جانبي القارب ، واخذن في التجديف والغناء وكانت كل منهن تحلي جبينها باكليل تزينه حليه على هيئة السمكة ولما شعر رئيستهن على وجهها فازاحته بيدها ، وعندئذ سقطت حليتها في الماء فسكتت عن الغناء وسكتت بعدها الباقيات ، ولما سألها الملك عن سبب سكوتها ، فاخبرته بما حدث ، فوعدها ان يعوضها عن حليتها بما هو خير منها ولكنها ابت الا حليتها ، فاسقط في يد سنفرو واستدعى كبير الكهنة المرتلين ، وقال له ياجاجا م -عنخ يااخي لقد فعلت كما قلت ولكن حدث كذا وكذا وقص عليه ماحدث وعندئذ تلا كبير الكهنة المرتلين عزيمة سحرية ، وجعل ماء احد جانبي البحيرة على

الجانب الاخر ، أى انه طوى الماء فى البحيرة ، كما تطوى الملابـــس ، ووجد الحلية موضوعة على قطعة خزف فى قاع البحيرة فاحضرها واعطاهـــا صاحبتها • وعند ذلك تلا تعويذه سحرية فرد ماء البحيرة ثانية الى مكانه وذلك كما زعمت القصة (١) •

وسواء كانت هذه القصة صحيحة أو أسطورية فقد اظهرت سنفرو ملكا اليفا يحسن المجالسة عذب الحديث يحب المداعبة محدث لبق • وترمـــز هذه القصة الى حياة الرفاهية التى عاشها سنفرو ، ومن ناحية اخرى فانها توضح ان قصاصها لم يتخيل ملكه ربا مطلقا قادرا مقتدرا ، كما تعـــودت النصوص الرسمية ان نصف ملوكها ، لم يجد بأسا فى ان يصوروه عاجزا عـن أن يفعل بعض مايستطيع كاهن من رعيته ان يفعله ، وان هذا الملـــك وان خاطبه رعاياه بلقب الربوبية الا انه لم يكن يعتقد فى نفسه الربوبيـــة الفعلية ولم يكن من المستبعد عليه فى هذه الحالة تبعا لذلك ان يخاطب اهل العلم فى عصره بلفظ الاخوة ، كما خاطب كاهنه المرتل •

والرواية الادبية الثانية التى اشارت الى ذكرى "سنفرو" فقد وردت فى التعاليم الموجهة الى الوزير كاجمنى (٢) ، وعثر على جزئها الاخيـــر

(1) Erman,A., The literatare of Ancient Egypt, p. 33 FF.

(2) GriFFith, F., "Notes on Egyption Texts of the Middle kingdom", in PSBA, vol. x111.

فى بردية بريس التي توجد فى المكتبة الاهلية فى باريس منذ عام ١٨٤٧ .
حينما اشتراها العالم الفرنسى بريس من احد الفلاحين فى الاقصر . ويبدو
ان هذه النسخة قد نقلت فى عصر الدولة الوسطى عن اصل قديم : وقد
اراد كاتب هذه التعاليم ان يؤرخها فذكر ان وقت كتابتها بعد ان توفى
جلالة الملك حونى : " نصب جلالة الملك سنفرو ملكا فاضلا فى هذه الدنيا
كلها وبذلك فقد شهد له بنفس الشهادة التى ذكرتها له القصة السابقة .

أما الرواية الثالثة ، فهى تؤكد ماجاء فى الرواية الاولى من تواضع
سنفرو وشغفه بمجالسة العلماء . ونعرف هذه الرواية باسم "نبوءة نفر رهو"(1)
وهى مكتوبة على بردية توجد حاليا بمتحف لننجراد "واول من تعرف عليها
الاستاذ "جولنيشف" وتبتدى هذه النبوءة بعبارة والان اتفق فى عهد
جلاله الملك سنفرو وهو الملك المحسن فى كل هذه الارض" ثم تأخذ فى
سرد ماحدث من ان الملك امر حامل اختامه بأن يستدعى اليه اهل بلاطه
وقال لهم :

ياأخوتى . لقد امرت بطلبكم لتبحثوا لى عن ابن من ابنائكم يجيد
الفهم أو أخ من اخوتكم بارع ، أو صديق من اصدقائكم آدى اعمالا باهرة
أى فرد يتحدث الى بكلمات جميلة والفاظ مختارة عندما يسمعها جلالتى
يجد فيها تسلية . فسجد الرجال امامه واشاروا عليه بكاهن مرتل من تل
بسطه يدعى نفر رحو ، وصفوه له بانه طويل الباع شديد الايد كاتب

(1) Breasted, T.H., The Dawn of Conscience, p. 200 FF.

طلق الاصابع ، ذو مقام يزيد ثراؤه عن ثراء اقرانه ، فامرهم بأن يستدعوه اليه . وعندما وفد الحكيم على سنفرو سجد امامه فقال له الفرعون : تعال الان يانفر رحو ياصاحبى وحدثنى بمواعظ مختصرة سديدة أو احاديث طريفة استمتع بسماعها وسأله نفر رحو : "هل مما حدث أو مما سيحدث يامولاى" فقال له سنفرو "بل ماسوف يحدث فان ماحدث تم وانقضى" .
وعندما تهيأ نفر رحو للرواية مد الملك يده الى صندوق ادوات الكتابة وسحب منه لفافه بردى ولوحه وتهيأ للكتابة ، فى جلال الحكام وتواضع العلماء .

ويلاحظ فى هذه الرواية ان كاتبها قد نعت الملك سنفرو بصفة الملك المحسن وان الملك عندما يخاطب احد رجال رعيته يقول له ياصاحبى وحينما يوجه الكلام الى رجال حاشيته يخاطبهم بقوله "يااخوانى" ثم نراه ينزل من عليائه الالهية ويقوم بعمل كاتب ، ويكتب هو مايمليه عليه احد صغار رعيته . وان ملكا يتصف بهذه الصفات ويتحدث الى رجال شعبه بهذه الوداعة والالفة ليليق به بأن يعد اول ملك شعبى فى العالم . .
ولاغرابه اذن ان نرى الشعب المصرى قد قابل هذه الروح الديمقراطية بطاعة واخلاص فبادل سنفرو الحب بالحب والاعتراف بالجميل ، واصبح هذا الحب لذلك الفرعون العظيم ينتقل من جيل الى جيل طوال التاريخ المصرى ، ولا ادل على ذلك من اننا لانجد فرعونا من فراعنة الدولة القديمة قد استمرت عبادته باقية منتشرة اكثر من الملك سنفرو الذى استمرت عبادته فى اكثر من مدينة مصرية حتى عهد البطالمة هذا بالاضافة الى

دخول اسمه فى اسم كثير من المدن المصرية لتعظيم تقديسه واحترامه وتجاوز عدد هذه الاماكن العشرين .

وورد ذكره على صخور سيناء على انه من الاسلاف المبجلين وعهده من العهود التى تقدمت فيها شئون التعدين . ومن اجل ذلك قدسه الناس. وترجع الى عهد الاسرة الثانية عشر العديد من النقوش الخاصة به ويبدو ان شعبيته قد وضحت فى هذا العهد ، فاتخذ بعض ملوك الاسرة الثانية عشرة اهراماتهم بجوار هرميه ، كما احبه الناس فى هذا العهد فتسموا باسمه مما يشير الى مكانته بين الناس وتقديرهم له .

وتبدو مظاهر الرفاهية والغنى والحياة الرغدة واضحة فى مقابر اسرة سنفرو فى ميدوم ودهشور والجيزة ، وبصفة خاصة مقبرة زوجته حتب حرس التى نهبت اغلب محتوياتها فى عهد ابنها الملك خوفو ، ولكن توضح البقايا المتبقية منها مدى الذوق الفنى الرفيع الذى اتبع فى صناعتها . ولم تقتصر مظاهر الرخاء فى عهد سنفرو على آثاره واثار اسرته وحدها ، وانما كان مجال الثراء ومجال الترقى فى المناصب الحكومية متاحين للنسابهين من افراد الشعب .

٢ ـ خوفـــو :

خلف خوفو (خنوم خو ـ اف ـ وى) اباه سنفرو بعد ان جلس على عرش الكنانة قرابة اربعة وعشرين عاما حسبما ذكرت بردية تورين . وتزوج من اخته مريت أيتس وكانت زوجته الرئيسية وقد وجد اسمها منقوشا على حجر في مزار قبر الامير كاوعب ، ويحتمل انها دفنت في الهرم الصغير الواقع الى اقصى الشمال من الثلاثة اهرام الموجودة الى الشرق من هرم زوجها خوفو . ولكن لم يعثر على أى اسم لها هناك ، كما انها كرمت في عهد خفرع رغم ما يرجح من انها ليست امه .

واستفاد خوفو من خبرات رجال ابيه وجهود عهده ، وعلى ذلك فقد خطت البلاد في عهده خطوات كبيرة اكثر مما وصلت اليه في عهد ابيه من النواحي الفنية والامكانيات المادية ، ورغم كل ذلك فليس لدينا عن اخبار عهده سوى القليل .

وعثر على اسمه منقوشا على محاجر في الصحراء الغربية شمال شرقي ابو سنبل وشمال غرب توشكا على مقربة من طريق القوافل الذى يربط أسواق بدرب الاربعين وقطعوا من هذه المحاجر حجر الديوريت . وظهر اسمه على آثار معبد في جبيل (اطلق عليه المصريون عليها كبنه ، وسماها الاغريق بيبلوس لبنان الحالية) وظهر مع اسمه بعض فراعنة الدولة القديمة ممن جاءوا قبله أو جاءوا بعده على العرش .

وعثر على خرطوشه الذى يحمل اسمه "خنوم خو اف وى" فى محاجر متعددة وفى مقابر اقربائه ونبلائه ، وكذلك فى عدد من الكتلبات من العصر المتأخر .

وقد عثر على اسمه مكتوبا على بقايا عدة اوان فى معبد حور فى نخن كما عثر له على تمثال صغير يصوره جالسا فى معبد خنتى امنتيو فى ابيدوس وهو محفوظ الان بمتحف القاهرة (١) ، ولا يتعدى طوله بضعة سنتيمترات ويمثله جالسا على كرسى متوجا بالتاج الاحمر . وهذا وقد ذهب بعض المؤرخين الى ان خوفو ليس منفى الاصل ، وانما من بنى حسن بالمنيا مقر عبادة خنوم ، ومن ثم فقد سمى المصريون هذه الناحية "منعت خوفو" أى مرضعه خوفو وهناك عدة افتراضات ، منها ان "منعت خوفو" قد يكون مسقط راسه ومنها مرضعه خوفو قد تكون من بنى حسن .

واعتبر اسم خوفو فى العصور التالية تميمة قوية لمن يحملها . ومن ثم فاننا نرى اسمه مذكورا على جعارين كثيرة كان يحملها المصريون القدماء

---

(1) Uandier, T., Manael d' Archeologie Egyptienne, III, paris, 1958, p. 15.

كان الاسم الكامل لخوفو "خنومخواف وى" وهو اسم يفيد معنـــى "خنوم" هو الذى يحمينى ويدل على الايمان بحاجة خوفو الى معبـــود اكثر قدره منه يرعاة ويحميه، ويحتمل ان يكون الاله خنوم الذى انتسب اليه خوفو رب منابع الفيضان الذى قدسه اهل اسوان ، أو ختوم الفخرانـــى الذى يشكل الانسان من الصلصال على عجله الفخار وهو الاله الذى عبده اهل بلده "هو" فى المنيا ، وان يكون خنوم المنفى الذى لقبه اتباعه بلقب "من يتصدر" وظلت صلة خنوم بالملكية باقية بعد خوفو ، فنسبت متـــون الاهرام ملكها اليه وأعتبرته أبنه ، وتلقبت بعض الملكات بلقب "حبيبــه الكبش" على اساس تشبيه الملك بالكبش (الى جانب تشبيهه بحيوانــات اخرى مثل الفحل والسبع) وكان الكبش رمزا حيوانيا للمعبود خنـــوم باعتباره ربا من ارباب الاخصاب ..

واطلق على نفسه بعد اعتلائه العرش لقبا صعبت قرائته قراءة سليمة حتى الان وتحتمل قراءاته "حور مجدد" أو "حور مجرو" والذى قد يعنى "حور سديد المرمى" أو "حور الحصين" . وانتسب بنفس الكلمة مجـدو أو مجرو الى الربتين نخبت الهة الصعيد وواجت الهة الدلتا بمعنـــى المهتدى بهما أو مايشبه ذلك من صفات طيبه . ولقبه رجال بلاطه بلقب آخر تحتمل قراءته "حور نب رخو" ربما يعنى الملك الحورى " رب المعرفة أو حورى نب رخو ، بمعنى رب العلماء المنتسب الى الصقرين (حوروست) أو حوروى نب رخينيو ، بمعنى رب الشعب المنتسب الى الصقرين . وايـا ماصح من هذه القراءات فانه يدل من غير شك على رغبة اصحابها من وصـف

ملكهم بصفة طيبة يحبونها فيه (١) ٠

وصور المصريون في قصصهم الشعبي جوانب اخرى من شخصية الملك خوفو ويظهر ذلك في برديه وستكار التي اشرنا اليها من قبل اثنـــاء حديثنا عن الملك سنفرو وجاء في هذه البردية انه بعد ان انتهى الامير جدف رع من ذكر القصة التي اشرنا اليها وحدثت في ايام والده سنفـــور ٠ قام ابنه حور د دف ليتكلم فقال لوالده يوجد في زمنك ساحر اسمه جدى يعيش في بلدة تسمى جد سنفرو (مدينة بالقرب من ميدوم الحالية شمالـى مدخل الفيوم) بلغ من العمر مائة وعشرة اعوام ويأكل خمسمائة وخمسيـــن رغيفا من الخبز وفخذ ثور من صنف اللحم ويشرب مائة ابريق من الجعه ٠ وهو يستطيع أن يجبر اسدا على ان يسير اليفا طائعا خلفه ، وانـــه يستطيع ان يقطع الرقبة ثم يتلو عليها تعاويذه فتعود الى مكانها مـــن الجسم وتسترد حيويتها ، كما انه يعرف عدد الاقفال التي يحتوى عليها معبد تحوت ، وكان خوفو دائم البحث عن هذه الوثائق المقدسة ٠

وعندئذ امر حوفو ابنه ان يذهب بنفسه ويحضره اليه ، وذهـــب حورددف الى جدى واقر له بمكانة تليق بسنه وعلمه ، وركب معه في سفينة حتى وصل الى مقر الملك ، وعندئذ قال له خوفو "ماهذا ياجدى وكيف لم نسرك حتى الان " فاجاب جدى "يامولاى من دعى اجاب ، ولما دعوتني ببيت" ويتضح من ذلك ان الرجل لم يكن يجد مايلزمه لان يتهمح

عبد العزيز صالح ، مرجع سابق ، ص ٣٠

ببلاط الملك من تلقاء نفسه أو يقصد عتابه من تلقاء نفسه .

فقال خوفو لجدى " أصحيح مايقال من انك يمكنك ان تركب ثانية رأسا قد قطع ؟ فقال جدى : نعم اعرف ذلك يا مولاى " فقال جلالته احضروا لى سجينا من السجن حتى يوقع عليه عقابه " فقال جدى ليس على رجل يامولاى ؟ انظر اليس من الخير ان نجرب شيء مثل هذا على الماشية فاحضرت اليه اوزة ثم فصل راسها ، ووضعت الاوزة فى الجانب الغربى من القاعة وراسها فى الجانب الشرقى منها ، وتلا جدى تعويذه سحرية ، فوقفت الاوزة ومشت وكذلك فعل راسها ولما وصل احد الجزئين الى الاخر وقفت الاوزة وصاحت واحضرت اليه وعمل فيها بالمثل .

واضافت القصة وهذا هو الاهم ان خوفو سأل جدى عن طائفة من الخزائن والوثائق المقدسة ، ذكر له اتباعه انها تخص رب الحكمة تحوتى فاجاب جدى بأنه يعرف مكانها فعلا ، ولكنه حاووه عنها وداوره وأبى أن يقوده اليها . وظل خوفو على جهل بها على الرغم من ان نصوص الملكية ونصوصه الرسمية ونصوص رجال حاشيته كانت تلقبه "نثرعا" اى الاله العظيم .

ويتضح مما جاء فى هذه البردية ، ان خوفو جلس بين اولاده يسمع منهم ويسامرهم وينصت لما يقصه كل منهم ماتناهى الى علمه عن اخبار الماضى واخبار اهل المعجزات فيه ، ورووا عنه انه كلما سمع من ابنائه عن

معجزة قام بها فرعون قديم او عالم قديم ، ترحم على هذا العالم كما ترحم على الفرعون ، وامر بأن تخلد لكل منهما ذكراه وان تجزل العطايا والقرابين لمقبرته ..

ولسنا نشك في أن ذكر السحر في هذه القصة محض اختلاق وخيال وان اعتذار الحكيم عن ادائه لا يزيد عن مجرد تخلص لبق لطيف ولكن يستفاد من القصة انها كشفت عما كان مؤلفها يتخيله من بشرية خوفو واحتمال عجزه عن آداء ما يؤديه بعض رعاياه ، وكشفت عما كان يود الناس ان يظهر به حكيم من الشعب في مواجهة الملك العظيم ، صاحب الهرم الاكبر ، من عزة النفس والاعتراف لقومه بنبالة الاصل .

حكم خوفو ٢٣ سنة حسب رواية بردية تورين ، وظلت ذكراه باقية بعد وفاته بآلاف السنين . وحينما وفد الاغريق الى مصر سمعوا عنه روايات متعددة نقل لنا المؤرخ اليوناني هيرودوت احداها ، وذكر فيها ان خوفو اغلق معابد الارباب ، وحرم على المصريين تقديم الاضاحي فارضا عليهم ان يكدوا في العمل من اجله واضاف هيرودوت ان المصريين لم يذكروه بخير هو وولده خفرع بينما حبوا حفيده منكاورع حين استنكر مسلك أبيه وجده ، وفتح المعابد ويسر للناس ان يقدموا أضاحيهم وينصرفوا الى اعمالهم .

واتجه بعض المؤرخين الى تفسير هذه الرواية بشكل مقبول فرأوا أن

ماذكره هيرودوت ماهو الا تفسير خاطئ لبعض الروايات المصرية القديمة التى تحدثت عن الاوضاع التى خضعت لها مقاصير القربان فى المصاطب فى عهد خوفو وولده خفرع فقد حرم خوفو على اصحاب هذه المقاصير ان يضعوا لانفسهم فيها تماثيل مكشوفة ، او يقيموا فيها ابوابا وهمية يكتبون عليها نصوصهم ويقدمون امامها قرابينهم واضاحيهم على نحو ما اعتادوا فى عهد ابيه سنفرو ، وربما اقدم خوفو على هذه الخطوة لرغبته فى ان يجعل اقامة التماثيل والابواب الوهمية فى المقابر حقا لاسرته وحدها وبعض المقربين اليه ، أو ربما لرغبته فى ان يجعل تقديم القرابين والاضاحى امام التماثيل حقا لتماثيل الارباب والفراعنة دون سواهم .

ومما قد يشير كذلك الى محافظة خوفو على معابد الارباب ، من حقيقة العثور على بقايا عدة اوان له فى معبد حور فى نخن ، وتمثال له فى معبد خنتى أمنتيو فى ابيدوس وأن احد احفاده تسمى "خوفو مرى نتثرو" أى خوفو محبوب الالهه" وفى هذا مايشير الى ان اهل عصره كانوا يعتبرونه محبوبا من اربابهم وليس مكروها منهم .

٣ـ جد فـــــرع :

كان من المقرر ان يخلف خوفو على عرش مصر ولده الاكبر من زوجته الرئيسية الامير "كاوعب" فزوجه ابوه من اخته حتب حرس ، وهيأه لتولى هذه المهمة الا انه مات قبل وفاة ابيه بقليل ، ولم ينجب على مايبدو سوى بنتا واحدة وادت وفاته الى حدوث انقسام فى الاسرة الحاكمة الى فروع حاول كل فرع منها ان يستأثر بالحكم . اذ يبدو ان الملك خوفو كان متزوجا من زوجات ثلاث انجب من زوجه الرئيسية بجانب ابنه كاوعب اميران صغيران لم يستطيعا الوصول الى العرش أو المطالبة به . أما الزوجة الثانية فكان اكبر ابنائها جد فرع وكان اكبر ابنائه من زوجه الثالثة خفرع .

وتمكن جد فرع من اعتلاء العرش بعد وفاة والده خوفو ، واتخذ لقب "خبر" واشرف جد فرع على دفن ابيه وتغطية مركبه الحجرى التى كشف عنها جنوبى هرمه ، اذ عثر على اسمه مكتوبا عدة مرات على الاحجار الكبيرة التى كانت تغطى المركب ، وتزوج جد فرع من ارملة اخيه كاوعب ليزكى حقه فى العرش عن طريقها . الا انه لم يشيد هرمه بجوار هرم ابيه بل شيده فى منطقة ابى رواش الى الشمال الغربى من هرم والده بحوالى ثمانية كيلو مترات .

ويتميز عهد جد فرع باستمرار تقدم الاساليب الفنية في عهده ، فقد عثر له على عدة تماثيل صور الفنان وجه مليكه فيها باسلوب واقعي صارم حزين ويعتقد انه قد ابتدع في عهده اول نموذج لتماثيل ابي الهول برأس انسان وجسم اسد رابض .

هذا وقد استمرت ذكرى "جد فرع" في نصوص افراد من الاسرة الخامسة كانوا يعملون بالكهانة في معبده ونسبوا اليه عدة ضياع . هذا فضلا عن نص في وادي الحمامات يرجع الى الاسرة الثانية عشره ، كتبه رجل بعد وفاته بنحو سبعة قرون . ولم يطل العمر بجدف رع اذ لم يحكم اكثر من ثمان سنوات(١) .

(1) Gauthier, H., "Le Roi ZadFre successeur Immediate de khoufou-kheops," in ASAE, 25, p. 175-180.

٤ـ خفـــــرع :

تولى خع اف رع العرش بعد اخيه جد فرع في ظروف غير معروفـــة فلايمكن الجزم بأن جد فرع قد قتل ، فليس لدينا وثائق تؤكد ذلك ، واعاد خفرع للجيزة اهميتها ولبقية افراد الاسرة الحاكمة مكانتهم ، وحتى يضمن ولاء أسرة اخيه كاوعب ـ ولي العهد الذى توفي ابان حياة ابيهـــم خوفو ـ فقد تزوج ابنته ٠

ويلاحظ ان هيرودوت قد نطق اسم هذا الملك "خفرن" واخــــذ بعض المؤرخين هذه التسمية واستخدموها أما مانيتون قد ذكره باســـم "سوفيس" أو "سافيس" ولقد رأى هرمان رانكة ان اسمه يقرأ "رع خع اف" وقد ذكر اسمه في كل من قائمة ابيدوس وسقارة وبردية تورين ٠

ولسنا نستطيع ان نحدد تماما الفترة التى حكمها الملك خفـــرع ولكن يبدو محتملا انها خمسة وعشرين عاما ، اذ ورد على بعض جـــدران مصطبتين ترجعان الى عهده وتقعان في الجبانة الشرقية لهرم خوفو مايفيد ذكر التعداد الثالث عشر أى انه حكم خمسة وعشرين عاما ٠

ولا تمدنا المصادر الاثرية بصورة واضحة عن مشاريع الملك خفـــرع العمرانية او اعماله الحربية فلم تصلنا سوى اشارات قليلة ٠ وتبرز آ شـارة المعمارية والفنية المتخلفة من عهده ان العمارة والفن في عهده قد خطـا

تحت حكمه خطوات واسعة لا تقل عن الخطوات التى خطاها فى عهد ابيه وعهد جده .

وتلقب الملك خفرع بعدة ألقاب منها (١) "حور سخم ايب" و"حو الجسور" و"حور سخم نوب" بمعنى "حور الذهبى الشديد" (و"نشر نفر" بمعنى الاله الخير" كما لقبته بعض القابه بلقب "خفرع حبيب الارباب" .

أما اهم الالقاب التى اتخذها فكان لقب "سارع" أى ابن رع" وهذه هى المرة الاولى التى يصرح فيها فرعون ببنوته لاله رع ، وهدف الملك من اتخاذه لهذا اللقب مسايرة مذهب الشمس فى نشاطه الواضح خلال عصر الاسرة وهى مسايرة بدأها لملوك منذ عصر الاسرة الثانية وفى اوائل الاسرة الثالثة . وربما سار عليها كذلك سنفرو مؤسس الاسرة الرابعة حين شيد معبده الجنزى ومعبد ابيه الجنزى الى الشرق من هرميها بدلا من ناحية الشمال التى شاد ملوك الاسرة الثالثة معابدهم فيها . واستمر الملك خوفو فى هذه السياسة حين سمى ثلاثة من ابنائه على اقل تقدير باسماء يتداخل فيها اسم رع .

ومن ناحية اخرى فقد هدف الفرعون من اتخاذ هذا اللقب ان يدلل

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٣٤٨ .

على انه يعتل العرش بناء على بنوته للاله رع صاحب العرش القديم وبتفويض منه · وربما عن رغبة منه كذلك في أن يكتب له الدوام في العالم الاخر مثل رع ·

ولم يخصص خفرع جبانه لافراد عائلته كما فعل خوفو · فقد دفنت الملكات واولاده في مقابر نحتت في الصخور الواقعة في المنحدر الواقع شرقي هرمه والى الجنوب من الطريق الصاعد · وقد استخدم بعض افراد حاشيته بعض المصاطب التي لم تتم في الجبانة الغربية للملك خوفو كما قام غيرهم ببناء مقابرهم في الجبانة الشرقية للملك خوفو · وقد دفنت زوجة الملك خفرع الرئيسية وكانت تسمى "خع مر ايرنبتي" في قبر نحت في المكان الذى كان يؤخذ منه الحجارة شرقي هرمه · وجاء في بعض النقوش الموجودة على جدران هذا القبر ذكره للاميرة "خع ايرنبتي" الثانية التي اصبحت فيما بعد الزوجة الرئيسية للملك "منكا ورع" ·

وافترض بعض المؤرخين حدوث نزاع على العرش بعد وفاة الملك خفرع واعتمدوا في رأيهم هذا على ماورد في قائمة تورين من وجود ملك بين خفرع وسنكاورع ، ولكن اسمه تمزق فيها ، واعتمدوا كذلك على نقش عثر عليه في وادى الحمامات عام ١٩٥٠ م سجله كاتب مصرى من عصر الدولة الوسطى وتضمن جدولا به اسماء في خانات ملكية مرتبة على النحو الاتي : (1)

(1) ASAE., 1951, 89

"خوفو — جد ف رع — خفرع — حورد د ف — باوف رع" . وعلى ذلك فانه يلاحظ انه وضع ملكين بعد خفرع على العرش المصرى . ومن ناحية اخرى فانه يلاحظ أن حور د د ف كان احد ابناء خوفو وقد دفن فى مصطبه كبيرة شرقى الهرم الاكبر . واما باوف رع فلا توجد آثار معروفة له . وان كنا نعرف من بردية وستكار ان القصة التى قصها باوف رع لوالده خوفو كانت بعد القصة التى قصها "خفرع وقبل تلك التى قصها "حور د د ف" .

ويرى الاستاذ الدكتور / عبد العزيز صالح (١) ان الاستشهاد بالنص الوارد فى وادى الحمامات على وجود ملكين حكما مصر بعد خفرع هو استشهاد ضعيف فكاتب النص كان يهدف من كتابته لنصه ان يسجل ما احتفظت به القصص فى عهده من اسماء خوفو وأبنائه دون أن يحفل باسماء احفاده ، ودون ان يبغى التاريخ فى نصه لتتابع ملوك الاسرة الرابعة ، لانه لو اراد التأريخ لهم الكتب مع الاسماء الخمسة اسما منكاورع على اقل تقدير خاصة وانه من الصعب ان يتجاهله وهرمه موجود فى الجيزة بجوار والده وجده ، وظلت ذكراه باقية فى قوائم الملوك وافواه المصريين الذين اعتبروه اكثر تساهلا مع رعيته واكثر قربا منهم من ابيه وجده . وذلك على حين لم تشتهر للاميرين حورد دف وباوف رع آثار تضعهما فى مصاف الملوك ، وان استمتع اولهما بسمعة طيبة ، باعتباره من حكماء عصره المتدينين اصحاب التعاليم . اما ثانيهما فربما ولى الوزارة فى عهد اخيه .

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٥٤ .

ومهما كان الامر فلقد اعقب خفرع من الاسماء الكبيرة في الاسرة الرابعة اسم "منكا ورع" .

الملك منكا ورع:

اتخذ منكاورع القاب عديدة منها "كاخت" أى فحل الجماعة ، جماعة الارباب ولقب "حور نوب" "واج ايب" بمعنى "الصقر الذهبى "منتعش القلب الشاب ، واسماه هيرودوت موكيرينوس ، واطلق عليه مانيتـــون منخريس(١) . أما برديه تورين فقد ذكرت انه حكم ثمانية عشر عاما ، الا انه يحتمل انه قد حكم ثمانية وعشرين عاما .

ومما هو جدير بالذكر انه حينما فتح المدخل الموجود في الناحيـة الشمالية لهرم منكاورع عام ١٨٣٩ عثر على تابوت خشبى قيل في ذلـــك الوقت انه تابوت الملك ، وقد كتب عليه نص بالهيروغليفية باسم هـــذا الملك . كما وجد بداخل التابوت الخشبى بقايا جثة لرجل ، وقد نقـل كل من التابوت وهذا الجزء من الجثة الى المتحف البريطانى ، الا انـه يستبعد ان يكون هذا التابوت للملك منكا ورع ، وقد اكتشف الاثـــرى الانجليزى بيرنج في الحجرة تابوتا من البازلت منحوتا نحتا جميلا ، ولما حاول نقله الى انجلترا غرقت السفينة التى كانت تحمله عند شواطـــئ اسبانيا .

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص٣٥٤ .

وظهر التقدم الفنى واضحا فى عهد الملك فى النحت الذى زين به تابوته المصنوع من البازلت وكذلك فى التماثيل التى نحتت له وحده أو مع زوجته أو مع بعض المعبودات المصرية ٠

واتيح لكبار الافراد فى عهده من الثراء وحرية التصرف فى مقابرهم اكثر مما تهيأ لهم ولا سلافهم فى عهد ابيه وجده ، فكثرة تماثيلهم فيها ، وزادت نقوشهم ومناظرهم على جدرانها ٠ ونحتت بعض هذه المقابر فى هضبة الجيزة بينما بنى الاخر فوق سطح الارض ٠ كما سمح منكاورع لابنائهم بالتعليم فى القصر الملكى مع ابنائه لينشأوا ، اوفياء له مخلصين لبلاطه ٠ ويبدو انه كان لهذه السياسة اصلا فيما يبدو لما سمعه هيرودوت فى العصر المتأخر من أن المصريين قد احبوا الملك منكاورع اكثر مما احبو اباه وجده ٠

شبسكاف :

خلف والده على العرش ، واتخذ اسما حوريا هو "شبس خت" وشيد لنفسه مقبرة على هيئة تابوت ضخم يبلغ طوله ١٠٠ م وعرضه ٧٢ م وارتفاعه ١٨ م وآثار هذا العمل بالاضافة الى عدم وجود اسم رع فى اسمه جدلا كبيرا بين العلماء فرأى بعضهم ان ذلك يشير الى عدم مناصرته له ورغبته فى البعد عن كل رموزه بينما اتجه آخرون الى الاعتقاد بأن الفاء الاخيرة فى اسم شبسكاف وهى فاء الضمير المفرد المذكر الغائب تشير الى

رع اله الشمس بالذات وان احلال الضمير محل اسمه يدل على مغـالاة الملك فى تبجيل ربه ٠

هذا ويرجح ان شبسكاف لم يتخذ سياسة ضد الاله رع ، بل ناصره وسار على السياسة التى سار عليها اسلافه ، ومما يبرهن على ذلـك احتفاظه بلقب سارع الذى ظهر منذ عهد جده "خفرع" اما عن اختيـار مقبرته بهذا الشكل فيمكن تفسير ذلك بأنه يرجع الى نقص الموارد فى عهده ورغبته فى ان يتحاشى بناء هرم صغير تتضح ضآلته اذا شيده بجانـب اهرام اسلافه الكبار فى الجيزة خاصة وانه قد اضطر الى اكمال معبـد والده الجنزى بالطوب اللبن ، وكذلك معبد الوادى الذي شيده له من اللبن كذلك ٠

واتبع شبسكاف سياسة سلفه فى اكتساب ود عظماء قومه عن طريـق رعاية ابنائهم فى قصره ، ويذكر له من ذلك انه زوج ابنته من أحد افـراد رعيته وهو شبسبتاح ٠ وكانت هذه المرة الاولى التى زوج فيها فرعـون ابنته من احد افراد رعيته وسلك شبسكاف سياسة مماثلة فى سبيل اكتساب ود عظماء كهنة المعابد فى عهده عن طريق أعفائهم واعفاء معابدهم من بعض التكاليف المفروضة عليهم ٠

ولم يطل عهد شبسكاف فربما لم يزد عن اربع سنين ، ثم انتهت وراثة العرش فى اسرته الى الاميرة خنتكاوس التى اختلف المؤرخون حـول

صلتها بالملك شبسكاف فرأى البعض انها ابنه منكا ورع واخت شبسكاف وزوجه ، بينما رأى اخرون انها ابنته وعلى اية حال فهى صلة الوصل بين الاسرتين الرابعة والخامسة ..

سياسة مصر الداخلية فى عهد الاسرة الرابعة :

أ ـ التنظيمات السياسية والادارية :

اتخذت الملكية فى عصر الاسرة الرابعة لقبين جديدين بالاضافة الى الالقاب الثلاثة التى اتخذتها من قبل فى عصر الاسرتين الاولى والثانية ، فكانت الالقاب الثلاثة السالفة هى : اللقب الحورى وقد ظهر منذ بداية عصر الاسرات تقريبا . واللقب النبتى الذى يعنى "الربتان" "أوالسيدتان" وقد ظهر منذ عهد الملك حورعحا ثم اللقب النوبيتى أى "ملك الوجهين القبلى والبحرى" ، وقد ظهر منذ عهد الملك دن .

أما اللقبين الجديدين فهما : لقب حور نوب" وقد ظهر ابتداء من عهد الملك "سنفرو" مؤسس الاسرة[أ] ويفسره الباحثين على اساس انه يفيد معنى "حور الذهبى" وذلك اعتمادا على ماورد فى النصوص المصرية التى اختلفت على هذا اللقب "الاسم الذهبى" بينما يرى بعض العلماء انه يعنى "حور المنتصر على عدوه ست" اشارة الى ماورد فى قصة اونو من انتقام حور لوالده اوزير من عمه ست وهزيمته فى عاصمته المسماه "نوبت" القريبة من قفط ..

(أ) وان كان يراجح انه ظهر فى عهد الملك نثررخت كما سبق الاشارة .

أما اللقب الثانى فهو سارع .وقد ظهر منذ عهد الملك خفرع ومعنـــاه "ابن الشمس" وقد اصبح هذا اللقب فيما بعد يسبق الاسم الشخصى للملك الذى يسمى به منذ ميلاده . وكان اسم الملك الذى يتبع لقب ابن الشمس يكتب داخل شكل شبه بيضاوى يعرف فى علم الاثار المصرية باسم "الخرطوش" وكان فى الاصل ذا شكل مستدير اشارة الى ان اسم الملك وبالتالى حكمه يمتد فى العالم الذى تحيط به دائرة الشمس . وعندما كثرت الحـــروف والعلامات فى اسماء الملوك استطالت هذه الدائرة حتى اتخذت شـــكل الخرطوش منذ عصر الملك سنفرو .

وبهذين اللقبين اكتملت الالقاب الخمسة للفرعون واستمرت عللى ذلك حتى آخر العصر الفرعونى ، وبالاضافة الى هذه الالقاب ، قد اطلقـــت على الملك عدة نعوت من بينها "نثر نفر" ومعناه الاله الطيب وكان يطلق على الملك فى حياته ، ثم نثر عا ، ومعناه الاله العظيم" وكان يطلق علـى الملك بعد موته . وقد ظهر منذ عهد الملك خفرع .

وفيما يتصل بوظيفة الوزير . فقد ظهرت بوضوح فى عصر الدولة القديمة ولم تكن واضحة خلال عصر الاسرتين الاولى والثانية . وكذلك عصر الاســرة الثالثة وان كان هناك من المؤرخين من يرى فى صورة الرجل المواقف امـام الملك "نعرمر" فى رسوم لوحته الا ردوازيه الشهيرة مايشير الى انه كــان وزيرا بدليل كتابة كلمة "ثت" فوقه ، وهى قريبة من نطقها من كلمة "ثات" التى كانت تعنى وزير فى العصور التالية . كذلك يرى البعض انها قـــد

ظهرت عند نهاية الاسرة الثانية وبداية الاسرة الثالثة ، بدليل العثور على اسم شخص يدعى "منكا" مكتوبا على عدة اوانى مصحوبا بعلامة واضح انها تشير الى كلمة "وزير" فى مجموعة الملك "نثر رخت" الجنزية بسقارة ٠

أما اول ظهور مؤكد لهذه الوظيفة فقد كان فى عهد الملك "سنفرو" وقد يشغل هذه الوظيفة ابنه المدعو "كانفر" (١) وظلت الوزارة محصورة فى ابناء الفراعنة حتى عصر الاسرة الخامسة عندما تولى الوزارة رجال من صفوف الشعب ولما كانت اعمال الوزير تتناول ثلاث مجالات رئيسية هى حماية القانون ورئاسة القضاء والاجهزة الحكومية والادارية فى الدولة فقد عبر المصريون تعبيرا دينيا كعادتهم عن هذه الاختصاصات فاعتبروا الوزير كاهنا للالهة الثلاثة التى ترمز الى هذه الاختصاصات، وهى الاله "تحوت" رب الحكمة والقانون والالهة "ماعت" أو معات" ربة العدالة والقضاء ، والالهه "سشات" ربة الادارة والكتابة ٠

وكان يعاون الوزير على مايبدو ، مجلس استشارى فى شئون الوجه القبلى وتكون هذا المجلس من عشرة من كبار الشخصيات حملو لقب" عظماء عشرة الوجه القبلى " ، وكان يشترط لعضوية هذا المجلس ان يمر الموظف بوظيفة حاكم المقاطعة اولا وفى هذا توكيد السلطة المركزية واخضاع حكام الاقاليم لهذه السلطة ولكن عضر الاسرة الخامسة الغى ذلك الشرط ،

---

(١) نجيب ميخائيل ابراهيم : مصر والشرق الادنى القديم ، جـ١ ، ص٢٢٩

واصبح الوصول الى عضوية مجلس العشرة مفتوحا امام كل من شغل وظائف في سلك الكهنوت أو القضاء ، وكانت الوظائف الكبيرة مثل وظيفة مدير ادارة السجلات والمحفوظات ومدير مصلحة الاشغال والمباني وقد مارس هؤلاء العظماء سلطات قضائية كبيرة يختار منهم رؤساء المحاكم والدوائر القضائية الكبيرة .

(ب) السياسة الاقتصادية :

عمل ملوك الاسرة الرابعة على زيادة موارد مصر الاقتصادية باستغلال المناجم والمحاجر الموجودة بالبلاد وبصفة خاصة تلك الموجودة بالصحراء الشرقية وسيناء وكذلك الاتساع في التبادل التجارى مع جيرانها ،وسنناقش الامر الاخير عند حديثنا عن صلات مصر الخارجية بجيرانها .

أما فيما يتصل بموضوع الاستثمار الاقتصادى الداخلى فانه يسجل للملك "سنفرو" قيامه بجهود كبيرة لتأمين حدود مصر الشرقية وسيناء لتيسير وحماية البعثات المصرية الاقتصادية والقوافل بها (١) ، فقد كانت لسيناء اهمية كبيرة في اقتصاديات البلاد وصناعتها ، اذ ظلت المورد الرئيسى للفيروز والذهب والاحجار الكريمة ونصف الكريمة ، ولقد اسماها المصريون مدرجات الفيروز وكانت تحف بطريق التجارة البرية بين مصر وفلسطين ، غير انها لتطرفها واتساعها وصحرويتها ظلت مهبطا لقبائل

(1) Petrie, W.M.F., Researches in sinai, london, 1906.

بدوية يدفعها الفقر من حين الى حين الى تهديد بعثات وقوافل التجارة والاعتداء عليها ونهب مؤنها وبضائعها وعلى ذلك فقد عمل فراعنة مصر على حماية بعثاتهم وقوافلهم بقوات عسكرية تكفل لها الامان والهيبة ولم يخلو الامر من بعض المعارك الحربية بين قوات الحكومة وبين البدو ، وقد حرص قادة هذه القوات على ان يسجلوا انتصاراتهم على صخور سيناء ولا سيما صخور وادى مغارة وينسبوها الى ملوكهم ، ويصوره على الصخر وهو يؤدب كبير شيوخ البدو ويهوى على رأسه بمقمعه ، واحتفظت صخور وادى مغارة بصوره من هذا القبيل للملك سنفرو . وظلت ذكرى سنفرو ماثلة في شبه جزيرة سيناء اجيالا طويلة واعتبروه خلفاءه من حماتها وقد سوه فيها وضموه الى اربابها ورعايتها وظلت اماكن الحراسة على الحدود الشمالية الشرقية تعرف باسمه حتى عصر الدولة الوسطى على اقل تقدير .

ويواصل خوفو سياسة والده الاستثمارية فعمل على استغلال مناجم سيناء واحضر الفيروز من هناك ، وربما النحاس كذلك ، كما عمل على استغلال المناجم والمحاجر في جنوب البلاد ، فقد عثر على اسمه منقوشا بالقرب من توشكا على مقربه من طريق القوافل الذى يصل من أسوان الى درب الاربعين وقد اطلق رجاله على هذه المنطقة اسم "مصايد (؟) خوفو" واستغلوا فيها مناجم الجمشت وقطعوا منها الدوريت أقصى الاحجار المصرية صلابة ، ونقلوا عددا من كتلة الضخمة نحو ٧٥٠ ميلا شمالا الى العاصمة .

ج) التشييدات المعمارية :

تمثل اهرام سنفرو وملحقاتها مرحلة جديدة من مراحل العمارة المصرية القديمة .. وقد شيد في اول الامر الهرم الجنوبي في دهشور والمعروف باسم المنكسر الاضلاع ، فقد اراد سنفرو بناء هرما كاملا من اول الامر ، فبدأ البناء بزاوية ميل مقدارها ٥٤,١٤ درجة وبعد ان بلغ ارتفاع البناء ٤٩ مترا لوحظ انه لو استمر ابناء فان الهرم سوف يرتفع الى اكثر مما قدروه له أو اكثر مما تحتمل قاعدته ، فتغيرت زاوية الصيل الى ٤٣,٢١٠ درجة واستكمل بناء الهرم حتى بلغ ارتفاعه نحو ١٠١ متر ، وطول ضلع قاعدته ١٨٨,٦٠ متر ، وكان يوجد فيه ممر يخترق ينفتح ناحية الشرق كما شيد معبد على طرف الوادى يعرف باسم "معبد الوادى" وان كان لم يعثر عليه حتى الان . ويصل بين المعبدين طريق ممهد "الطريق الصاعد" وقد تطلب بناء كل ذلك ثمانية عشر عاما .

وقد شيد سنفرو هرما آخر شمال هرمه السابق بما يقل عن الكيلومترين واستفاد فيه معماريوه من تجاربهم في الهرم السابق . وقد بدأ البناء فيه بزاوية ميل مناسبة تبلغ ٤٣,٤٠ درجة وعندما استكمل بناءه اصبح اول هرم كامل صحيح النسب حاد الزاوية مستوى الجوانب ، وقد بلغ ارتفاعه نحو ٩٩ مترا وقد كسى هو والهرم الاكبر باحجار جيرية بيضاء ملساء ، اما طول ضلع قاعدته فهو ٢٢٠ مترا ويسمى هذا الهرم الان الهرم الاحمر لان الاحجار التى شيد منها تميل الى الحمرة واطلق على كل من الهرمين

سد حب سنفرو بمعنى "شع سنفرو" أو تجلى سنفرو"(1) ·

واضاف سنفرو الى مجموعة عمائره بد هشور معبدا آخر شيده الى الشمال الشرقي من هرمه الجنوبي في غير الاتجاه العادي لمعابد الشعائر ومعابد الوادي وعلى ذلك فقد اتجه بعض المؤرخين الى الاعتقاد بانه قد شيد بمناسبة الاحتفال بعيد سد الخاص بالملك بينما رأى آخرون بانه يمثل معبد الوادي · وقد زينت جدران المعبد بنقوش تمثل الملك "سنفرو" وهو يقوم ببعض الطقوس الدينية المعروفة ، واهمها مناظر من عيد سد ومناظر تمثل زيارته للهياكل في مدينتي "بوتو" و"نخن" ، كما نرى فيه كذلك منظر تمثل اقاليم مصر واهم بلادها في ذلك الوقت التي كان يمتلك فيها "سنفرو" ضيعه من ضياعه ، ورمزوا لكل منها بسيدة تحمل القرابين وكتبوا امامها اسم البلد أو الاقليم مرتبه طبوغرافيا من الجنوب الى الشمال مما ساعد على تحديد امكنتها الحالية ·

واستفاد مهندسو خوفو من التجبرات التي توصلت اليها العمارة المصريه في عهد والده "سنفرو" في بناء هرمه الذى اختار له هضبة الجيزة مكانا ويشغل هرم الملك خوفو مساحة تقرب من ١٣ فدان ، وبلغ ارتفاعه في الاصل ١٤٦ م (ارتفاعه حاليا ١٣٧ م) وطول ضلع قاعدته المربعة ٢٣٠ مترا واستخدم في بنائه مالا يقل عن ٢،٣٠٠،٠٠٠ كتلة من الحجر قطعوها من محاجر في المنطقة نفسها ويزيد وزن بعضها عن ثمانية اطنان ويقل

---

(1) Vercoutter

وزن البعض الاخر (الجزء الاعلى من الهرم) عن طن واحد . واما الكساء الخارجي للهرم فقد قطعت لوحاته السميكة الضخمة من محاجر طره والمعصرة على جانب النيل المقابل .

تضمن الهرم ثلاث حجرات كبيرة الدفن ، حجرة منحوتة فى باطن الصخر ، واخرى فى داخل بناء الهرم نفسه وتسمى خطأ باسم غرفة الملكة والثالثة فى نصف الهرم العلوى وقد دفن الفرعون فيها . وأدى تعدد حجرات الدفن فى الهرم الى القول بأنه قد بنى على ثلاث مراحل . فبنى الهرم فى مرحلته الاولى ليكون هرما متوسطا الحجم مائل الجوانب حاد الزوايا تقع حجرة الدفن اسفله . ثم أزداد حجمه بعد فترة ما قبل أن يتم بناءه وشاد حجرة دفن جديدة فى باطنه . ثم ازداد للمرة الاخيرة وشيدت حجرة الدفن الثالثة فى نصف العلوى من احجار جرانيتية ضخمة وتكون سقفها من تسعة الواح ضخمة تزن حوالى ٤٠٠ طن . وشيد فوق هذه الحجرة خمسة حجرات صغيرة يتعاقب كل منها فوق الاخر رغبة فى تخفيف الضغط عن سقف حجرة الدفن . وقد بنى سطح الغرفة الخامسة مثلثا على هيئة الجمالون لتوزيع ضغط الجزء العلوى من الهرم على جوانب الحجرات دون وسطها .

ويوجد الى الشرق من الهرم مباشرة للمعبد الجنزى الذى مازالت بعض بقاياه موجودة وعلى الاخص ارضيته المشيدة من حجرة الديوريت الاسود ويلاحظ ان بعض جدران هذا المعبد كانت مزينة بالنقوش . وشيد فى

الناحية الشرقية من المعبد جسرا ضخما نزل من حافة الهضبة الى الوادى واستخدم هذا الجسر ليكون الطريق الموصل الى المعبد الوادى الذى لم يكتشف مكانه حتى الان ، وان كان من المؤكد انه تحت منازل بلدة نزله السمان الحالية (١) .

وقد عثر الى الشرق من الهرم على ثلاث حفر للمراكب ، وقد نزعت منها مراكبها الخشبية فى عصور سابقة ، واقتصرت حاليا على مجرد حفر طويلة عميقة منحوتة فى الصخر على هيئة المراكب . وعثر على موضعين لمركبين فى الجانب الجنوبى للهرم ، وتم فتح احداهما ووجد به الواح كثيرة لمركب خشبية يبلغ طولها ٤٣,٢٠م ويبلغ اكبر عرض لها حوالى ستة أمتار . وقد اتجه البعض الى القول بتسمية هذه المراكب مراكب الشمس ، الا انه يصعب قول هذا الرأى لعدة اسباب اهمها ان اشكال الحفر التى نحتت لمراكب خوفو اشكال متباينة تختلف من واحدة الى اخرى . كما أن المراكب التقليدية التى صورتها المناظر المعربة لرحلة اله الشمس ، تمتاز عادة برموز خاصة لم يعثر على واحدة منها فى المركب التى كشف عنها .

اما جد فرع فقد ترك منطقة الجيزة وشيد هرمه ومعبده الى الشمال الغربى من هرم والده بحوالى ثمانية كيلو مترات فى منطقة ابى رواش . وقد شغل هذا الهرم مساحة تقل عن مساحة هرم والده ، ولم يبق من جزئه العلوى غير القليل ، وربما كان مكسوا كله باحجار كريمة من الجرانيت .

---

(١) محمد انور شكرى . العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٠٦ - ٣٢٠ .

وشيد جزئه المنحوت فى باطن الارض على هيئة خندق مكشوف وبدء عمود يا وهذا اسلوب الاسرة الثالثة . وشيد المعبد الجنزى الى الشرق من الهرم وقد بنيت بعض اجزائه من اللبن . أما الطريق الصاعد فقد بنى الــــى الشمال وليس الى الشرق ويرجح ان ذلك يرجحه الى طبيعة سطح الارض(١)

واختار خفرع ربوة عالية خلف هرم والده وشيد عليها هرمه ويخيل الى الناظر انه اعلى من هرم والده . وحقيقة الامر ان ارتفاعه ١٤٣,٥ مترا وطول ضلع قاعدته المربعة ٢١٥,٥م . ولهذا الهرم مدخلان يوجدان فى الناحية الشمالية احدهما يرتفع ١١م عن سطح الارض أما المدخل الثانى فقــد نحت فى الصخر فى سطح الارض ويبعد قليلا عن قاعدته الهرم . ويــؤدى المدخل العلوى الى دهليز كسى سقفه وجدرانه بالجرانيت الاحمر ثــم بهو افقى ينتهى بحجرة الدفن التى قطع جزؤها السفلى فى الصخر وفــى الجهة الغربية من الحجرة يوجد تابوت مثبت فى الارض وهو من الجرانيت . ولم يسبق من كسوته الخارجية سوى جزء بسيط فى اعلى الهرم

ويقع معبد خفرع الجنزى فى الناحية الشرقية من الهرم وشيدت جدرانه من الحجر الجيرى وكسيت غالبا بالجرانيت ووصفت ارضيته بالمرمر وتعددت حجراته وابهائه ومقاصيره وعلى مقربة منه كشف عن خمس حفرات ســـــفن قطعت فى الصخر كما توجد حفرة اخرى فى الصخر شمال شرقى المعبــد ويحتمل ان تكون مكانا لسفينة اخرى سادسة .

(1) Edwards, I.E.S., The pyramids of Egypt, 1965, p. 164.

ويقع معبد الوادى على حافة الصحراء بالقرب من قرية السمان ، وشيدت جدرانه من الحجر المحلى وكسيت بالجرانيت الاحمر ، واستخدمت كتلا من احجار المرمر فى ارضية المعبد . ويوجد بالمعبد ٢٨ عامودا مربعــا من الجرانيت الاحمر وشيد من الطرف الشمالى الغربى لمعبد الوادى الطريق الصاعد الموصل الى المعبد الجنزى ، وهو مقطوع فى الصخور لا تـــزال بعض اجـزاء من جدرانه باقية (١) .

وعند ما اراد خفرع ان يشيد هرمه اضطر بالانحراف بالطريــــق الموصل بين المعبدين ليتفادى محجرا كان موجودا فى هذه المنطقــة . وكان وجود هذه الصخرة يشوه المكان ولهذا اتخذ تمثالا جسده علـى صورة اسد ليعبر عن القوة ورأسه على صورة لرأس خفرع نفسه ، أى انه كان جامعا للقوة والعقل (٢) .

وشيد منكا ورع هرمه بجوار هرمى والده وجده . فقد بلغ ارتفاعه ٦٦,٥ مترا وطول قاعدته المربعة ١٠٨,٥ مترا . ويوجد مدخله فى الناحيــة الشمالية وقد مات قبل ان يستكمل كسوته الخارجية التى كانــت من الجرانيت الاحمر ، وبنى معبد الوادى على مقربة من جبانة نزله السمان

(1) Ibid,, pp. 151-152 .

(٢) سليم حسن : ابوالهول ، ترجمة جمال الدين سالم ، القاهــرة ، ١٩٦٨ ، ص ٥٦ــ ٥٧ .

الحالية وشيد من اللبن ماعدا بعض قواعد الاعمدة وبعض اجزاء من أرضية وعتبات ابوابه فقد بنيت من الحجر الجيرى . وشيد الطريق الصاعد من الحجر الجيرى المحلى ورصفت ارضيته باللبن وبنى المعبد الجنزى بكتل من الحجر الجيرى المحلى (١) .

ولم يحاول شبسكاف أن يبنى لنفسه هرما . وانما بنى مقبرة فى جنوب سقارة تعرف الان باسم مصطبة فرعون على هيئة تابوت ضخم مستطيل مائل الجوانب يبلغ طوله ١٠٠م وعرضه ٧٢م وارتفاعه ١٨ متر وكسيت جدرانه باحجار بيضاء واحيطت اعدته بازارق الجرانيت واحاطوه بسور خارجى . كما شيدوا له معبدين صغيرين وطريقا صاعدا بينه وبين معبد الوادى الذى لم يكتشف عنه بعد (٢) .

(1) Reisner, G.A., Mycrinus,,Cambridge, 1931.
(2) Edwards,I.E.S., op. cit., 166-167.

سياسة الاسرة الرابعة الخارجية :

(ا) فى الشمال والشمال الشرقى :

ازداد الاهتمام بسيناء فى عهد الملك سنفرو ، ومن ثم فقد قام بعدة حملات فيها لتأديب قبائل البدو المثيرة للشغب فيها . وجاء فى حجر بالرموانه قد ارسل اسطولا بحريا مكونا من اربعين سفينة لاحضار كتل من اخشاب الارز من لبنان (١) وازدادت اهمية الميناء الاسيوى جبيل فى عهد والده خوفو ، واصبح هذا الميناء اكبر ميناء للتبادل التجارى بين مصر وغربى آسيا ، كما اصبحت السفن التى تتعامل مع جبيل تسمى "الجبيلية احيانا" وتم تشييد معبد مصرى بجبيل فى عهد الملك خوفو (٢) اضاف اليه من جاء بعده كما يستدل على ذلك من اسماء الملوك التى عثر عليها مكتوبة على احجار هذا المعبد وبعض الادلة الاثرية التى عثر عليها فيه ومن هذه الاسماء أسماء ملوك سبقوا خوفو على عرش مصر بالاضافة الى اهتمام الملك خوفو وعمله على ازدهار التجارة مع لبنان ، فقد ارسل عدة حملات الى سيناء للحصول على الفيروز وربما النحاس كذلك .

(1) Breasted,J.H., ARE., I, para, 146.

(2) Montet,P., Byblos et l'Egypte, paris, 1928, p. 29 FF.

(٢) فى الجنوب :

تسجل حوليات سنفرو المدونة على حجر بالرمو ، وكذلك القطعة الكبيرة بمتحف القاهرة قيام الملك سنفرو بحملة ضد ارض النوبيين يؤكد فيها احضار سبعة آلاف اسير ومائتى ماشية ، وليس من الواضح الى أى مدى وصلت حملة سنفرو هذه فى اخضاع النوبة ، وقد استخدم الملك خوفو محاجر الديوريت التى تقع الى الشمال الغربى من توشكى ، كما ترك جدفرع نقشا له فى هذه المنطقة ، واحضر الملك خفرع احجار الديوريت التى صنع منها تماثيله المشهورة من محاجر تلك المنطقة (١) .

(٣) فى الغرب :

تشير حوليات سنفرو المسجلة على حجر بالرمو قيامه بحملة ضد التحنو الليبيين وانه قد حصل على غنائم كثيرة منها ، فقد أسر من التحنو ١١٠٠ أسير واستولى على ١٣,١٠٠ من الماشية والاغنام . ويستدل من هذه الارقام على قيام اضطربات على حدود مصر الغربية فى هذه الفترة استلزمت القيام بعمليات فكرية كبيرة ، وكان لنصر الملك سنفرو الحاسم عليها اثره الكبير فى استقرار الاحوال على حدود مصر الغربية فى عهد خلفائه فى عصر الاسرة الرابعة (٢) .

---

(1) Smith, W.S., in CAH., 1, part 2, Cambridge, 1971, p.183

(2) Drioton, E., et uandier, T., les peuples de l'orient Mediterraneen, 11,l' Egypte, paris, p. 170.

الاســـرة الخامســة

يعتبر عصر الاسرة الخامسة فاتحة عصر زاهر جديد ، اتسعت فيه آفاق دين الشمس وشملت أمور الدنيا والاخرة ، وازداد التقارب خلاله بين الملوك وكبار افراد الشعب وبلغ فن العمارة والنحت والتصوير والنقش مرتبة عالية واستأنفت مصر خلاله صلاتها التجارية الخارجية على نطاق واسع فامتدت الى فينيقيا فى شمالها الشرقى وحتى بلاد بونت فى جنوبها الشرقى .

نشأة الاسرة الخامسة :

انحصرت وراثة العرش فى اخريات عصر الاسرة الرابعة فى "خنت كاواس" التى تعتبر الصلة بين الاسرتين الرابعة والخامسة وقد تباينت آراء المؤرخين تباينا كبيرا حول بيان تلك الصلة ، فرأى البعض انها كانت زوجة لشبسكاف الذى مات دون أن ينجب منها وليا للعهد ، فتمكن الامير جدف بتاح من الاستيلاء على العرش ولكنه لم يستمر سوى عامين تمكن بعدهما أوسر كاف من اعتلاء العرش وتأسيس الاسرة الخامسة ورأى البعض الاخر أن خنت كاواس كانت زوجة لـ "وسررع" ولما لم يكن ملكا شرعيا من دم ملكى ، فقد صار ابنها "أوسو كاف" هو الملك الشرعى الذى عرفته قوائم الملوك على رأس الاسرة الخامسة (١) .

---

(١) عبد العزيز صالح المرجع السابق ، ص٣٥٩ .

والرأى الارجح فيما يتصل بموضوع نشأة الاسرة الخامسة وهو الرأى الذى ذهب اليه العديد من المؤرخين ، ان الاسرة الخامسة قد جمعت بين فرعى الاسرة الرابعة الكبيرين المتنافسين فرع خفرع الذى مثلته خنت كاواس ورع جدف رع الذى مثله اوسوكاف وهكذا يمكن القول أن اوسوكاف لم يرث عرش الفراعنة عن ابيه ، الذى يبدو انه كان من انصار الاله رع وكهانته ، وفى نفس الوقت من فرع ثانوى من عائلة خوفو ، وانه قد اشترك مع خنت كاواس من فرع رئيسى من عائلة خوفو — عن طريق الزواج بها فى تأسيس الاسرة الخامسة (١) .

غير أن انصار الاسرة الجديدة لم يقنعوا لفراعنتهم بحق الحكم عن طريق زواج أو سوكاف بسليلة البيت الحاكم فى الاسرة الرابعة وحدها وابتغوا أن يردوا شرعية حكمهم الى ارادة ربانية قديمة واصل مقدس ، فخرجوا على الناس باسطورة جعلتهم من صلب رع ، وبقيت من نسخها المكتوبة نسخه كتبها اديب من عصر الدولة الوسطى على بردية عرفت اصطلاحا باسم بردية وستكار وهى التى ذكرنا جزءا منها خلال حديثنا عن الاسرة الرابعة . وفى سياق قصة الملك خوفو مع الحكيم جدى ذكروا ان خوفو قد سأل الحكيم عن الخزائن المقدسة والذخائر المقدسة لرب الحكمة تحوتى وطلب اليه ان يدله عليها الا ان الحكيم قد اعتذر لخوفو بأنه لا يستطيع ولكن الذى يمكنه القيام بذلك هو اكبر اطفال ثلاثة فى بطن زوجة لكاهن حملت بهن من الاله رع نفسه ، وان الالهة قد

(1) Smith, W.S., op. cit., p. 178.

اخبرها بانهم سيتولون عرش البلاد وان اكبرهم سيكون الكاهن الاعظم فى مدينة "أون" ويضطرب خوفو ولكن الساحر يطمئنه بان ذلك لن يكون تقريبا . وانه لن يحدث فى عهده وان ابنه سيحكم من بعده ثم يحكم ابن ابنه ، ثم يتأتى بعد ذلك واحد منهم وتستمر القصة فتذكر حمل زوجة الكاهن وماتلا ذلك من ظهور عجائب ومعجزات وكيف حضرت آلهات الولادة مولد هن (١) .

والواضح ان الهدف الذى كان يرمى اليه واضع القصة هو اقناع الناس بأن استيلاء كهنة الشمس على عرش البلاد انما كان شيئا مقدرا منذ عهد بعيد وان هؤلاء الذين جلسوا على العرش ولم يكن يجرى فيهم الدم الالهى الملكى انما كانوا خيرا ممن سبقهم من الملوك لانهم كانوا ابناء الاله رع من صلبه .

ملوك الاسرة الخامسة :

تكاد قوائم الملوك والاثار المعاصرة تتفق على اسماء ملوك هذه الاسرة وهم على التوالى :

١- اوسر كاف ٢- ساحورع ٣- نفرايركارع ٤- شبسكاف
٥- نفر اف رع ٦- نى وسررع ٧- من كاو حور ٨- جد كارع
٩- ونيس .

(1) Blackman, A.M., in J.E.A., 22, 1936, p. 42 FF.

ا - وسركـــاف :

استمر حكمه سبع سنوات حسب ماجاء في بردية تورين وذكر مانيتـون انه حكم ثمان سنوات وتلقب وسر كاف بلقب معبر يناسب وضعه كمؤسس لاسرة جديدة وهو "اير ماعت" الذى يفيد معنى واضع النظام أو محق الحق

ولقد عثر على اسمه منقوشا على عمود مربع من الجرانيت في طيبة ، كما عثر على آنية من المرمر تحمل اسمه في جزيرة "سريجو" على مقربـــة من الشاطىء الجنوبى لليونان مما قد يشير الى وجود علاقات تجارية مع هذه المنطقة (١) .

وسجل حجر بالرمو لهذا الملك قيامه بتشييد المعابد في مختلـف انحاء مصر فبنى معبدا في بوتو في الدلتا لاجل عبادة الالهة حاتحـور ، كما اوقف الكثير من الارض لمعبد الاله رع . أما هرمه فقد شيده في سقارة بالقرب من هرم الملك نثررخت المدرج ويلاحظ ان مجموعته الهرمية ونقوش معبده لاتختلف عن اهرام ونقوش الاسرة الرابعة ، ويعرف هرمه في سقارة باسم الهرم المخربش(٢) . وقد اضطرتهم طبيعة الارض في هذه المنطقة

(1) Smith, W.S., op. cit., p. 181

(2) Firth, C.M., in ASAE, xx1x, (1929), pp. 64-70.

وعدم وجود المكان الكافي لاقامة معبد جنائزي في الناحية الشرقية الـــى الاكتفاء ببناء هيكل صغير في هذه الجهة وبنوا المعبد الكامل في الجهة الجنوبية من الهرم (١) ويرجح انه بنى معبدا للشمس في ابي صير .

٢ ــ ساحورع :

ذكرت بردية تورين ان ساحورع حكم لمدة ١٢ سنة ، وذكر مانيتــون انه حكم لمدة ١٣ سنة بينما يلاحظ بأنــه قد جاء ذكر السنة التاليـــة للتعداد السابع للماشية على حجر بالرمو مما يشير الى انه حكم مالا يقل عن ١٤ سنة واختار منطقة أبوصير لبناء هرمه على مسافة غير كبيرة من معبد اوسركاف .

ولم يعتني ساحورع بتشييد هرمه فهو اقل ارتفاعا من هرمي خوفـــو وخفرع الا انه استعاض عن ذلك بتشييد معبد فخم استخدم في بنائه أثمن المواد المعمارية وزين قاعاته وابهائه المحمولة على اساطين من الجرانيت ذات تيجان ، وغطيت ارضيته بحجر البازلت . وزود المعبد بميازيب على هيئة رؤوس اسود لتصريف مياه الامطار كما زود المعبد بمواسير مصنوعــة من النحاس وضعت اسفل ارضية المعبد لتصريف المياة المستخدمة فـــي المعبد .

---

(1) Lauer. T.P . in ASAE , I ... (1953), p. 119 FF

ويستدل من بقايا النقوش التي كانت تغطي جدران معبدى ساحورع والطريق الموصل بينهما على الكثير من نشاط هذا الملك العسكرى والتجارى وكذلك العديد من المناظر منها مناظر لحملة القرابين ومناظر للطبيعة والصيد في الصحارى وعمل شرك لافراس النهر في الماء (١) .

٣ـ نفرإير كارع :

تولى نفرإير كارع كاكاى واسمه الحورى وسرخاعو العرش بعد اخيه ساحورع ويلاحظ ان مدة حكمه قد فقدت من بردية تورين ، ولكن سجل له على حجر بالرمو التعداد الخاص للماشية مما يدل على انه حكم على الاقل عشر سنوات ..

ولم يكن نفرإير كارع اقل طموحا من اخيه ، وقد فكر في تشييد هرم اكبر من هرم ساحورع ، ولكنه مات قبل ان يتم جميع اجزاء مجموعته الهرمية فقام خليفته باكمالها ولكن بالطوب اللبن .

ولم يكن نفرإير كارع يشبه من سبقه على العرش في نشاطه الحربى بل كان شخصا طيب القلب محبا لتقديم الهبات للمعابد . وقد عمل على ارضاء كهنة اوزير فأقام معبدا له في ابيدوس واصدر مرسوم الى كبير الكهان

---

(1) Edwards, I.E.S . op. cit.. p. 179 FF.

وكذلك .

حمد فخرى مصر الفرعونية ، القاهرة ، ٩٧ ، ص٢٣٢ .

"حم ور" وجاء فيه مايلي :

مرسوم ملكي الى كبير الكهان حم ور : انني لااسمح لاى رجل الحق في نقل أي ادوات خاصة بالعمل الى حقل (أى مقاطعة) أى اله آخر بـه كهنه آخرين انهم معفون (يقصد كهنة معبد اوزير بابيد وس) الى الابـد بمرسوم ملك مصر العليا والسفلى نفرايركارع ... وان اى موظف رسمى أو ملكى يقف حجر عثرة فى سبيل تنفيذ هذه الاشياء التى اصدرت بها مرسوما سيفصل وسيقدم الى المحاكمة ويصادر بيته ومزارعه وماعليها من رجال وكـل شئ يملكه ... " وسجل حجر بالرمو العديد من المنح التى منحهـا للعديد من الالـهة ومن بينهم الـهة التاسوع والالـهة حاتحور .

ومما يدل على مبلغ سلطان كبار الموظفين ان الملوك بدأوا يعاملونهم معاملة طيبة لا كما يتصور البعض نظرا لطيبة قلب نفرايركارع بل خشيـة سلطانهم كما فعلوا مع رجال الدين ، ومما يشير الى ذلك قصة الملـك مع واش بتاح الذى كان يشغل وظيفة كبير القضاة والمشرف على جميـع الاعمال الانشائية للملك والذى سقط مغشيا عليه اثناء تفقد بعـض الانشاءات الملكية مع الملك ، ثم مات بعد ذلك وحزن الملك عليه وأمر لـه بتابوت من خشب الابنوس المطعم واجزل لابنه العطاء . والقصة الثانيـة حدثت مع احد كبار رجال الدولة ويدعى "رع ور" الذى اصابته عصا الملك فى ساقه دون قصد منه ، فما كان من الملك ، الا ان اعتذر له وامر بـأن يسجل ذلك .

٤ـ شبس كارع

تولى الحكم بعد نفرير كارع وحكم مدة قصيرة بلغت سبع سنوات حسبما جاء في بردية تورين وفي تاريخ مانيتو . ومعلوماتنا التاريخية عن اعماله وتشييداته قليلة لا يمكننا من تتبعها .

٥ـ نفر اف رع :

تولى الحكم بعد شبس كارع ، ولم يطل حكمه اكثر من اربع سنوات واتخذ الاسم الحورى "نفر خعو" وورد اسمه فى قائمة ابيدوس ، وكذلك فى بردية تورين الا ان الجزء الخاص بمدة حكمه فقد منها . ولقد بدء في انشاء هرم له في أبى صير ولكنه لم يتمه .

٦ـ نى أوسر رع :

ورد اسمه فى قائمة ابيدوس وبردية تورين التى ذكرت [illegible] حكم [illegible] عاما بينما يتجه بعض المؤرخين الى الاعتقاد بأنه حكم حوالى ٣٠ سنة وذلك اعتمادا على تسجيله [illegible] حتفالة بعيد الثلاثين على جدران معبد الشمس ، ولقد شيد لنفسه هرما بين هرمى [illegible] حورع ونفر اير كارع[1] .

---

(1) محمد [illegible] شكرى [illegible]

٧- منكاو حور :

اسمه الحورى "منخاعو" ، ورد اسمه في بردية تورين التى سجلت له حكم ثمانية اعوام - وشيد لنفسه هرما لم يعثر عليه حتى الان وان كان يرجح وجوده في سقارة الى الجنوب من مكاتب مصلحة الاثار .

٨- جد كارع - اسيسى :

ورد اسمه فى بردية تورين التى اعطته مدة حكم وصلت الى ٢٨ سنة وعثر على اسمه مسجلا فى محاجر الديوريت بالصحراء الغربية والنوبة السفلى على صخور ترماس في منتصف المسافة بين اسوان ووادى حلفا .شيد هرمه في سقارة القبلية وظهرت في معبده عناصر معمارية جديدة مثل تزيين بعض مداخله بأعمدة في شكل علامة "جد" كما ظهر في حفائر المعبد ايضا تماثيل لاسود وثيران وتماثيل لبعض الاسرى من الاجانب . وارتبط اسم جد كارع - اسيسى بعدد من الاسماء الشهيرة من كبار الموظفين ومن اشهرهم بتاح حتب صاحب الحكم والارشادات الشهيرة .

٩ ـ ونيس :

آخر ملوك الاسرة الخامسة ، اعطته بردية تورين مدة حكم بلغت ثلاثين عاما . يتجه بعض المؤرخين الى اعتباره اول ملوك الاسرة السادسة نظرا لارتباط حكمه ببعض التغييرات الجوهرية ومنها ظهور متون الاهرام في داخل الاهرامات لاول مرة في عهده وكذلك وفاء الملك تتي أول ملوك الاسرة السادسة له واتمام مالم يتمه من آثاره . ولكن ذلك لا يكفي لتغيير التقسيم القديم الذي اورده مانيتون .

وترجع شهرة ونيس الى ذلك التجديد الذي احدثه في كتابة ماعرف باسم "نصوص الاهرام" على جدران هرمه الداخلي ، وهذه النصوص كانت محفورة في الصخر ومملوءة بعجينة زرقاء . ولم تكتب هذه النصوص على جدران الحجرات الداخلية للاهرام قبل عصره ولقد امدتنا بالكثير من المعلومات الهامة عن عقائد المصريين القدماء (١) . .

وشيد ونيس هرمه في سقارة الى الجنوب الغربي من مجموعة الملك نثررخت ويتميز الطريق الذي يصل بين معبديه بالنقوش التي حفظها لنا الزمن التي تجمع بين موضوعات مختلفة ففيها مناظر لونيس وهو يؤدي بعض

---

(1) Mercer, S.A.B., The pyramid Texts in Translation and Commentary. 4 vols, N.g., Toronto, 1952 .

بعض الطقوس الدينية ، وتمثله مناظر اخرى يقضي على اعدائه . ومن بين تلك المناظر مايمثل الزراعة والحصاد ، ومن بينها مناظر الصيد في الصحراء وفي الماء . كما نرى ايضا مناظر تمثل بعض اعمدة المعبد واعتابة المصنوعة من الجرانيت وهي تنقل فوق سفن صفحة النيل .

ومثلت تلك المناظر كذلك بعض الاجانب الذين جاءوا الى مصر وبعض الذين اضرت بهم المجاعة ، كذلك صور بعض العمال وهم يقومون بصناعة بعض المعادن كما شوهد علي كتلة من الحجر صوره زرافه ، وهي نادرة في المناظر التي كشف عنها في الاثار المصرية (١) .

(1) Edwards, I.E.S., op. cit., p. 189.

سياسة الاسرة الخامسة الداخلية :

أ ـ التنظيمات السياسية والادارية :

سارت الاوضاع الاجتماعية والسياسية بخطى واسعة فى سبيل التطور خلال عصر الاسرة الخامسة ، فزاد الملوك من التزاماتهم المادية والادبية لكبار كهنة الشمس ومعابدهم حتى يضمنوا ولاءهم لحكمهم كما سمحوا لكبار افراد الطبقة العليا ان يصلوا الى منصب الوزارة اكبر مناصب الدولة بعد ان كان قاصرا منذ انشائه فى عهد سنفرو مؤسس الاسرة الرابعة على كبار الامراء وحدهم . كما تصاهروا معهم وزوجوا كثيرا منهم من اميرات من البيت الملكى . وفتحت القصور الملكية امام ابنائهم ليتعلموا فيها مع اولاد الملوك وسمح لعدد منهم بأن يرثوا مناصب آبائهم .

اتسعت التنظيمات الادارية خلال عصر الاسرة الخامسة ، وكان الوزير على رأس الجهاز الادارى بعد الفرعون ، وكان هو المسئول عن شئون الدولة امامه واصبح الوزير فى نظر الشعب الامين على العدالة ووصلت النصوص بينه وبين الالهين "تحوتى رب الحكمة وماعت ربة العدالة" وعندما اكتملت للوزير اختصاصاته اصبحت تعرض عليه امور الدولة جميعها ، ويتولى هو عرضها على الفرعون واصبح يعتبر محافظا للعاصمة ورئيسا للبلاط والديوان الملكى ، ويتولى الاشراف الاعلى على الخزائن وشئون الغلال وعلى المنشآت العامة والاشغال المعمارية الكبيرة ، ويتولى

الاشراف على دور القضاء ودور المحفوظات ودور السلاح .

واكتملت للقضاء تنظيماته فضلا عن لقب القاضى "ساب" وجد لقب الكاتب القضائى "ساب سش" أو "سش ساب" وكاتب الشكاوى . وذلك مما يعنى الحرص على تسجيل القضايا من ناحية ، وتقديم الشكايات مكتوبة من ناحية اخرى .

واستمر حكام الاقاليم حتى عصر الاسرة الخامسة مجرد ممثلين للحكومة المركزية وزاد على لقبهم القديم "عج مر" لقب "ساب" بمعنى القاضى ولقب "سشم تا" بمعنى "موجه الارض" أو مديرها . ولقب "حقا حت" أى ناظر القصر .

وترتب على الظروف السابقة جميعها ان توفر لاهل الطبقة العليا وكبار اهل الطبقة الوسطى من الامكانيات المادية والقيم الاعتبارية اكثر مما توفر لاسلافهم قبل عصرهم فلم يعودوا يتقيدون كثيرا بتشييد مقابرهم حول اهرام ملوكهم كما كان شأن امثالهم فى الاسرة الرابعة . فلم يأب بعض حكام الاقاليم ان يعملوا على نحت مقابرهم فى الصخر فى مناطق حكمهم بعيدا عن جبانة العاصمة . واستطاع بعضهم ان يشييد مقابر فخمة ذات حجرات متعددة وابهاء ذات عمد وضعوا فيها العديد من التماثيل لهم ولاتباعهم .

٢ ـ الاستثمار الاقتصادي :

حاول ملوك الاسرة الخامسة ان يوجهوا اغلب جهدهم نحو تنشيط الاقتصاديات المصرية وفي هذا المجال تجدر الاشارة الى أن نقوش وادي الحمامات التاريخية ، قد بدأت بعصر الاسرة الخامسة. وهي نقوش اعتاد رؤساء البعثات الحكومية ان يسجلوها باسماء فراعنتهم واسمائهم على سفوح الجبال كلما افقدتهم حكومتهم لاستغلال المحاجر الوادي ومناجمه وكلما اوفدتهم لركوب البحر الاحمر.

واستمرت الجهود الاقتصادية المصرية المعتادة ، والجهود العسكرية المعتادة لاستغلال مناطق الحدود في الجنوب والغرب والشرق وشبه جزيرة سيناء وتأمينها من شغب البدو ووصلت التجارة المصرية حتى منطقة بوهن في النوبة على اقل تقدير.

٣ـ التشييدات المعمارية :

اهتم اغلب ملوك الاسرة الخامسة بمعبد اله الشمس في مدينة أون (عين شمس الحالية) واقاموا لاله الشمس ستة معابد اطلقوا عليها اسماء تربطها به مثل نخن رع أى حصن رع أو ساحة رع وست ايب رع أى موضوع قلب رع ، وشبسو اب رع أى ملاذ قلب رع وأخت رع أى افق رع.

وبدأ وسر كاف مؤسس الاسرة بناء هذه المعابد . وقام ببناء معبده من اللبن في منطقة ابو غراب جنوبي الجيزة وليس في مدينة اون نفسها . وقلده خلفاؤه في ذلك ، فلم يكتفوا ببناء معابدهم قرب معبد سلفهم في ابى غراب وانما زادوا على ذلك فبنوا اهرامهم ومعابدهم بجواره في منطقة ابوصير التى لاتبعد عن ابى غراب باكثر من ميل واحد . واكثر المعابد بقاء حتى الان هو معبد نى وسررع سادس ملوك الاسرة وهو معبد ضخم شيد هو وملحقاته من الحجر ، وتكونت عمارته وملحقاته من ثلاثة عناصر متمايزه مبنى ضخم مشيد على حافة الهضبة ويطل على الوادى ، ويعتبر مدخلا الى منطقة المعبد وهو يشبه معبد الوادى بالنسبة الى مناطق الاهرام ، ويخرج منه طريق صاعد يؤدى الى معبد الشمس ذاته ، وهو بناء ضخم ولكنه بسيط التكوين يتألف من فناء واسع مكشوف ارضيته مرصوفة وتقوم في مؤخرة هذا الفناء مسلة حجرية ضخمة بلغ ارتفاعها الاصلى عند نى وسر رع نحو ستّة وثلاثين مترا ، وقد اتخذت قمتها هيئة الشكل الهرمى الصغير ، وكانت فيما يرجح مكسوه بصفائح من النحاس أو مموهه بالذهب ليتألق

نورها ويتوهج حين ينعكس عليها اشعة الشمس . ويوجد الى الشرق من قاعدة المسلة مائدة مصنوعة من المرمر تقدم عليها القرابين الطازجة ، وربما احرق بعضها ليتصاعد عبيرها الى اله الشمس فى سمائه ويوجد فى المعبد موضعين لذبح الاضحية ، وقد زود هذين الموضعين بمجار تجرى فيها الدماء وتنتهى باحواض حجرية مستديرة واسعة ، حتى يظل فناء المعبد نظيفا ، وجاورت المعبد من الخارج بالقرب من جداره الجنوبى مركب مشيده من اللبن وكانت تتضمن مركبا خشبيا حقيقية بلغ طولها عند نى وسررع نحو ثلاثين مترا كانت ترمز الى مركب رب الشمس رع التى يعبر سماءه فيها ، ويحتمل انه كانت تقابلها سفينة اخرى ، بحيث ترمز احداهما الى مركب النهار "معنجه" وترمز الاخرى الى مركب الليل "مسكته" (١) .

ويلاحظ أن معابد الشمس لم تتضمن تماثيل لاله الشمس أو محاريب مقفلة يعبد فيها واستمرت هذه المظاهر تميز معابد الشمس عن معابد بقية أرباب المصريين فى اغلب عصورها التاريخية القديمة .

(١) محمد انور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٧٠-١٧٥ .

سياسة الاسرة الخامسة الخارجية :

أولا : في الشمال والشمال الشرقي :

توضح الادلة الاثرية التي عثر عليها قيام صلات تجارية لمصر مع جـزر اليونان . فلقد عثر على اسم الملك (وسر كاف) منقوشا على آنية من المرمر في جزيرة "سريجو" على مقربة من الشاطئ الجنوبي لليونان .

ونقش على جدران معبد الملك "ساحورع" الجنزى منظر للسـفن المصرية العائدة من سوريا بالتجارة ويوجد على ظهورها بعض الاسيويين الذين يرفعون اسلحتهم ولاء للفرعون ، الذى قام باستقبالها وقد حف به كبار موظفيه واتجه بعض المؤرخين الى الاعتقاد بأن مناظر الاسطول وعودته لاتدل على انها حملة حربية ، وانه يستدل من استقبال الملـك انها حملة ودية ، وربما عادت بأميره من هناك لتصبح احدى زوجـات الفرعون (١) .

ومثل على جدران احد الاشراف في هذا العصر بدشاشة (٢) (جنوبي اهناسيا المدينة)منظر يمثل الاستيلاء على قلعة اسيوية كما توضح المناظر

---

(1) Urk, 1, 169.

(2) Petrie, W.M.F., Deshasheh, London, 1898, pl. 1v.

المسجلة على جدران معبد "نى وسررع" قيام هذا الفرعون بعدة حملات فى سورية وتمكن "ونيس" من الحفاظ على جبيل بواسطة اسطوله وربما كانت جبيل فى ذلك الوقت من مستعمرات التاج المصرى ٠

ثانيا : فى الجنوب :

سجل بعض ملوك الاسرة الخامسة اسماؤهم عند توماس فى المنطقة الواقعة بين اسوان ووادى حلفا ، ومنهم ساحورع وجد كارع (اسيسى) ويبدوا ان ذلك يتصل باستثمار محاجر الديوريت هناك٠ ويستدل من ذلك على سيطرة المصريين على المنطقة التى تقع جنوب اسوان مما مكن البعثات المصرية بالقيام بعملها فى المحاجر وهى امنه ، حيث لا توجد مياه ، ويفصلها عن النيل قرابة خمسين ميلا (١) ٠

واصبحت العلاقات مع النوبة اكثر سلاما ، وازاد التبادل المصرى بينهما واخذ اهتمام مصر بالنوبة السفلى يزداد وبدأ المصريون ينظرون اليها كجزء متمم لحدودهم ومن ثم فقد اخذوا يعملون على تأمين المواصلات اليها ، وعلى الحد من شغب قبائلها ومنع اعتدائها على مراكز الحدود ، وقوافل التجارة واستثمار المحاجر ، وفتح اسواق التجارة مع

(1) Smith, W.S., CAH, 1, part, 2, p. 183 .

مناطقها المسكونة ولاتخاذها وسيطا تجاريا بين مصر ومناطق السودان الغنية بمنتجاتها الطبيعية ونباتاتها وحيواناتها . الا أن فكرة ضم النوبة لمصر لم تكن واردة في اذهان المصريين حينذاك . واكتفوا باليفنتين كحد جنوبي لهم مدركين ان المنطقة وراء الجندل الاول ليس مرغوبا فيها كممتلكات وان حاجاتهم يمكن ان تسد عن طريق رحلات خاصة (١) .

ثالثا : في الغرب :

توضح الادلة الاثرية التي ترجع الى هذا العصر تجدد الاضطرابات الليبية على حدود مصر الغربية مما دعا الملك ساحورع الى القيام بحملة ضدهم احضر فيها اعدادا ضخمة من الغنائم من الاغنام والماعز والماشية ، والكثير من الاسرى وعلى رأسهم اميرهم وزوجته وولديه الذين سجلت اسماؤهم فوق مناظرهم ، وسجلت اخبار هذه المعركة على جدران معبد ساحورع الجنزي في ابي صير .

---

(١) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص٢٤١ .

الاسـرة السـادسة

يعتبر ملوك الاسرة السادسة نهاية المطاف بالنسبة لعصر الدولة القديمة ، اذ انتقلت مصر بعدها الى عهد جديد من عهود تاريخها مختلف بشكل كبير عما شاهدناه فى عصر الدولة القديمة ، وهو مايعرف بعصر الانتقال الاول أو عصر الثورة الاجتماعية الاولى ٠

أولا : نشأة الاسرة السادسة :

يتجه بعض المؤرخين الى الاعتقاد بأن مؤسس هذه الاسرة وهو الملك (تتى) قد اكتسب شرعيته للعرش عن طريق زواجه من الاميرة "ايبوت" ابنة الملك ونيس آخر ملوك الأسرة الخامسة وانه تزوج بعدها من اميرة اخرى تدعى "خويت" رأى البعض فيها أنه كانت ابنة الملك اسيسى الذى حكم قبل ونيس واذا صح ذلك فانه يفسر برغبة تتى فى جمع شمل فرعى الاسرة السابقة تحت ظله وقد عثر على مقبرة ايبوت فى سقارة وهى مشيدة على هيئة هرم ٠

واتخذ تتى عند اعتلائه العرش اللقب الحورى "سحتب تاوى" أى مرضى الوجهين ، واتخذ كذلك لقب "المحبوب من بتاح" اله منف٠ وربما كان السبب فى ذلك انه اعتمد على كهنة بتاح فى منف فى توليه العرش ، أو ربما لانه كان من اهل الدلتا ، وحاول بعض المؤرخين اعتمادا على بعض

النصوص التى سجلها فى هرمه والتى اعتبرته ولدا للمعبودة ايزه ربة اتريب فى الدلتا القول بانه كان ينتمى الى اقليم فى شمال اتريب ،يرجع سكانه الى بدو الصحراء الشرقية (١) .

ثانيا : ترتيب ملوك الاسرة السادسة :

حكم مصر فى عهد هذه الاسرة ملوك لمدة ١٤٠ سنة حسب الترتيب الاتى :

١- تتى (سحتب تاوى) لمدة ١٢ سنة .
٢- وسر كارع لمدة ٤ سنوات
٣- ببى الاول (مررع) لمدة ٢٥ سنة .
٤- مرى أن رع الاول عنتى أم ساف لمدة ١٠ سنوات
٥- ببى الثانى (نفر كارع) المدة ٩٤ سنة .
٦- مرى أن رع الثانى (عنتى أم ساف الثانى) سنة واحدة
٧- الملكة نيت اقرت (أونيتوكويس) لمدة سنتان .

١- تتى (سحتب تاوى) :

اول ملوك الاسرة السادسة ، شيد هرمه بالقرب من الشمال الشرقى لهرم وسركاف على مقربة من حافة الهضبة فى سقارة ولم يبق من الهرم الا القليل وكذلك الطريق الصاعد لم تتبق منه الا اجزاء بسيطة عند نهايته

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

الغربية ، أما معبد الوادى فلم يعثر عليه حتى الان وقد عثر على بقايا مومياء داخل هرمه ، واقام بالقرب من هرمه هرمين احدهما لزوجته الرئيسية ايبوت والاخر لزوجته الثانية خويت وكان للملك زوجة ثالثة هى تمشست ظهرت لها صوره على قطعة صغيرة من الحجر فى اجزاء من معبده الجنزى ويبدو أن هذه الزوجة كانت من نسل عريق لان عددا من زوجات موظفى البلاد تسمين باسمها .

ووجد اسم تتى على بعض اجزاء من اناء عثر عليه فى جبيل ، كما عثر على اناء له فى نجع الدير صورت عليه صفات اهل بونت ، وسجل اسمه كذلك على صخور توماس فى الجنوب ، وسجل على محاجر حتنوب التعداد السادس للماشية فى عهده (١) .

ويذكر مانيتون أن تتى قد مات مقتولا بين حراسه ، وربما كان ذلك صحيحا ولان مؤسسى الحكم الجديد يكونون معرضين دائما للانتقام ممن ابتعدهم عن السلطات . وربما كان ذلك نتيجة وقوعه صريعا بين قوتى الكهنة المتنافسين وهو صراع بدأ فى اواخر الاسرة الخامسة بدليل أن ونيس لم يحمل فى اسمه كلمة رع . ويلاحظ هنا ان قائمتى ابيدوس وتورين ذكرتا الفرعون الذى قد جاء بعده وهو وسر كارع ، بينما غفلت ذكره

---

(1) Vandier, T., Manuel d' Archeologie Egyptienne, 11, p. 128.

قائمة سقارة ، كما انه لم يبق في الحكم ، الا فترة قصيرة ولم يخلف وراءه آثار ذات بال ، مما دفع الى الظن بانه كان من البيت المالك القديم واستعاد عرش اسرته (١) .

ومن كبار رجال الدولة الذين عاشوا في عهد الملك تتي الوزيران مري روكا وكاجمني .

٢- وسر كارع :

اتجه بعض المؤرخين الى اعتباره مغتصبا للعرش ، بينما اتجه البعض الاخر الى اعتباره ابنا للملك تتي من زوجته خويت ، وانه لم يستطع ان يلي الحكم لغير فترة قصيرة قد لا تزيد عن اربع سنوات ودب النزاع على العرش بينه وبين اخيه غير الشقيق ببي ، وربما استعان في هذا النزاع بديانة الشمس وكهنتها وضم اسم رع في اسمه على خلاف ماذهب اليه ابوه وعلى خلاف ماذهب اليه اخوه ببي ، ولكن كفة ببي ظلت ارجح ، لانه كان ابن لا يبوت بنت الفرعون ونيس التي نقلت شرعية الحكم الى ابيه عن ابيها . ولم يتبق من عهد وسركارع آثار تذكر له غير خاتمين اسطوانيين وعدة نقوش في وادي الحمامات .

---

(١) احمد فخري المرجع السابق ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

٣- ببى الاول (مرى رع) :

تمكن ببى الاول من اعتلاء العرش بعد وسر كارع . واتخذ ببى الاول العديد من الالقاب التى ارتبط فيها بعض الارباب ، فاتخذ لقبا ادعى فيه بنوته للمعبود "حور" هو "نفر ساحور" واتخذ لقبا آخر انتسب فيه الى الالهة حاتحور ربه دندره ، وقد ارسل الى جبيل أوان عليها اسمها مع اسمه ، كما اتخذ لقبا انتسب فيه الى رع وهو مرى رع ، وانتسب كذلك الى الاله اتوم رب انو القديم (١) .

وقد شيد هرمه فى سقارة وهو اقل حجما من اهرامات ونيس وتتى وعندما دخل الاثاريون حجرة المدفن عثروا على تابوت من البازلت الاسود كان يحتوى على بقايا بعض العظام وقد عثر فى مدينة نحن على تمثال رائع لهذا الفرعون مع ابنه بالحجم الطبيعى من النحاس وهو موجود الآن بالمتحف المصرى بالقاهرة .

ولدينا بعض التفاصيل عن حياة هذا الملك بفضل تاريخ حياة كبار موظفيه التى تركوها ووصلت الينا سليمة ، فنعلم منها انه قد تزوج على التوالى من ابنتين الواحدة تلو الاخرى لاحد كبار الموظفين فى ابيدوس وانجب من كل منهما اولادا ذكورا الذين حكموا على التوالى من بعده .

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص٣٨٢ .

ولقد تمتعت مصر في عهده بعصر زاهر نعمت فيه بشيء من الرخاء والاستقرار وارتقت الفنون وحدثت ابان هذا الحكم فضيحة في البلاد الملكي ، فقد تعرضت الملكة ايمتس للمحاكمة بتهمة عمل اقترفته لا يزال امره مجهولا حتى الان . وقد تكفل بالتحقيق في هذا الامر وني ، المشرف على القصر ،وكان وني فخورا بذلك واشار الى هذا الموضوع في النقوش التي تتحدث عن سيرة حياته .

٤ـ مرى ان رع الاول (عنتى ام ساف) :

كان اول خليفة لببى الاول هو ولده مرى ان رع الذى كان يسمى ايضا عنتى ام ساف ، واتخذ الاسم الحورى عنخ خعو ، وكانت امه "مرىرع عنخ ان اس" ابنة خوى امير ابيدوس الكبرى . ويبدوا انه قد توفى صغيرا حيث لم يطل حكمه اكثر من عشر سنوات ، وان كان هناك من يرى ان هذا الحكم لم يطل اكثر من خمس أو ست سنوات . ويبدوا محتملا انه قد اشترك مع والده ببى الاول في الحكم ، وذلك اعتمادا على قلادة ذهبية ضمت اسم الملكة والقابها معا ، وكذلك وجود تمثالين مصنوعين من النحاس لببى الاول وآخر صغير بجواره رجح ان يكون لابنه مرى ان رع.

وعثر على نصين من عهده احدهما في محاجر حتنوب ويؤرخ بالاحصاء الخامس للماشية أى بالسنة العاشرة من حكمه ، والاخر عند الجندل الاول ويؤرخ بالاحصاء الخامس ايضا (١) ويلاحظ ان اسمه لم يرد في نقوش سيناء

(1) Breasted, J.H., ARE., I, parag. 145 .

وكذلك في الاثار التى عثر عليها فى جبيل وقد شيد مرى ان رع هرمه الى الجنوب الغربى من المجموعة الهرمية للملك اسيسى ، وقد عثر بداخل الهرم على تابوت اتقن صنعه من الجرانيت الاسود ووجد بداخله مومياء محفوظة جيدا لشاب متوسط القامة يضع خصلة الشعر الجانبية المميزة للشباب عند قدماء المصريين ، وقد اثبتت اليوت سميث أن هذه المومياء قد جهزت على طريقة الاسرة الثامنه عشر ولا يمكن أن يكون قبل ذلك ، وان هذا التابوت قد اعيد استخدامه فى عهد لا يمكن ان يكون قبل الاسرة الثامنة عشرة ٠

٥- ببى الثانى (نفر كارع) :

نتيجة لوفاة مرى أن رع المبكرة فان اخاه من ام ثانية وهى الزوجة الثانية لببى الاول ابنة امير ابيدوس- قد تولى العرش بعده وهو يبلغ من العمر ست سنوات فقط واخوه هذا هو ببى الثانى الذى اتخذ اسما آخر هو "نفر كارع" اما اسمه الحورى فكان نثر جعو. ، وحكم ببى الثانى مدة ٩٤ سنة ، وتعتبر فترة حكمه من اطول فترات الحكم فى مصر القديمة ٠ وبدأ ببى الثانى حكمه تحت وصاية امه حيث جاء ذكرها معه فى احد البعثات التى ارسلت الى سيناء فى السنة الرابعة من حكمه ٠ واسند منصب الوزارة الى خاله "زعو" وعلى الرغم من طول عهده فلم تصل الينا وثائق من حكمه ٠

وكان لديه الوقت الكافى لبناء هرم فى جنوب سقارة كانت مساحته اكبر من اهرام غيره من اسلافه القريبين ، وقد كشف عن مجموعته الهرمية ووجدت فى حالة لا بأس بها ، وشيد الملك الى الشمال من هرمه هرمين والى الجهة الجنوبية هرم واحد ، لثلاث من زوجاته وهن "نيت وايبوت الثانية وواجبتن"

وكان لطول مدة حكم الملك ببى الثانى اثره فى ضعف الاسرة ، فنجد انه فى النهاية بسبب كبر سنه ، كان غير قادر على ان يكتسب طاعة امراء الاقاليم الاقوياء ، الذين زادت سلطتهم ولم يدينو بالولاء للملك ، ولم يدفعوا الجزية للخزانة الملكية . وظهرت المجاعة والمرض ، وظهر عدم استقرار الامن وانتشرت العصابات فى كل مكان ، واصبحت البلاد عرضة للغزو الخارجى وسادت الفوضى فى كل مكان ، واهملت القوانين ، ونهبت المقابر وتوقفت الطقوس الدينية وعقب وفاة الملك كانت هناك حالة من الفوضى الكاملة ولم يكن فى امكان الملك المحافظة على وحدة البلاد التى تقوم فى الواقع على قوة شخصية . وهكذا بدأ انهيار الدولة القديمة (١) . وفى نهاية حكم ببى الثانى ، يذكر لنا مانتيون فى قائمته اسم ملك وملكه .. حكما بعد ببى الثانى ولا نعرف الا القليل عن احداث عصرهما .

---

(١) محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى (رسالة ماجستير غير منشورة) الاسكندرية ، ١٩٦٦ ، ص ٤١-٤٣ .

٦ـ مرى أن رع الثانى :

لاتعرف عن احداث حكمه الذى دام قرابة عام واحد الا القليل اذ سارت احداث التاريخ مسرعه نحو عصر الانتقال الاول ، واضافت قائمة ابيدوس بعده ملكين آخريين فى قائمة ملوك الاسرة السادسة .

٧ـ الملكة نيت اقرت (نيتو كريس) :

ورد اسمها فى بردية تورين . وقد اختلف المؤرخين بشأنها اختلافا كبيرا ، فاعتبرها بعضهم أم ببى الثانى ، وبذلك تكون قد سبقت عهده واعتبرها بعضهم زوجته واخته وربما عاشت بعده ، واعتبرها بعضهم رجلا اتى بعده واعتبرها البعض الاخر امرأة انتهت اليها وراثة العرش فى آخر الاسرة السادسة ويعتقد اصحاب هذا الرأى الاخير ان هذه السيدة هى التى اشتهرت بين المؤرخين المتأخرين باسم نيتو كريس ، وانها استطاعت ان تنفرد بالحكم لمدة عامين ، غير ان ايامها انتهت دون أثر يذكر لها الا انهيار العرش الفرعونى بعدها ولامر مافقد دخلت ذمة الاساطير ، فروى مانيتون انها كانت أنبل واجمل اهل زمانها ، وروى هيرودوت انه سمع قصتها من المصريين الذين عاصروه فذكروها له بأنها كانت ذات جمال طاغ ، وانها وليت العرش بعد مقتل زوجها فاتجهت الى محاولة معروفة قاتليه والفتك بهم . وكادت لهم طويلا ولجأت فى خطتها الاخيرة الى ان اعدت بهوا ضخما فى باطن قصرها ، وامرت بحفر سراديب خفيه حوله تصله بنهر النيل ، واستبقت امر هذه السراديب

سرا لا يعلمه الا خاصة المقربين اليها ، ثم دعت من حامت الشكوك حولهم في مقتل زوجها الى افتتاح البهو الجديد فلما اكتملت اعدادهم فيه ، انصرفوا الى اللهو والشراب امرت بفتح السراديب عليهم واغرقتهم اجمعين وحين ثابت "نيتوكريس" الى رشدها تخوفت نقمة شعبها وثورته على فعلتها فرمت نفسها في أتون متأجج من النار وقضت على نفسها بنفسها (١)

قد تكون هذه القصة مختلقة في معظمها ، ولكن لها مغزاها الخطير فاعتزار المصريين بترديدها امام الاغريق يشير في اغلب الظن الى اعتزازهم بعهد قديم كان الفراعنة يخشون فيه انتقام رعاياهم ويفضلون ان يلقوا حتفهم بأيديهم عن ملاقاة ثورتهم وبطشهم . وبهذه النهاية الغامضة ينتهي عصر الاسرة السادسة وعصر الدولة القديمة ، لتبدأ مصر عصرا جديدا في تاريخها هو عصر الانتقال الاول أو عصر اللامركزية الاولى أو عصر الثورة الاجتماعية الاولى .

---

(١) محمد بيومي مهران : مصر ، جـ٢ ، ص٢٥٥-٢٥٦ .

سياسة الاسرة السادسة الداخلية :

أ ـ التنظيمات السياسية والادارية :

استمرت سياسة التقارب بين الفراعنة وكبار موظفيهم فى عهد الاسرة السادسة فزوج بعض فراعنتها بناتها من كبار موظفيهم مثل كاجمنى ومرروكا الذى تزوج من ابنة الفرعون تتى ، كما تزوج احد فراعنة الاسرة وهو الملك بيبى الاول من ابنتى احد كبار موظفيه وهو امير ابيدوس ، وتوسع الفراعنه فى تربية ابناء كبار موظفيهم فى قصورهم وزادوا مراسيم الاعفاء التى كانوا يعفون المعابد فيها من بعض التكاليف المفروضة عليها ، وكانوا يكتسبون بذلك ولاء الكهنة وحسن السمعة فى سبيل فقدان جزء غير قليل من موارد خزائن الدولة .

وزادت اهمية كبار الموظفين خلال عصر الاسرة السادسة ، وكانت لهم المناصب التى شغلوها ثلاثة وهى : منصب الوزارة ومن ألمع وزراء الاسرة السادسة الحكيم المشهور كاجمنى فضلا عن الوزير زعو ، الذى كان فى فترة وزراته يكاد يكون صاحب النفوذ الاول فى البلاد ، خاصة فى الفترة التى كان فيها ابن اخيه الملك ببى الثانى طفلا وكانت امه وصية عليه ، ومناصب حكام الاقاليم الكبيرة ومنصب والى الصعيد فضلا عن مناصب اخرى كبيرة كانت تتدرج تحت اختصاصات هذه المناصب الثلاثة .

واختلف نفوذ حكام الاقاليم تبعا لشخصياتهم وشخصيات الفراعنة الذين عملوا فى عهود هم فاستمر اغلبهم يرد وجوه نشاطه فى اقليمه الى امر الفرعون وتوجيهه وفضله ، بينما امتاز الى جانبهم عدد قليل آخر حرص افرانه على ابراز مجهوداتهم الشخصية ومآثرهم الفردية فى نقوش مقابرهم فشرحوا كيف عملوا فى تعمير اقاليمهم وتوطيد الامن فيها والعمل على رفاهية اهلها والى جانب ذلك سجلوا صورا من طاعتهم لفرعونهم وحرصهم على القرب منه وارضائه . ورضى الفراعنة بنشاط اصحاب الشخصيات القوية من حكام اقاليمهم ، أو هم اضطروا الى الرضى به ولكنهم تخوفوا ان يؤدى هذا النشاط الى انفلات السلطان من ايديهم ، أو يشجع البعض منهم على الاستقلال بحكم اقاليمهم ، فحاولوا معالجة هذا التطور بوسيلتين : الوسيلة الاولى : تربية ابناء كبار الحكام فى قصورهم املا فى أن يشبوا اوفياء لهم ويخلصوا لطاعتهم اذ تولوا حكم اقاليمهم . أما الوسيلة الثانية فهى اعادة منصب والى الصعيد الذى استحدثته الاسرة الخامسة ، وعهد الى أصحابه الرقابة باسم الفرعون على ضرائب الصعيد ، وشئون حكامه وكان قد أُلغى فيما يبدو فى عهد تتى اول ملوك الاسرة ، ثم اعيد فى عهد مرى ان رع الاول رابع ملوكها .

٢ـ الاستثمار الاقتصادى :

واصل الملك تتى مؤسس الاسرة السادسة سياسية اسلافه الاقتصادية مع جبيل وبلاد بونت ، واحضار احجار الديوريت من الجوانب ، وقـام

الملك ببى الاول بارسال البعثات لاحضار الديوريت من توماس بالنوبة ، كما قام بتأديب البدو فى سيناء لتأمين استثمار مناجمها ومحاجرها . وواصل مرى ان رع الاول سياسة اسلافه فى استغلال محاجر حتنوب والفنتين . الا انه لم يعثر على اسمه فى سيناء أو جبيل واستمر ببى الثانى فى سياسة اسلافه فارسل البعثات لاستغلال مناجم سيناء ومحاجرها كما اهتم بمحاجر الجنوب واستثمارها .

٣ـ التشييدات المعمارية :

تجمعت اهرام فراعنة الاسرة السادسة فى منطقة سقارة ، فيما عدا هرم ببى الثانى الذى شيد الى الجنوب منها بقليل ، وشابهت هذه الاهرامات اهرام الاسرة الخامسة فى بساطة احجامها وصغر الاحجار المستخدمة فى بنائها وضعف متانتها ومقاومتها ، وسار فراعنة الاسرة السادسة على السنة التى ابتدعها الملك ونيس ، فى نقش متون الاهرام على جدران حجرات الدفن وفى بعض الحجرات الملحقة بها ثم مالبثت هذه المتون ان سجلت كذلك فى اهرام الملكات ، فكانت منقوشة فى هرم الملكة ايبوب زوجة تتى مؤسس الاسرة ، وكذلك فى هرمى نيت واوجبتتن زوجتى الملك ببى الثانى آخر ملوك الكبار فى الاسرة السادسة .

سياسة الاسرة السادسة الخارجية :

أ- في الشمال والشمال الشرقي :

شهدت مصر في هذا العصر نشاطا واسعا من العناصر المجاورة لمصر من ناحية الشمال ، مما دعا الملك ببي الاول ان يرسل جيشه بقيادة "وني" لمحاربة هذه العناصر في عدة حملات متعاقبة بلغ عددها خمس حملات(١) عاد منها بجيشه منتصرا بعد ان ذبح عددا كبيرا من اعدائه واسر الكثير وكانت احدى هذه الحملات برية وبحرية معا ، وقد حصر فيها عدوه بين فكي الكماشة ، وقد تمكن من تأديب البدو والعصاه من سكان الرمال الى حد كبير ويذكر "وني" تمرد حدث عند منطقة اطلق عليها "انف الرئم" ويعتقد انه جبل الكرمل ، وقد عاد بجيوشه الى ماوراء منطقة التلال ، حتى شمال ارض سكان الرمال ، بينما كان نصف الجيش يقترب على الطريق الصحراوى وقد عدل وني على القضاء على كل المتمردين .

واستمر ببي الثانى على سياسة اسلافه بالنسبة الى التجارة الخارجية فهناك مايدل على اتصال تجارى بين مصر وبلاد بونت وسواحل فينيقيا ، وهناك من الادلة مايشير كذلك الى ازدياد الاضطرابات في الخارج حينذاك اذ يبدو أن العناصر الاجنبية انما كانت تحس بما ينتاب مصر من ضعف وانها كانت في انتظار الفرصة التى تسنح لها بالاغارة على الدلتا

(1) Gardiner, A.H., Egypt of the pharaohs, pp. 95-96.

وقد كانت بعد وفاة "ببى الثانى" بسنوات قلائل ، حيث اندلعت نيران الثورة الاجتماعية الاولى ، وقضت على الدولة القديمة .

٢ـ فى الجنوب :

عمل النوبيين كجنود مرتزقة فى الجيش المصرى (١) فى الحملات التى اعدها ونى فى حروبه فى آسيا ، ومن ناحية اخرى فقد زار مرى ان رع الاول منطقة اليفانتين ليتقبل ولاء بعض رؤساء القبائل النوبية الذين اعلنوا خضوعهم للفرعون وتوضح نقوش الامراء الكثير عن علاقة مصر بالنوبة فى هذا العصر ، ولقد قام هؤلاء الامراء بالعديد من البعثات والرحلات فى الجنوب ومن اشهرهم "حرخوف" و"ببى نخت" .

ولقد قام "حرخوف" باربع رحلات فى الجنوب (٢) ، كانت الثلاثة الاولى منها فى عهد الملك مرى ان رع ، وأما رحلته الرابعة فكانت فى عهد ببى الثانى وتذكر نقوش حرخوف ، انه فى رحلاته الثلاثة الاولى من الوصول

---

(١) انظر :
سوزان عباس عبد اللطيف : دراسة تاريخية للجنة المرتزقة فى مصر الفرعونية (رسالة ماجستير غير منشورة) الاسكندرية ، ١٩٨٣م .

(٢) Breasted, T.H., ARE., 1, 333-336.

الى على مايبدو وحتى الجندل الثالث وانه عبر الطريق واحضر من هناك البخور والابنوس وزيت حنكو وجلود فهود وانياب فيله وبذر سمسم · أما رحلته الرابعة ، فقد غطت اخبار حصوله على قزم من اسواق السودان على كل شئ فى الرحلة ·

أما ببى نخت خليفة حر خوف فى وظيفة محافظ اسوان ، فقد تابع سياسة سلفه فى اعمال الكشف وتأمين التجارة فى النوبة · ويبدو ان بعض القبائل النوبية قد اخذت تثير العقبات فى وجه المصريين وانها اخذت تزحف شمالا ، مما دفع الملك ببى الثانى الى ان يرسل ببى نخت على رأس حملة لتأديبها (١) ·

٣ـ فى الغرب :

توضح نقوش معبد الملك ببى الثانى قيامه بتأديب القبائل الليبية واحضاره الكثير من الغنائم والسبايا والاسرى على راسهم الزعيم الليبى وزوجته وولداه ويلاحظ ان هذه النقوش تشبه تماما تلك النقوش التى سجلها الملك ساحورع مما دعا الى القول بانها لاتخرج عن كونها مناظر تقليدية

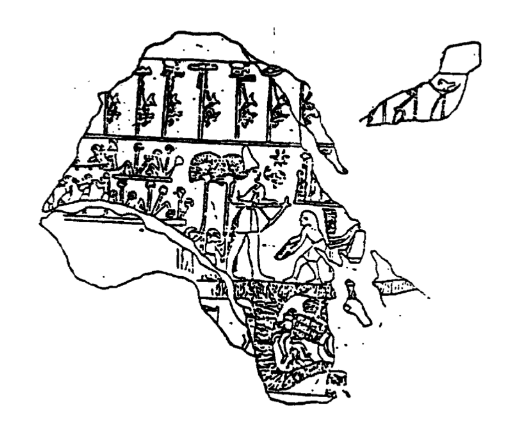
---

(1) Urk, 1, p. 131, F.

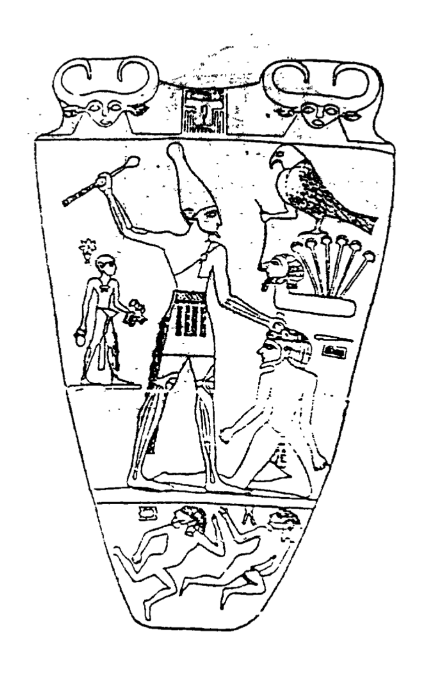
ومن ناحية اخرى فانه يلاحظ ان ونى قد قص علينا انه ضم الى الجيش الذى قاده الى غرب آسيا ليقضى على الاضطرابات هناك جنودا مـــن ارض التمحو كما يذكر حرخوف فى نقوش مقبرته باسوان انه تقدم الى ارض التمحو اثناء رحلته الى بلاد يام (١) .

---

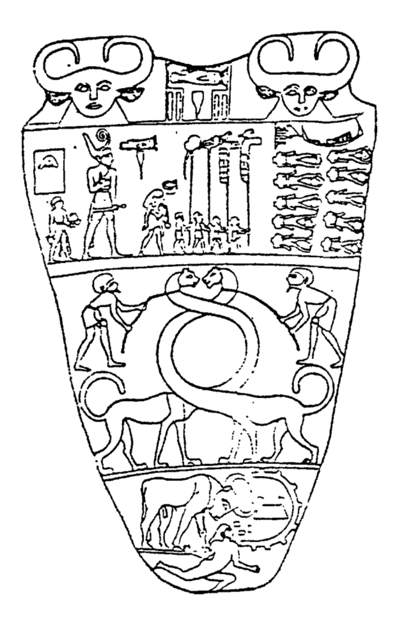
(1) Wilson, J., Asiatic campaigns under pepi I, in ANET, p. 228.,
Gardiner, A.H., op cit., p. 100.



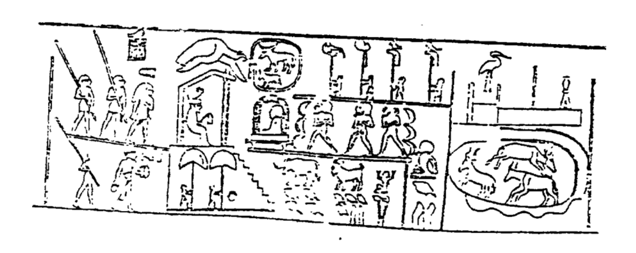
(شكل ١٨) رأس مقمعة الملك عقرب ·



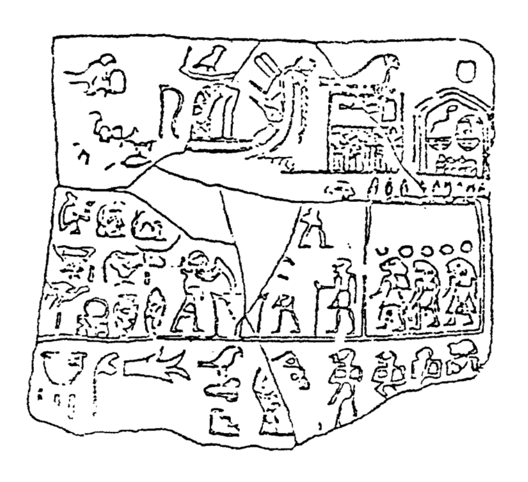
(شكل ١٩) لوحة الملك نعرمر (من الوجه) ·



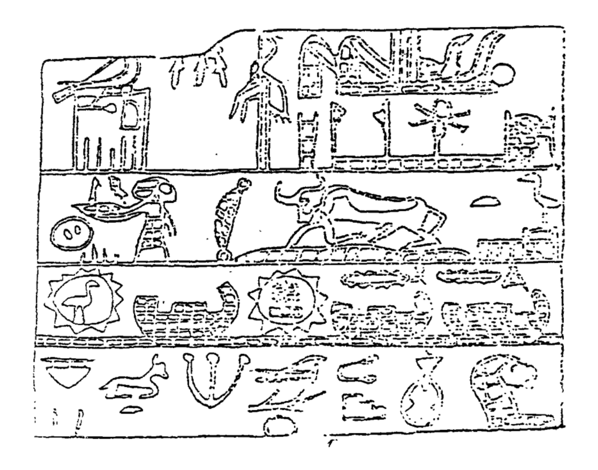
(شكل ٢٠) لوحة الملك نعرمر (من الخلف) .



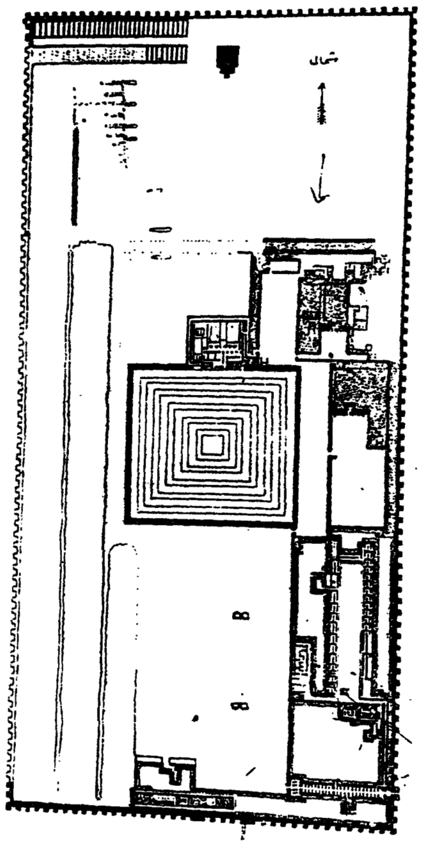
(شكل ٢١) نقوش رأس مقمعة الملك نعرمر .



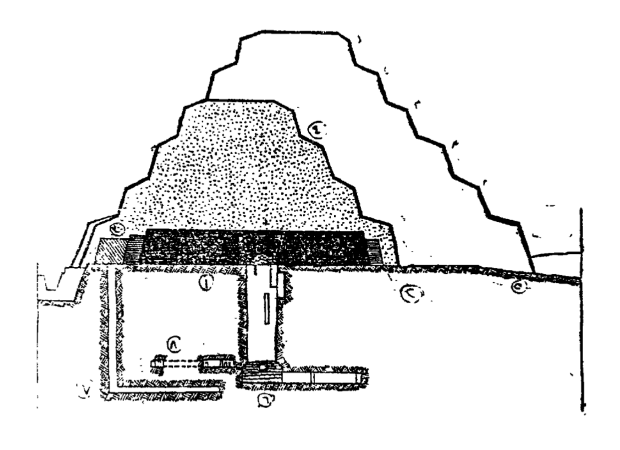
(شكل ٢٢) بطاقة حور عحا العاجية من نقادة ٠



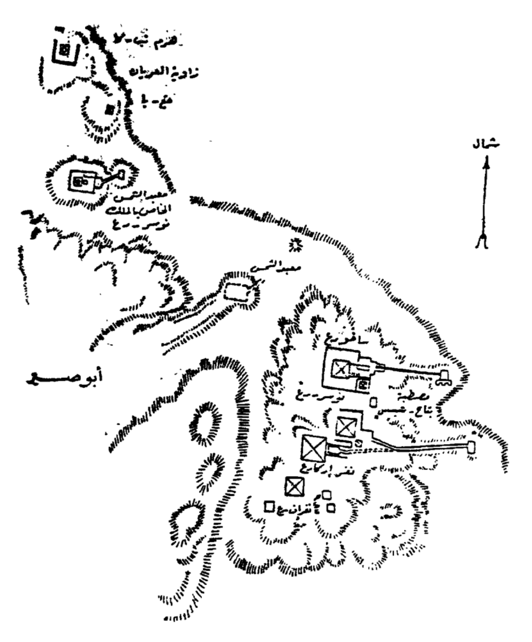
(شكل ٢٣) بطاقة ابنوسية للملك حور عحا .



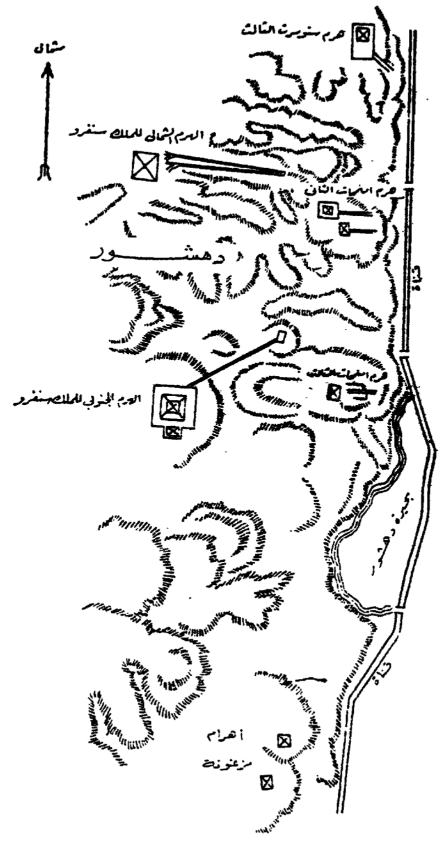
(شكل رقم ٢٤) رسم تخطيطي لمجموعة الهرم المدرج في سقارة ·



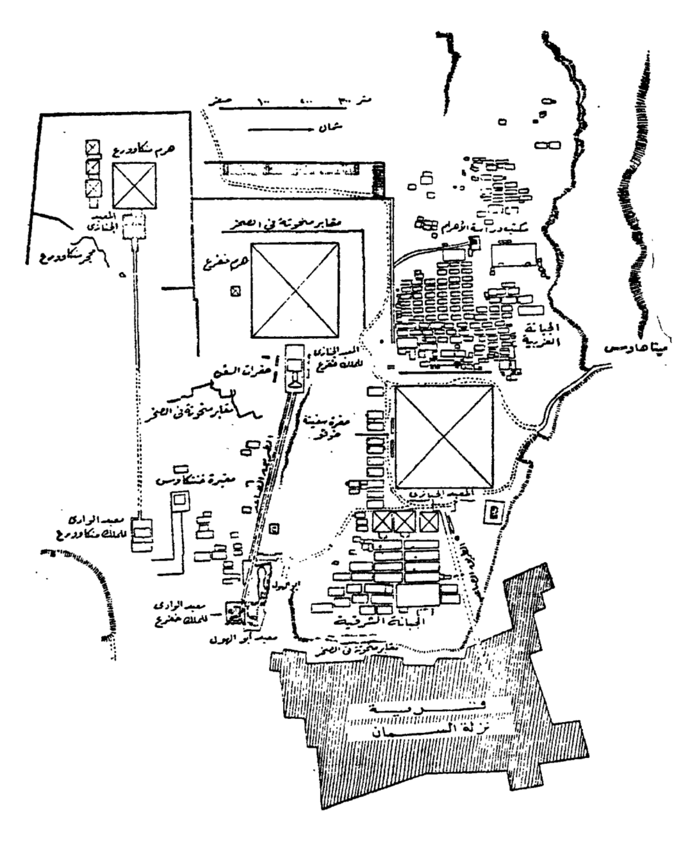
(شكل رقم ٢٥) مقطع في الهرم المدرج يوضح مراحل التعديلات المتعاقبة .



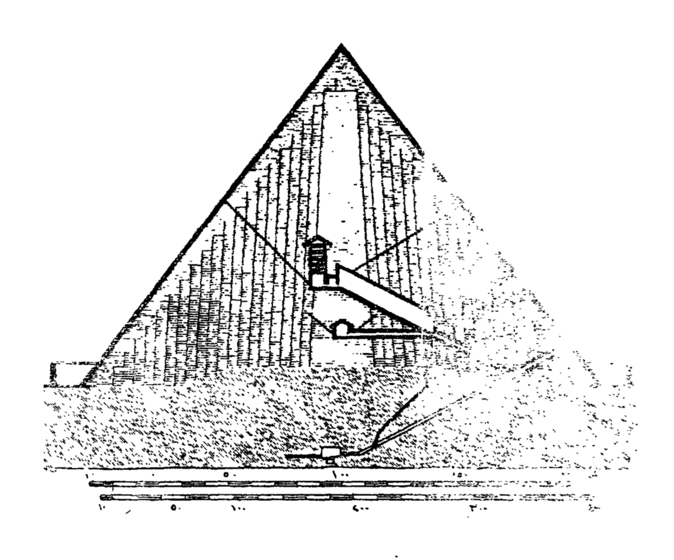
(شكل رقم ٢٦) اهرام زاوية العريان وأبو صير.



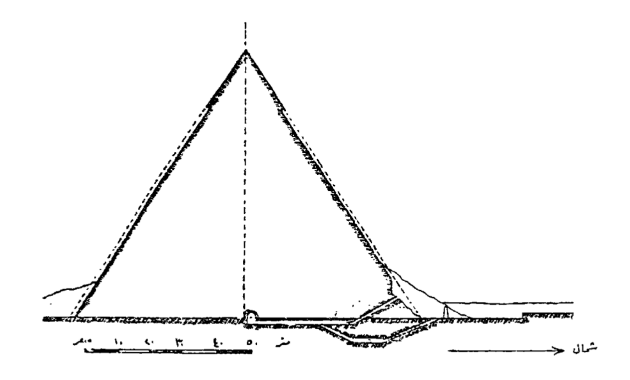
(شكل رقم ٢٧) منطقة اهرام دهشـــور .



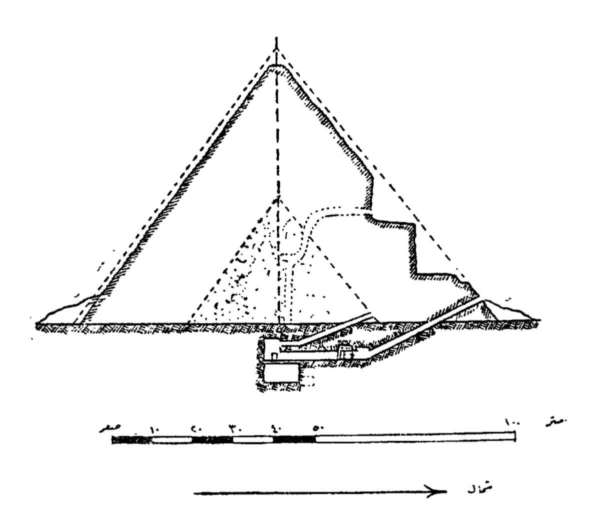
(شكل رقم ٢٨) جبانة الجيـــزة ٠



(شكل رقم ٢٩) مقطع للهرم الاكبر .

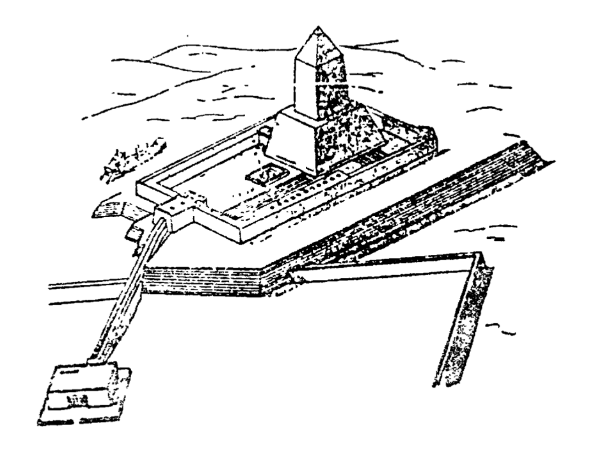


(شكل رقم ٣٠) مقطع في الهرم الثاني في الجيزة .



(شكل رقم ٣١)

رسم تخطيطى ومقطع لهرم الجيزة الثالث (هرم منكاو- ورع) .



(شكل ٣٢) معبد الشـــمس .

الفصل السادس

عصر الثورة الاجتماعية الاولى

عصر الثورة الاجتماعية الاولـــى

أطلق المؤرخين على هذا العصر تسميات عديدة من بينها : عصـــر الانتقال الاول أو عصر اللامركزية الاول أو عصر الفوضى الاول أو عصـــر الاضمحلال الاول . وذلك لما اصاب مصر أثناء ذلك العهد من فوضـى واضطراب ، صورتها بعض الادلة الاثرية النصية والمادية ، وبصفة خاصـة بعض البرديات التى كتبت أثناء هذا العصر ، وعبر فيها كاتبوهـــاعن ارائهم وفلسفاتهم فى الحياة ونظام الحكم وقدم بعضهم مقترحاتهم للخـروج من هذه الازمة التى ألمت بمصر ، بينما كان بعض المفكرين قد وصل الــى درجة من التشائم جعلته يفقد الثقة فى عقيدة البعث والخلود ، وفى نفــس الوقت فقد وصل مفكرون آخرون الى درجة عالية من النضج السياسى الـذى جعلهم ينادون بالديمقراطية وعلى ذلك ، فقد اطلق أحد المؤرخيـــن الحديثين وهو جيمس برستد على هذا العصر تسميته "فجر الضمير" (١) .

ولقد كان لحكم ببى الثانى الطويل ، وعدم مقدرته على ادارة شئون الدولـة بكفاءة فى أواخر عهده ، اثره الكبير فى التمهيد للثورة والاعـداد لها فقد اعطى سوء الاحوال فى كافة المجالات للثورة كل مبرراتهـــا .

---

(1) Breasted, J.H., The Dawn of conscience, New york, London, 1939.

ولكن الثورة لم تقم فى عهده ، بل يبدو مرجحا انها قد قامت فى عهد خليفتيه الضعيفين .

ويتكون عصر الثورة الاجتماعية الاولى من الاسرات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة ، وينتهى فى عهد "منتوحتب الاول" (نب حبت رع) الذى تمكن من القضاء على الفوضى السياسية واعاد توحيد البلاد مرة ثانية .

وسنتناول فى هذا الفصل الاسباب التى أدت الى قيام الثورة الاجتماعية الاولى والاحوال السياسية والفكرية خلالها واخيرا أهم النتائج التى ترتبت عليها .

اولا : أسباب قيام الثورة الاجتماعية الاولـــــى

يمكن ايجاز الاسباب التى أدت الى قيام الثورة الاجتماعية الاولـــى الى اسباب اقتصادية واسباب اجتماعية واخرى سياسية وخارجية ٠

وفيما يتصل بالاسباب الاقتصادية فهى كثيرة ، فلقد أدت التراكمات المتعددة الى انحدار الاقتصاد القومى بالتدريج ، حتى وصل الى ذروة الانحطاط عند نهاية الاسرة السادسة ، وتعددت هذه الاسباب ومنهـا تشييد مبان تهدد الاقتصاد القومى ، وتشييد اهرام لكل ملك جديد ، ولقد كان بناء الاهرامات وغيرها من المبانى الدينية ، نتيجة سطوة الدين على المصريين واثره فى حياتهم وتفكيرهم ، فالدين كان ولايزال وسيظـل اكبر قوة فى حياة الانسان ، وهو الذى أوحى الى المصرى القديم بفكـرة الخلود ، أو الحياة بعد الموت ، وكان من نتائج ذلك ان ترك لنـــا المصريون القدامى عددا هائلا من المقابر والاهرامات والمعابد لايمكـن حصرها ، غير أن هذه العقيدة وما نتج عنها من مبان ضخمة هائلة ارهقت الاقتصاد القومى ، وألقت عبئا ثقيلا على خزائن الدولة ، وحملها مـالا تطيق ، خاصة فى أخريات الدولة القديمة عندما وصلت مواردها الى حـد أن أصبحت حكومتها شبه عاجزة عن تنفيذ أوامرها ، وممارسة حقوقهـــا ، وتحمل تبعاتها ، ومع ذلك لم ينسى الفراعين أن يقيموا لانفسهم أهرامـا يدفنون فيها ، مما ارهق الشعب ايما ارهاق ، وجعل بوادر السـخط تتجمع ضدهم ، وهكذا يمكن ان يقال ان ماأنفق من اموال علـى هـذه

الجبانات الضخمة انما كان واحدا من عوامل الثورة (١) .

وأدى الى سوء الاحوال الاقتصادية ، العبء الناتج عن تخصيص هبات دائمة للصرف منها على العناية بمقابر الملوك والملكات ، فضلا عن الامراء والنبلاء ، ومن ثم فقد كان الملوك يبعدون تدريجيا جزءا من الاراضي التي أعفيت ايضا من الضرائب عن اراضي الدولة ، وتبع ذلك القاء تبعات ثقيلة على الاراضي الاخرى (٢) ، وأدى ذلك بالتدريج الى ارهاق الاقتصاد القومي وتقلص موارده ، وفي نفس الوقت زادت المعاناة على افراد الشعب .

وسار حكام الاقاليم على سنة ملوكهم ، فقاموا بنحت قبورهم في صخور اقاليمهم وخاصة في مصر العليا والوسطى ، وكان ذلك عبئا جديدا على الخزينة ، كلف الكثير من المال .

ومما زاد من سوء الاوضاع الاقتصادية عبء مشترى الولاء من حكام الاقاليم المصرية البعيدة عن العاصمة ، وذلك حين بدأ هؤلاء الحكام يتباعدون عن الملوك ، ويشيدون مقابرهم في عواصم اقاليمهم ، وبهذا تولدت لديهم نزعة فردية دفعتهم الى أن يتباهوا بما فعلوه ، وكلما مر الزمن ، ونتيجة لضعف الملوك ، زاد حكام الاقاليم في تباهيهم بما نجحوا

(١) محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم ، ج١ مصر ، الكتاب الاول ، ص٤٩٦-٤٩٩ .

(٢) Wilson. J.A. The culture of Ancient Egypt Chicago. 1963. p. 98.

فيه ، مما اضطر الملوك آخر الامر الى أن يعملوا على اكتساب رضاهم ، واقطاعهم الاراضى لربط دخلها على مقابرهم التى كانوا يقومون ببنائها من خزائن الدولة . ولم يقتصر الامر على ذلك بل سمح الملوك بأن يرث الابناء آباءهم فى اقطاعياتهم ، وعلى ذلك فقد توزعت ثروة البلاد بين الاسر القوية ، فى الوقت الذى تناقصت فيه ثروة الملوك تدريجيا ، ولجأ الفراعنة الى وسائل عدة لاسترداد سلطانهم ، الا أن ذلك كله لم يغير من الوضع شيئا ، ولم ينجح الملوك فى كسب الحكام الذين أخذوا يستقلون عن الفراعين بأقاليمهم ، مما أدى آخر الامر الى قيام حكومة متنافسة احيانا ، ومتعاونة أحيانا اخرى . وحين تأزم الموقف للغاية ، عمت الفوضى البلاد ، وبالتالى قامت الثورة الاجتماعية الاولى .

واخيرا فقد كان لانقطاع أو احتمال انقطاع الموارد التى كانت تأتى من التجارة الخارجية ، والتى كانت حكرا ملكيا ، فقد كانت مصر على علاقات تجارية مع بلاد غربى آسيا ، ومع جزر البحر المتوسط ومع النوبة وليبيا ، وتدلنا نصوص اواخر الدولة القديمة على وجود اضطرابات فى تلك البلاد الاجنبية التى كانت تتجر معها مصر ، مما استدعى بعض اجراءات حربية فى النوبة والسودان (١) .

أما عن الاسباب الاجتماعية التى ساعدت على قيام الثورة ، فيلاحظ

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٥٠١ـ ٥٠٢ .

أن الفرعون قد تمتع في المجتمع المصرى القديم بوضع خاص بين طبقات المجتمع ، فقد اعتقد المصريون انه ليس واحدا من البشر وانما هو اله ، ورغم تلك الالوهية التى اصبغها على نفسه وآمن بها رعاياه ، فهناك بعض النصوص التى تكشف عن وجود الكثير من المشاعر الانسانية الطيبة لدى بعض هؤلاء الملوك ، ومن هذه النصوص مايعرف باسم "نبوءة نفرتى" والتى تتحدث عن "سنفرو" على انه كان ملكا محسنا ، وانه كان حين يخاطب احد رعاياه ، انما يقول : (ياصاحبى) وحين يوجه حديثه الى رجال بلاطه انما يخاطبهم بقوله : (يااخوانى) (١) .

وارتبطت الطبقة الحاكمة بالملك بروابط كثيرة ، ويمكن تتبع ذلك منذ النصف الاول فى الدولة القديمة حيث كان أمراء الاسرة المالكة يعينون فى منصب الوزارة ، كما كانت هناك مصاهرات بين افراد البيت المالك وآخرين من الشعب ، وكان وجود ابناء الملك واقاربه انما يجعل الخط الفاصل بين الملك والطبقات الاخرى غير واضح المعالم ولكن من ناحية اخرى ، فان هذه الطبقة انما كانت بمثابة همزة الوصل بين الملك ورعيته ، وانها تمتعت بالمناصب الكبيرة ، ثم الحصول على امتيازات كانت من قبل وقفا على الملوك دون سواهم (٢) .

---

(1) Erman. A."The Literature of the Ancient Egyptians, London, 1927. p. 112.

(2) Wilson, J.A., op. cit., p. 76.

وكذا : محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص٥٠٤ .

وفيما يتصل بطبقة العامة فقد تضمنت التجار والصناع والعمال والفنانين والفلاحين . ويلاحظ ان التجار هم أصحاب التجارة الداخلية ، والتى كانت محدودة لدرجة كبيرة ، ومن ثم فان النصوص لا تتحدث عن التجار ، مما يدل على ان التجارة الداخلية ابان تلك الفترة لم تلعب دورا هاما ومن ثم فان التجار لم يقوموا بدور هام فى الثورة أو فى دوافعها .

وفى مقابل قلة عدد التجار وضآلة دورهم وأهميتهم ، فقد كان الصناع والفنانون اكثر عددا ، واشد خطرا من التجار ، وذلك يرجع الى حرفتهم نفسها واهميتها بالنسبة الى الحضارة المصرية القديمة ، ومع ذلك فليس هناك دليل على ان الصناع والفنانين كانوا يحيون فى بحبوحة من العيش ان لم يكونوا فقراء كبقية الطبقة العاملة . وقد اطلق عليهم البعض تسمية "الطبقة الوسطى" ، وهى الطبقة التى تقوم على اكتافها فى معظم الاحوال مهمة ايقاظ الشعوب من غفواتها والقيام بالثورات .

أما طبقة العمال ، وهم الذين كانوا يعملون فى المناجم والمحاجر ، وفى بناء الاهرامات والمقابر والمعابد ، وكانت الدولة هى التى تشرف على العمال ، بطريقة تضمن العناية ، بهم ، ولقد اسهمت طبقة العمال بنصيب وافر فى تشييد العمائر المصرية الضخمة من اهرامات ومعابد ومقابر ، ومع ذلك فيبدو انها لم تعش حياة تتفق والجهد الذى كانت تقوم به ، ومع ذلك فقد كان النظام الدقيق الذى اتبع معهم ، قد اعطاهم بعض حقهم وضمن لهم مأكلا وملبسا وربما كانوا احسن حالا من الفلاحين . أما دور هذه

هذه الطبقة فى الثورة فربما كان اكثر من دور الفلاحين . واقل خطوا من دور الصناع والفنانين .

وكانت طبقة الفلاحين تؤلف الغالبية العظمى من الشعب ، وكانت تتكون من فريقين الواحد يملك ارضه وحقله ، والاخر اجير عند الفرعون أو عند الامراء أو حكام الاقاليم . ويبدو ان دور هذه الطبقة فى الثورة كان اقل من غيرها .

وتجب الاشارة فى هذا المجال الى انه لم يكن هناك نظام صريح ، يظل فيه النبلاء والصناع والفلاحون مرتبطين بطبقة معينة جيلا بعد جيل ، فهناك امثلة كثيرة انتقل فيها بعض المواطنين من اشخاص عاديين الى موظفين كبار فى الدولة ، ومن اشهر الامثلة على ذلك "ونى" الذى يفهم من نصه الذى سجله على جدران مقبرته أنه كان رجل من اسرة بسيطة استطاع ان يرتفع الى كثير من الوظائف المرموقة فى البلاد . ومن ثم فقد كانت الفرصة متاحة لكل من تتوافر فيه الصفات اللازمة لشغل هذه الوظائف العليا . وهكذا كانت هناك اسباب اجتماعية للثورة ، ربما نتيجة تسلط طبقة خاصة على كل الوظائف الهامة فى البلاد وربما استغلال هذه الوظائف الهامة استغلالا سيئا ، ووجود فواصل كبيرة بين الطبقات وبعضها .

ولقد كان لضعف الملكية وتخاذلها امام حكام الاقاليم ، اثره فى قيام

الثورة ولقد بدأ هذا الضعف منذ منتصف الاسرة الخامسة ، وبلغ ذروته على أيام ببى الثانى الطويلة ، مما دفعه الى أن يعين وزيرين ، الواحد للصعيد ، والاخر للدلتا ، ورغم ذلك فقد استمر حكام الاقاليم فى فرض الضرائب الفادحة واحتفظوا بها لانفسهم وامتنعوا عن توريدها الى بيت المال ، حتى أصبحت الحكومة فى منف شبه عاجزة عن تنفيذ اوامرها وممارسة حقوقها ، فتوقف ارسال البعثات الى المناجم ، وتجدد خطر الهجرات الاسيوية وهو الامر الذى ساهم وساعد على قيام الثورة فلقد استدعت الطبيعة الجغرافية لمصر وجود سلطة قوية قادرة على فرض اراداتها ، وقوة السلطة تستمد من وحدانيتها من ناحية ومن مركزيتها من ناحية اخرى ، وكل هذا بدوره اقتضى توافر حد أدنى من الاستقرار والاستمرار .

ونظرا للضعف الذى أصاب الملكية ، وعدم قدرة الملوك على كبح جماح حكام الاقاليم الذين سخروا كل ما على اقطاعيتهم من بشر وأراضى وموارد لمصالحهم الشخصية ومساهمة الكهنة فى هذا الاستغلال أيضا ان شعر الناس بالظلم وان عليهم تغيير هذه الاوضاع جميعها بدءا من الملكية ذاتها ، ويعبر هذا الامر فى نفس الوقت على بلوغ المجتمع المصرى درجة من الوعى والادراك جعلته يقرر رفع هذا الغبن الواقع عليه ، وكان لهذا العامل أثره الفعال فى دفع الناس للقيام بالثورة .

ونتيجة للانهيار الداخل الذى اصاب البلاد ،فقد اصبحت الدولة عاجزة عن صد موجات التسلل الاجنبى من دخول البلاد ، حتى اخذ

هؤلاء الاجانب يعيثون الفساد فى الدلتا ، وعبر عن هذه الحالة الحكيم "ايبو- ور" بقوله "لقد اصبح الاجانب اناسا فى كل مكان - لقد اصبح الاجانب مهرة فى حرف الدلتا " .

ثانيا : الاحـــوال السياسية
فى عصر الثورة الاجتماعية

يتكون عصر الثورة الاجتماعية من الاسرات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة وينتهى هذا العصر فى عهد الملك "منتوحتب الاول " (نب حبت رع) الذى اتمكن من اعادة توحيد البلاد للمرة الثانية ، وتبلغ الفترة الزمنية التى شغلها هذا العصر حوالى ثلاثة قرون على الارجح ، اذ اختلف المؤرخون فيما بينهم حول تحديد هذه الفترة ، ولكنها تدور حول هذه المدة . فيرى وليم فلندر رزبترى أن المدة التى انقضت مابين الاسرة السابعة وقيام اسرة الاناتفة تبلغ ٣٤٤ عاما ، ويرى هول أن المدة من سقوط الاسرة السادسة الى سقوط الاسرة العاشرة يصل الى ٣٣١ عاما ، بينما يرى جيمس هنرى برستد أن هذه المدة تبلغ ٣١٥ عاما . أما ويجال فيرى أن هذه الفترة تبلغ ٢٥٥ عاما ويعتبر هذا العصر من أشد عصور مصر الفرعونية التاريخية غموضا واقساها دكنه ولانكاد نعثر منه على أثر قوى واضح ينير لنا السبيل ، فآثاره المادية شحيحة نادرة بل ان الاسرتين السابعة والثامنة تكاد تمر الواحدة منها تلو الاخرى دون أن تخلد اثرا يشير الى احداهما الا فيما ندر .

وسنتناول فيمايلى بشىء من التفصيل الاحداث السياسية التى تمت خلال هذا العصر وسنحاول جاهدين تتبع هذه الاحداث قدر الاستطاعة .

الاســرة السابعة :

أن معلوماتنا عن الاسرة السابعة ضئيلة ، ان لم تكن معدومة ،وتتميز بوجود نزاع على العرش بين أدعياء الحاكم والطامعين فيه الى الدرجة التى ذكر فيها مانيتون انه تولى الحكم فى الاسرة السابعة سبعون ملكا منفيا لمدة سبعين يوما .

ومع غرابة هذه الرواية فقد حاول الباحثين أن يخرجوا منها ببعض الحقائق ، فافترض بعضهم أن السبعين ملكا كانوا مجموعة من كبار الموظفين كونوا حكومة بيروقراطية ترأسها كل واحد منهم يوما واحدا ،بينما رأى آخرون ان هؤلاء السبعين ملكا ماهم الا جماعة من الاشراف وكبار حكام الاقاليم كونوا فيما بينهم حكومة أو ليجركيه وأرادوا اقامة حكم مشترك يتعاقبون فى رئاسته على التناوب ولكنهم فشلوا ، ويتجه الاستاذ الدكتور / عبد العزيز صالح الى القول بأنه ليس مايمنع من أن تفترض أن السبعين يوما كانت فترة اضطراب شامل خلا العرش فيها من صاحبه فانتحل كل حاكم من حكام الاقاليم الكبار السلطان لنفسه مع اعتبار عدد السبعين ملكا مجرد مبالغة عددية لتصوير كثرتهم أو تعدادهم وحيرة الناس بينهم (١) .

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص

ويرجح وليم هيز (١) أن هذا انما هو حكم طارئ اتخذ من منف مقرا له ليحل محل الملكية المنهارة في اخريات الدولة القديمة ، أو لعله كان حكومة خاصة شكلت من مجلس شورى ، اعضاءه من صفوة الممتازة من الحكام الذين عاشوا من سلالة ملوك الاسرة السادسة أو من كبار الموظفين وحكام الاقاليم كونوا من أنفسهم هيئة حاكمة يطلق على كل واحد من أولئك السبعين لقب ملك أو حاكم ، غير أن هذا النوع من الحكم الذى لم يعهده المصريون لم يجد منهم قبولا ، فلم يعش اكثر من سبعين يوما (٢) .

ويلاحظ ان نسخة يوسيفوس المنقولة عن مانيتون قد نقلت عنه هذا العدد محرفا الى خمسة ملوك حكموا سبعين عاما ، وصححته الترجمة الارمنية الى خمسة ملوك وسبعين عاما .

أما بردية تورين فقد اوردت خمسة اسماء حكموا في هذه الفترة الا انه يلاحظ أن اول هذه الاسماء الخمسة مفقود واعطتهم مدة حكم تقدر بخمسة وسبعين عاما ، وعلى ذلك فان الترجمة الارمنية تتفق مع ماجاء في بردية تورين .

أما قائمة ابيدوس فهى تقدم لنا خمسة أسماء كذلك ويتجه بعض المؤرخين الى الاعتقاد بان الاسرة السابعة لم تمكث في الحكم اكثر من

---

(1) Hayes, W.C., The scepter of Egypt, 1, New york, 1953, p. 136.

(٢) احمد فخرى : مصر الفرعونية ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص١٦٣ .

ثمانية اعوام .

ويرى سمث(١) أن الاسرة السابعة حكمت فى الفترة من ٢١٨١ ـ ٢١٧٢ قبل الميلاد وان ملوكها :

١ــ نفر كارع (الصغير) .
٢ــ نفر كارع نبى .
٣ــ جد كارع شمــاى .
٤ــ نفر كارع خند و .
٥ــ مرى ان حور .
٦ــ نفر كاين .
٧ــ نـ سى كارع .
٨ــ نفر كارع .
٩ــ نفر كا حور .

ولقد عثر على اسم اول ملوك الاسرة السابعة ، طبقا لهذا الترتيــب وهو نفر كارع الثانى على قطعة حجرية تكون احدى اللواحات من حجــرات هيكل الملكة ايبوت المتصل بهرم الملكة نبهت بجانب مقبرة زوجها "ببى الثانى"

ومهما كان أمر هذه الاسرة فقد انتهت دون ان تخلف من ورائهــــا

(1) Smith, W.S., op. cit., p.

شيئا يذكرها أو يذكر الناس بها ٠

الاســـرة الثامنــة :

بدأت الاسرة الثامنة واستمرت على نفس الضعف الذى انتهت اليـــه الاسرة السادسة وقامت عليه الاسرة السابعة ولا يكاد يعرف من آثارهـــا المكتوبة غير عدة نصب عثر عليها فى قفط تضمنت مراسيم بأسماء الملـــوك واج كارع، ونفر كارع ، ونفر كاحور، وجرى فيها اصحابها على سنة سلفهم القديم ببى الثانى فى تقرير اعفاءات معينة لصالح معبد الاله مين ورجاله فى قفط ، وصالح الاوقاف الملكية الموقوفة على تماثيلهم فيه (١) ٠

وتضمن أحد هذه المراسيم تهديدات من الفرعون يتوعد فيها كل من يجرؤ على الاعتداء على المقابر والمعابد وتحطيم التماثيل بحرمانـــه من ميراث آبائه ونفيه وعدم دفنه بين المكرمين ٠ وتدل هذه التهديدات فيما يغلب على الظن على ان الاعتداءات على المقابر والمعابد والتماثيـــل كانت قائمة بالفعل وأن الحكام حاولوا ان يوقفوها ويمنعوها بكل الطرق ، ولجأوا فى مقاومتها الى تنويع العقوبات بين السجن والنفى والحرمان دون ان يسرفوا فيها الى حد عقوبة الاعدام ٠

---

(1) Hayes, W.C., Royal Decrees From the Temple of Min at captos, in J.E.A., 32, 1964, pp. 3-23.

وتضمنت المراسيم نفسها تعيين اختصاصات ثلاثة من كبار موظفى قفط كانوا أصهارا للاسرة المالكة دعى اكبرهم "شماى" واتخذ لقب الوزير وحاكم الجنوب وكان الاخران ولدين له ويبد و ان نفوذ هذه الاسرة القفطية الحاكمة ازداد شيئا فشيئا حتى حكموا سبعة اقاليم من جنوب الصعيد لولا ان السلطة التى توفرت لهم لم تستمر اكثر من اربعين عاما ، ثم تسربت زعامة الصعيد من بين ايديهم الى حكام طيبة فى نفس الوقت الذى انتقلت فيه زعامة مصر الوسطى من أيدى ملوك منف الى حكان أهناسية غربى بنى سويف .

وتذكر بردية تورين أن مدة حكم الاسرة الثامنة قد بلغ ١٠٦ سنة أما قائمة ابيدوس فقد سجلت من أسماء الاسرة الثامنة سبعة عشر اسما .
ولا تعترف قائمة ابيدوس بملوك الاسرتين التاسعة والعاشرة وعلى ذلك فان الاسماء السبعة عشر تخص الاسرة الثامنة على الارجح أما مانيتون فيذكر ان ملوك هذه الاسرة قد حكموا ١٤٦ عاما .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة هنا الى أن الكثير من ملوك الاسرة الثامنة قد حملوا اسماء بعض ملوك الاسرة السادسة فوجود للقب "نفر كارع" الذى كان اسما للملك "ببى الثانى" أما ككل أو كجزء فى القاب ستة من الاسماء التى تقدمها قائمة ابيدوس . أما يبين مدى احساس تمسك هؤلاء الحكام الصغار بأكثر فراعين الاسرة السادسة توقيرا واحتراما هذا الى جانب انهم دفنوا أو عملوا على ان يدفنوا فى سقارة الجنوبية على مقربة من

هرم ببى الثانى ، ولعل هذا كله هو الذى دفع البعض المؤرخين الى ترجيح أن اولئك الحكام ورثة شرعيين لملوك الاسرة السادسة .

ويذهب وليم هيز (١) الى ان "نفر كارع" مؤسس الاسرة الثامنة — انما كان ابنا أو حفيد الملك نفر كارع "ببى الثانى" . وانه واحد من ثلاثة ملوك ذكروا فى بردية تورين حيث خصص له فترة حكم قدرها اربع سنوات وهى اطول فترة لواحد من الثلاثة ، وقد بنى هرمه بسقارة الجنوبية .

وهكذا نرى أن ملوك الاسرة الثامنة يحاولون الانتساب — بحق أو بغير حق الى ملوك الاسرة السادسة ليبسطوا على ملكهم الصفة الشرعية — بصفتهم خلفاء شرعيين لاسلافهم ، كما حاولوا الاعتماد على بعض الاسر القوية فى الاقاليم فصاهروهم كما تم منحهم بعض الامتيازات ويمكن القول بأن أمور البلاد على ايام الاسرة الثامنة انما هى جد قلقة ففى الدلتا كانت عصابات البدو ، وقطاع الطرق الذين تسللوا الى البلاد منذ اخريات ايام "ببى الثانى" قد اصبحوا يتجولون فى كل الدلتا ، أما البعثات الى سيناء لاستخراج الفيروز فقد توقفت ولم تستأنف حتى قبيل ايام الاسرة الثانية عشر اما فى الصعيد الاقصى ، فقد كانت الامور غير مستقرة ، ذلك لان سلطان قفط لم يلق قبولا حسنا من ادفوا واسوان ، فقامت الحرب هناك ، وان انتهى بانتصار طيبة وقفط .

---

(1) Hayes, W.C., The scepter of Egypt, p. 136.

وانتهت الاسرة الثامنة دون أن ندرى كيف انتهت على وجه اليقين وتصبح البلاد مقسمة أقساما ثلاثة ، ففى الشمال كانت جحافل الاسيويين وفى الجنوب التفت البلاد حول امراء طيبة وليس فقط فقط أما فى مصر الوسطى فلقد انتهز حكام أهناسيا فرصة ضعف الملك "دمج أيب تاوى" آخر ملوك الاسرة الثامنة واقاموا بيتا جديدا لحكم فى اهناسيا قدر له أن يحكم البلاد فى الاسرتين التاسعة والعاشرة ، وعرف فى التاريخ باسم "العصر الاهناسى " (١) .

العصر الاهناسى (الاسرتان التاسعة والعاشرة) :

كان مؤسس الاسرة التاسعة "خيتى الاول " مرى ا ف رع" ويبدو أنه بدأ حكمه بنوع من الشدة التى قصد بها تأييد ملكه والزود عنه - وربما دفعته ظروف البلاد الى ذلك ، فالبدو يتحكمون فى الدلتا ، وحكام الصعيد يتنافسون فيما بينهم على السلطان ، وهو نفسه محط بمنافسين حاقدين وعلى أى حال فان "مرى ايب رع" (المحبوب من قلب الارضيين) لم يتردد - تأكد الدعواه فى أن يظهر نفسه بالقاب فرعونية كاملة ، هذا وقد عثر للملك "مرى ايب رع" على مجموعة من النصائح منها قوله : (على من يرد أن يحبس امنا أن يكون مستعدا للحرب) .

---

(1) Smith, W.S., op. cit., p. 198.

وهناك شك فى أن حكمه قد امتد الى الدلتا التى بقيت فى قبضة الاسيوبين أما فى الجنوب فقد امتد نفوذه حتى "ثنى" (ابيدوس) وان وجد اسمه فى نقوش عند الجندل الاول ، ورغم ان هناك من يرى فى ذلك دليلا على امتداد نفوذه حتى اسوان فان امراء طيبة قد تزعموا الاقاليم الجنوبية حتى نجحوا آخر الامر فى القضاء على البيت الاهناسى كله ، مؤسسين الاسرة الحادية عشرة .

وهناك اختوى آخر لقب نفسه "نب كاورع" تعرفه من طريق ثقل ميزان عثر عليه فى "بشيوم" (تل الرابعه) فضلا عن ورود اسمه فى الاعمال القصصية المصرية القليلة التى بقيت لنا كاملة وهى قصة "الفلاح الفصيح" .

وكان البيت الاهناسى يزداد ضعفا على ايام الاسرة التاسعة وفى نفس الوقت كان حكام الاقاليم يزدادون قوة حتى جاء اليوم الذى زال فيه حكم هذه الاسرة وتلتها اسرة اخرى وهى الاسرة العاشرة . اظهرت شيئا من النشاط وبدأ الظلام المخيم على تاريخ مصر ينقشع رويدا ، فنرى خلاله بعض الاشباح تتحرك ، ثم نرى الاشباح تتحول الى قوى تتطاحن فيما بينها ، وتدخل مصر مرة آخرى فترة استيقاظ .

كان مرى حاتحور هو مؤسس الاسرة العاشرة ، وقد عرفناه من نص مشوه عثر عليه فى محاجر حتنوب واما خليفته نفر كارع فقد ورد اسمه فى بردية تورين ، أما ثالث ملوك الاسرة فهو "واح كارع" (اختوى الثالث ـ أو الرابع فيما يروى البعض) . وهناك مايشير الى أن ايام خيتى الثالث (واح كارع) انما كانت أيام حروب ، فهناك النزاع بينه وبين البدو الاسيويين والذى حاول فيه أن يطهر الدلتا من الاجانب المتعصبين ويذهب البعض أن الرجل قد كتب نجحا بعيد المدى فى تطهير الدلتا منهم وان ذهب فريق آخر الى أن ذلك لم يتم الا بعد توحيد مصر وبناء حائط للامير .

وجاء بعد "واح كارع" ولده "مرى كارع" واستقبله مصر الوسطى بثورة ضده ولكنه تمكن من القضاء عليه مؤقتا ويبدو انه لم يعش بعد ذلك طويلا فودع الدنيا بعد اعوام قلائل ، ثم توفى فى منف ، ويبدو انه لم يترك خلفا يرث العرش من بعده ، فانتهت به الاسرة العاشرة ومن كان هناك يرى أن اخيتوى (خيتى الخامس) قد خلفه على عرش اهناسيا وانه لم يعش على العرش طويلا ، أو غاورت جيوشه طيبة هجومها فقضت على قائله اهناسيا وأخضعت مصر كلها وبدأت الاسرة الحادية عشر ، فبدأ جديدا وعادت مصر الى وحدتها القديمة يحكمها ملك واحد . كما بدأت ايضا الدولة الوسطى .

الحرب الاهلية بين اهناسية وطيبة :

بدأت طيبة تسيطر على أقاليم الجنوب منذ أيام "انتف الاول" (انيوتف) بن "ايكو" مؤسس سلسلة الملوك المعروفة باسم الاسرة الحادية عشرة ، وهناك ثلاثة لوحات يمكن أن تعد وثائق معاصرة لهذا الامير يوصف في اثنين منها بأنه "الرئيس الاعلى لمصر العليا" ويوصف في الثالثة بأنه "الرئيس الاعلى لمقاطعة طيبة" ، وربما كان أكثر قبولا أن نفترض وجود سلف واحد فقط يحمل نفس اللقب وان انيوتف هذا انما هو "انيوتف عا" (انيوتف العظيم) الذى استطاع ان يخضع الجنوب من وراء حدود اقليمية ، وأن لم يجرؤ على انتحال الملكية (١) .

أما اول انيوتف ملكي فقد كان "سهر تاوى" (مهدئ الارضين) وكان أول حاكم طيبي احس في نفسه القوة على أن يغتصب نوعا من الملكية في الجنوب وان لم يستطع هو أو احد من خلفائه الثلاثة أن يلبس التاج المزدوج وأن اسبغوا على انفسهم لقب "نسوت بيتي" الذى يمكن ترجمته الى ملك مصر العليا والسفلى ، وقد حفظ لنا اسمه "حور سهر تاوى" مهدى الارضين ابن رع أنيوتف" ، وهو على أى حال أول حكام الاسرة الحادية عشرة الذين حكموا نصف البلاد حوالى عام ٢١٣٤ ق.م أى قبل

(1) Gardiner, A.H., Egypt of the Pharaohs, pp. 117-118.

قيام الاسرة الثانية عشرة بحوالى ١٤٣ سنة كما انه أول حاكم طيبى يكتب اسمه داخل خانة ملكية (خرطوش) كما انه ظهر كثائر ومناهض لخصمه القوى فرعون اهناسية ، الا أن الاحتكاك الحربى بين طيبة واهناسية لم يبدأ الا فى عهد خلفه "واح عنخ أنتف" (٢١٣٠ ـ ٢٠٨١ ق٠م)(١) ٠

وكانت اهناسية تحس أن سلطانها على مصر لم يتم ، مادام هناك اسيويون فى الشمال وطيبيون فى الجنوب ، كل منهما يحتل جزءا من البلاد وكانت طيبة بدورها تحس بأن استقلالها لن يمكنها من زعامة الصعيد ، والتحكم فى شئونه مادامت تدين بالولاء لاهناسية ، وتدفع لها الجزية ، وكان كل من الفريقين يتربص بالاخر الدوائر ، ويعمل على تجميع انصار له ٠ وهكذا عمل الاهناسيون على ربط حكام الاقاليم بهم برباط الود واتبعوا فى ذلك سياسة بعض ملوك الدولة القديمة فى تربية ابناء الحكام الاقوياء فى قصورهم ليصبحوا أوفياء لهم ٠

وحاولت طيبة بدورها أن تجمع الاحلاف من حولها ، وربما نجحت فى ذلك بعض الشيء ، ولكنها اعتمدت اكثر على حصانتها ، وعلى صلابة رجالها وعلى اذكاء روح الامل فيهم ٠

ووبدأ التنافس بين اهناسيا وطيبة فى صورة خفية أول الامر ، ثم سرعان ما اتخذ صورته المكشوفة بعد ذلك ، اذ قامت بين الفريقين المتنافسين معارك دارت رحاها على صفحة الماء مرة وفى البر مرة أخرى

(١) محمد بيومى مهران ، المرجع السابق ص٢٩٩٠

ولعل السبب أن كلا من "خيتى" و "أنيوتف" انما كان يتطلع الى "ابيدوس" كأنما هى من املاكه الخاصة فهى بالنسبة لملك اهناسية أو بالنسبة الى مولاه (تف ايب) صاحب اسيوط - قلعة باب الجنوب - وبالنسبة الى انيوتف بوابة الشمال وهى القداسة لدى الجميع واثارة الحرب على ارضها تدنيس يحمل وزره من يسعى اليها .

بدأت اهناسيا الحرب على طيبة ، ويبدو أنها انتصرت فيها ، وقد تابع (تف أيب) الذى كان قد خلف أباه "خيتى" فى امارة آسيوط الحرب ضد اهل طيبة وحلفائها حتى فروا الى شرق البلاد ، بينما اصطادهم آخرون فى الجنوب وهكذا هزم امراء طيبة وان لم يكن هزيمتهم حاسمة اذ احتاج الاهناسيون الى عمليات حربية اخرى ، مما اضطر "تف ايب" الى منازلة ثوار طيبة مرة آخرى ، ويذكر انه أحرز النصر عليهم الا انه يفهم من اشارات آخرى ان الجانب الطيبى انما قد استطاع ان يسترجع ابيدوس . وان يمد حدوده حتى الاقليم العاشر أى حتى مدينة واجت (افروديتو بوليس) كوم اشقاو الحالية - مركز طهطا محافظة سوهاج .

وعلى أى حال فقد كان من المنتظر ان يعود (واح عنخ - انتف) الى طيبة وان ينتظر ماتقرره اهناسية بعد هزائمه السابقة ، غير أن قائدا مثله فيه عناء أهل الصعيد لن يقنع من الغنيمة بالاياب ، ومن ثم فقد أعاد الكرة من جديد ، حيث كتب له من النجاح مالم يكتب من قبل (١) ، فقد تمكن

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص٢٠٣ .

منضم "ثنى" ودمر تخومها الشمالية .. وهكذا استطاع أن يضيف الى املاكه مقاطعة (ثنى) وان يوطد حدوده الشمالية عند "افرود يتو بوليس" الا أن الغنيمة الكبرى انما كانت ابيدوس ، ومعبد أوزير الذى يرجع الى أيام الدولة القديمة فضلا عن مقابر الملوك الاوائل فى الصحراء ، فيما وراء ابيدوس .

وهكذا .. تنتهى المرحلة الاولى من النزاع بين طيبة واهناسية بغاية طيبة . وبعد موت (واح عنخ) يخلفه فى زعامة طيبة ابنه "نخت نب تب نفرة - انيوتف" ، ومعنى لقبه "قوى سيد البداية الجميلة" ، ثم جاء بعده "سعنخ ايب تورى" (منتوحتب الاول) ولقبه يعنى "أمون راضى" وكان المؤرخون يعتبرونه الملك السابق للفرعون "نب حبت رع" الذى كتب له نجحا بعيد المدى فى النصر على الاهناسيين ، والقضاء على ملكهم واعادة توحيد البلاد كلها (١) .

وكان "مرى كارع" قد اعتلى عرش اهناسية بعد وفاة ابيه (خيتى) الذى ترك له تعاليمه المشهورة ، كما كانت امارة أسيوط قد نقلت الى خيتى الثانى "والى اسيوط" ، الذى ربما كان يشغل منصب القائد الحربى لمملكة اهناسية ، والذى فاخر بانه أدب مصر الوسطى واخضع الثوار ، واعاد النظام ويبدو لنا أن نقوش "خيتى" والى اسيوط لم تقدم

---

(1) Vercoutter, T., op. cit., p. 348.

صورة حقيقية عن الحالة فى اهناسية وبين حلفائها ، فليس صحيحا كماذكره ولعله أراد بهذه الكلمات أن يخفى الحقيقة المرة التى كانت تواجهه وتنذره بأن حربا شعواء سوف تندلع فى عهد سيده "مرى كارع" وليس صحيحا كذلك أن كل زعماء مصر الوسطى كانوا فى صف سيده ، فهناك مايشير الى أن ولاء حكام بعض الاقاليم فى مصر الوسيطى لقضية حكام اهناسيا ، ليس فوق مستوى الشبهات فهناك مايثبت أن الاشمونيين قد ثارت على الاهناسين منذ عهد واليها "نحرى" .. وهكذا يعلن أمير مقاطعة الارتب الحرب على الفرعون ويفخر بأنه حمى مدينته من الفرعون نفسه . وان كان عاد ثانية الى حظيرة مولاه اسميا .. وهكذا .. افلت الزمام من أيدى ملوك اهناسية ، ولم تعد سياستها اتجاه الامراء ذات فائدة للحفاظ على عرشهم وأصبح القضاء عليهم أمر وقت وجاء ذلك على يد "منتوحتب الاول" .

وليس هناك شئ محدد تماما عن الحملات التى ستطاع بها "منتو حتب الاول "استعادة التاج المزدوج وتوحيد البلاد ، ولكن مما شك فيه أن "منتوحتب الاول" قد بذل كثيرا من الجهد لاحكام كل معارضة قامت فى طريقه حتى انتهى الامر باستيلائه على اهناسية ، وبذلك استطاع أن يخضع الصعيد لسلطانه . وأن يستخدم اللقب الحورى "نب حدج" الذى يعانى سيد التاج الابيض ثم تابع جهاده فى سبيل السيطرة على الوادى كله ، فطوى الدلتا تحت رايته ، ثم غير لقبه الحورى الى سماتاوى (موحد الارضين) ثم اتجه بعد ذلك الى تأمين حدوده فحارب العدو فى الشرق والغرب كما اخضع المنطقة جنوبى اسوان ، ولم يحاول أن

يصطدم بالامراء الاقوياء فتركهم يحكمون أقاليمهم واكتفى منهم بالطاعة والجزية وحسن الولاء .

وهكذا كان "منتو حتب الاول" (نب - حتب - رع) أول ملوك الاسرة الحادية عشرة . ومن هنا فان المصادر انما تجمع على ذكر اسمه ، فعلت ذلك بردية تورين وقائمة ابيدوس ، ولعل ذلك هو الذى دفع البعض الى اعتبار قيام الاسرة الحادية عشرة انما كان فى عام ٢٠٥٢ ق.م أى منذ توحيد القطرين تحت زعامة "منتو حتب الاول" هذا وقد اتخذ "منتو حتب الاول" الالقاب التى تدل على انه ملك مصر الحقيقى ، فسمى نفسه "الحور سما تاوى (موحد الارضين) ، وصاحب الالهتين سام، ، حور الذهبى ، قاشوتى ، ملك مصر العليا والسفلى ، نب حتب رع ، ابن رع منتو حتب الاول ، وهذه هى الالقاب الفرعونية الخمسة (1) .

---

(1) Winlock, H.E., the Rise and Fall of the Middle kingdom in thebes, N.y., 1947, p. 30.

ثالثا : الاحوال الفكريــة
فى عصر الثورة الاجتماعية

وبعد دراسة العوامل التى أدت الى قيام الثورة الاجتماعية الاولـى والاحوال السياسية والاقتصادية التى صاحبتها نجد من الضرورى دراسـة أهم الاثار النصيه لهذا العصر وتعتبـر البرديات من المصادر الرئيسيـة التى نستقى منها معلوماتنا عن تلك الفترة الهامة فى تاريخ مصر ـ ومن هـذه البرديات بردية أيبوور التى تصور حالة البلاد ، وما ساد فيها من فوضـى واضطراب اجتماعى ، والبردية التى تحتوى النصائح التى وجهها خيتـى لابنه مرى كارع والتى تعبر عن الاحوال السياسية السائدة فى تلك الفتـرة ، كما انها تعبر فى الوقت نفسه عن وجود نوع من الوعى لدى رجال السلطـة ، وبردية القروى الفصيح التى تدل على وجود نوع من الادراك لدى عامـة الناس ، فقد انقذت البلاغة والوعى القروى الفقير من بطش الغنى وايقـاف ظلم كبار الموظفين ، فلم يسأم أو يمل ، واخيرا كان لحديثه آذان صاغيـة وسر الملك لنصائحه ورضى عنه وأنصفه ، واعاد اليه حقه ٠

وعبرت النصوص الادبية كذلك عن الاحوال الفكرية التى سادت هـذا العصر فقد كان من نتائج الثورة الاجتماعية الاولى انها شجعت المصرييـن على اعلان عقائدهم وأرائهم فى عقائد اسلافهم ، بالنقد مرة وبالمـدح مرة اخرى ورغبة التعديل مرة ثالثة فقد ترتب على اعتداء بعض الثوار فـى اواخر الدولة القديمة على الاهرام والمقابر ونهبهم محتوياتها بل وجرأتهم

على معابد الالهه أحيانا ان ظهرت بين الناس أربعة اتجاهات عقائدية متميزة : اتجاه متحرر شك اصحابه فى مقومات الخلود التى آمن اسلافهم بها واقاموا الاهرام والمقابر من أجلها ، كما شكوا فى افكار الخلود نفسها ، واتجاه آخر من المتزمتين برموا فيه بكفر اصحاب الاتجاه الاول فتجلى التشاؤهم على نظرتهم الى الحياة الدنيا واحوالها واتجاه ثالث محافظ أصر اصحابه على عقائد اسلافهم فى الخلود ومقوماته وقرابينه ودعواته . واخيرا اتجاه رابع مجدد آمن اصحابه بأن الخلود حق لا شك فيه ، ولكنهم امنوا فى الوقت نفسه بأن سعادة الفرد فى الاخرة لا ترتبط ببناء المقابر الفخمة أو تقديم القرابين بقدر ماترتبط باعمال الانسان فى دنياه وايمانه بعدل اربابه فى أخراه (١) ، وظهرت موجة الشك فى موال ردد على أنغام الجنك فى حفل اقيم لذكرى امير عزيز ، ويطلق عليها اغنية الضارب على العود ، وهى تدعوا الى التمتع بمباهج الحياة الدنيا ما وسعهم الى ذلك من سبيل ، دون قلق على الاخرة ومايصيبهم فيها .

وبدأت الموجة الثانية ، موجة التشاؤم واليأس ، منذ أيام الثورة ايضا وعبر عنها ايبوور بانتحار بعض الناس غرقا ، وسخط الاطفال على ولادتهم والرغبة فى فناء العالم كله حتى تستريح الارض من الضجيج ، وعبر عن هذا الاتجاه كذلك حوار سجله اديب مصرى على بردية بين رجل سئم عيوب الحياة فى عصره ، وبين روحه وجعل الروح تتحدث فى هذا الحوار كأنها شخص آخر ويبدو أن المناقشة بدأت بينهما بأن اعلن لروحه ضيقة

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤١١ .

بمساوئ عصره ، بينما أعلنت روحه رضاها بدنياها ورغبتها فى أن يتــرك مابعد الموت لما بعد الموت ، ولما احتدم الجدل بينهما تحدته أن يحرق نفسه وينتحر اذا كان جادا فى ضيقه بالحياة ، ولكنه تردد وظـل كل منهما يحاور الاخر ويداوره ، حتى اضطر الى أن يهادنها ، فقصصت عليه مثلين من مصائب الناس فى فقد اولادهم وفقد ثرواتهم لعلها تخفـف عنه بلواه وقص هو عليها مادعاه الى الضيق بالحياة ، ويبدو انه كـان قد تكفل بدعوة بين الناس ولكنه لم يجد بينهم سميعا ولا مجيبا ، وبقدر ما وجد بينهم من أساؤا اليه وشوهو سمعته وقد قص شكواه فى أربع قصائد بدأ كل قصيدة منها ببداية متشابهة (١) .

واستمر اصحاب الاتجاه الثالث المحافظ على عقائد الاسلاف وكانـوا اكثر عددا من سواهم واعتبروا حوادث التخريب والشك حوادث عارضـة ، وسجلوا على توابيتهم دعوات كثيرة اقتبسوا بعضها من دعوات كهان الدولة القديمة ، وبعضها من متون الاهرام التى سجلها الفراعنه على اهراماتهم منذ الاسرة الخامسة .

وألفوا بعضها بما يتناسب مع عصرهم ، والامانى التى أصبحـوا يرجونها لانفسهم وذويهم فى العالم الاخر . وتعرف هذه الدعوات اصطلاحا باسم متون التوابيت" واهم ظاهرة فيها هى تلقيب اصحابها لكل متوفـى

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٤١٢ .

بلقب اوزير أملا منهم في أن ينعم في عالم الاخرة بما نعم به أوزير من خلود ، وكان هذا التجديد ـ كما سبق القول تطورا ضخم المدلول ، فقد كـــان التلقيب بلقب اوزير قاصرا في الدولة القديمة على الفرعون المتوفى وحـده ، ولكن نتيجة لضعف الملكية في أواخر الدولة القديمة تلقب حكام الاقاليـــم بلقب أوزير ، فأصبحوا يرجون لانفسهم في الاخرة ما كان الفراعنة يرجونـــه لانفسهم ، ثم قلدهم في ذلك كبار الموظفين وكبار الكهان ، واصبح المصير الاوزيري شيئا فشيئا أملا شاعا لكل انسان (١) .

وعبر عن الاتجاه الرابع المجدد خيتي في نصائحه لابنه التي حضـــه فيها على الاستقامة والعدالة والخلق القويم وأنها اكثر قبولا عند الـــرب من ثور يقدمه رجل اعتاد على الشر .

وسنحاول فيمايلي تقديم بعض هذه البرديات . وسنبدأ ببرديـــــة أيبوور (٢) وهي محفوظة الان في متحف ليدن بهولندا ، وتعرف باســـــم ورقة ليدن رقم ٣٤٤ وقد نقلت الى هذا المكان عام ١٨٢٨م . وقد ضـــاع

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص٤١٣ .

(٢) انظر : Evman, A., op. cit., p. 92. FF.,
Gardiner, A.H., the Admonitions of Egptian sage.

أولها وآخرها مهشم وبها فجوات كثيرة في وسطها ، ولذلك كان من الصعب الاهتداء في أول الامر الى موضوعها الحقيقي ٠وكان المفهوم منها انهـــا ورقة تعليمية ، وقد بقيت الحال كذلك الى أن نشر الاستاذ لنجه "عالـم الاثار الدينماركي " مقال كشف فيه عن مضمونها الحقيقي ، اذ قال انهـا تنبوءات حكيم مصرى وذلك في عام ١٩٠٣ ولم تمض بضع سنين حتى قـام الاستاذ جاردنر بدراستها دراسة وافية وعلق عليها بشروح علمية ولغوية بقدر ما سمحت به حالة الوثيقة المهملة وما بها من الاخطاء التى لابد قد ارتكبها ناسخها ٠ ويرجح ان صاحب هذه البردية وهو أيبوور (ايبوالعجوز) قد عاش في أواخر عهد ببي الثاني أو في عهد أحد خلفائه الضعاف وله علاقة بأهل البلاط وتمكن من مقابلة فرعون نفسه وحاول ان يحمله هو وحكومتـــه تبعية ما انتهت اليه احوال البلاد على أيامه من ضعف ودمار ٠

ويفهم مابقي من هذه البردية ان صاحبها قسمها الى فقرات ،وحاول أن يبدأ كل مجموعة من فقراتها ببدايات متشابهة فبدأ فقراتها الاولـــى بأسلوب الحكاية وورد في بداية كل فقرة منها عبارة اصطلاحيه تعنى مـــا تعنيه عبارة "حقا قد حدث كذا وكذا " - وما يدعو الى الاسف ان بدايـــة هذه البردية كما سبق القول ، قد فقدت وهى الجانب الذى كان علـــى مايبدو يحتوى على الاحوال التى دعت الذلك الحكيم ا. ـــنى الادلاء بالتحذيرات الموجودة في هذه الوثيقة وفي قيام ايبوور بالقاء اتهام طويـــل مفعم بالغضب على حالة عصره ، امام حضرة ملك (لم يعرف اسمه بالتحقيق) وشهده بعض المجتمعين لدى الملك والذين يحتمل انهم كانوا حاشية ثم

ينتهى باسداء النصح لقومه فيحذرهم من الاهمال ويدعوهم الى الاصلاح ويلى ذلك رد قصير من جانب الملك ، وينتهى المقال بتعقيب أيبوور على الرد الملكى .. وتنتهى البردية بقصة طريفة بدأ يتحدث فيها عن والده الا أن هذه القصة فقدت من البردية تماما .

ومما لا شك فيه أن أيبوور كان مصلحا ، وكان يدرك مفاسد الحكم فى عصره لولا انه كان من طبقة ارستقراطية قديمة وكان يتمنى أن يتأتى اصلاحها من داخلها أو على يد فرعون حازم مصلح ، ولم يكن يستسيغ أن يفرض التغيير عليها عن طريق طبقة أقل منزلة منها ، ولهذا اختلط الاخلاص فى روايته بالمبالغة واختلط التحسر بالامل واختلط الخطأ بالواقع .

وتتضمن البردية فقرات نثرية وست قصائد شعرية ، وهذه تكون نواتها الحقيقية وتبتدىء كما وصلتنا بأن الحكيم قد أخذ فعلا فى تصوير مصيبة البلاد وقيام ثورة عنيفة عارمة ضد الاوضاع السياسية والاجتماعية التى اشتد فسادها فى عصره وصحبها فى البداية شىء من العنف ورغبة التنفيث والانتقام ، فأباح الثوار لانفسهم اقتسام املاك الملكية ومواردها وأملاك انصارهم ، وقلبوا أوضاع العاصمة رأسا على عقب ، ولم يستثنى أحد من ذلك حتى اولئك المكلفون بالحراسة ويصور ايبوور تلك الحالة بقوله : "يقول حراس الابواب : "فلنذهب لننهب " وثار القوم جميعا حتى أصحاب الحرف الهادئة كبائعى الحلوى وصانعى الجعة ويروى أيبوور ذلك بشىء من التهويل والمبالغة ، فيقول : "لقد اصبح الرجل ينظر الى والده نظرة

عداء . . وارتدى الفضلاء ملابس الحداد . . والرجل الفاضل يذهب بملابس الحزن بسبب مابقى بالارض" . . ثم يصور حالة مصر غداه الثورة بقوله : واصبح الاجانب مصريين فى كل مكان . . وربما كان مايقصده هنا أن الاجانب الذين توافدوا على مصر فى ذلك الوقت قد تجرأوا على أن يضعوا أنفسهم موضع المصريين فى هذا الانقلاب العام .

ويصف أيبوور فى قصيدته الاولى حالة البؤس العام التى عانت منها مصر من سرقة وقتل وتخريب وقحط وتدمير الادارات وطرد الموظفين ، والقضاء على التجارة الخارجية وانتشار الاجانب فى البلاد وانقلاب الاحوال الاجتماعية . ويبتدأ كل بيت من هذه القصيدة بعبارة تفيد معنى "حقا لقد " أو فى الحق وذلك اشارة الى وجود اشياء لايمكن تفنيدها ، ومما جاء فى هذه القصيدة "البلاد ملأى العصابات ، ويذهب الرجل ليحرس ومعه درعه " .

"حقا فان الوجه قد شحب ، وحامل القوس أصبح مستعدا والمجرمون فى كل مكان ، ولا يوجد رجل من رجال الامس" .

"حقا أن النيل فى وقت الفيضان ، ومع ذلك لايحرث أحد من أجله "

"حقا لقد صارت النساء عاقرات ، وانقطع الحمل ، واصبح الاله "خنوم" لا يسوى الناس بعد بسبب حالة الارض المضطربة . "

"حقا لقد اصبح المعوزون يمتلكون الآن أشياء جميلة ، ومن كان يخصف نعليه أصبح صاحب ثروة" .

"حقا ان القلب لثائر ، والوباء ثقد انبث فى كل الارض ، والدم صار فى كل مكان .. ولفائف المومياءات تتكلم ، وان لم يقترب الانسان منها .

"حقا لقد دفن رجال عديدون فى النهر ، فأصبح النهر قبرا ، وصار المكان الطاهر مجرى (كانت الجثث من الكثرة اصبح دفنها متعذرا ، ولذا فأنها القيت فى الماء كالماشية النافقة) .

"حقا لقد أصبح الحزن يملأ (قلوب) اصحاب الاصل الرفيع ، أما الفقراء فقد امتلؤا سرورا ، وأصبحت كل بلد تقول : فالنقص القوى من بيننا . "

"حقا لقد اصبحت الارض تدور كعجلة صانع الفخار ، وصار اللص صاحب ثروة" .

"حقا لقد سرى الدم فى كل مكان ، واصبح مجرى النهر قبرا ، وأصبح مكان الطهور فيه بلون الدم ، واذا قصده الناس ليشربوا منه عاقتهم جثث البشر وظلوا الى ظمئهم بالماء . "

"حقا لقد اصبحت التماسيح فى تخمه بما قد سلبت ، اذ يذهب الناس اليها عن طيب خاطر وحالة البلاد اصبحت سيئة ٠

"حقا لقد اصبحت الارض الحمراء منتشرة فى كل البلاد ٠ وخربت المنازل ونزل قوم أغراب من الخارج الى مصر ٠٠ (يقصد هنا أن الاجانب اصبحوا فى كل مكان) حقا ان الذهب واللازورد والفضه والياقوت والبرونز والمرمر ٠٠ تحلى جيد الجوارى ، والسيدات النبيلات يمشين فى طول البلاد وربات الخدور يقلن : ليس عندنا بعض الشيء لنأكل ٠٠ "حقا فان المواطنين قد ألقى بهم على أحجار الطواحين ٠٠ وهؤلاء الذين كانوا يرتدون الكتان الجميل أصبحوا يضربون ٠٠ واللائى لم يشاهدون نور النهار قد خرجن ٠٠ واللائى كن على أسرة ازواجهن ، اصبحن ينمن على مضاجع مقضة ٠٠ واصبحت السيدات يتألمن مثل الاماء ، ومغنيات الخدور اصبحت اغانيهن لاله الغناء انشودة حزن ٠

"حقا لقد أصبحت الخادمات من الاماء يوجهن السنتهن حيث شئن وعندما تتكلم سيداتهن فان ذلك يكون مملا لامائهن" يتضح من هذه العبارة أن ايبوور لم ينس بيئته التى انحدر منها ، فأخذ يتحدث عن انقلاب الاوضاع والطبقات ويقارن بين ماكان وماهو كائن ، ولم يكن من الهين عليه بطبيعة الحال أن تزول النعمة من قوم الى قوم أو من طبقة الى طبقة ٠

"حقا فان الفنتين وطينه وهما من ممتلكات الوجه القبلى اصبحتا

لا تؤديان الضرائب بسبب الحروب الداخلية . وهناك حاجة الى الفاكهة والفحم وكل أنواع التجارة ، وكل ماينتج الصناع.. فما فائدة وجود بيت مال بدون دخل .

"حقا لقد قضى على الفرح ، ولم يعد يقام ، بل أن الحزن هو الذى يتمشى فى طول لبلاد ممزوجا بالاسى .

"حقا فقد اصبح كل من العظيم والفقير يقول : "ليتنى كنت ميتا" والاطفال الصغار يقولون : "كان يجب عليه الا يجعلنا على قيد الجياة .

"حقا فان الذين كانوا فى "المكان الطاهر" قد ألقوا على قارعة الطريق واصبح سر المحنطين جهرا (يقصد أن موميات عليه القوم قد انتزعت من المقابر) .

"حقا فان الدلتا بأجمعها اصبحت غير محمية (كما كانت) والاعتماد على أرض الشمال اصبح (الان) طريقا معبدا . ولماذا يفعل الانسان؟ .. وسيقول حقا : لعن المكان الوعر . ولكن انظر فقد اصبح ملكا على السواء لمن يهملونه ومن يعرفونه ، واصح الاجانب مهرة فى صناعات الدلتا (يقصد ان مستنقعات الدلتا وبحيراتها التى كانت تعد اداة دفاع طبيعية اصبحت قليلة الجدوى اذ دخلها الاجانب فى عصابات واشتغلوا

بحرفتها " .

"حقا فان الرجل الاحمق يقول : "اذا عرفت أين يوجد الاله فانى أقدم له قربانا . "

"حقا فان كل قلوب الماشية تبكي والقطعان تندب حالة البلاد .

"وفى الحق لقد دمر ما كان مرئيا بالامس ، وقد تركت الارض لمتاعبها كما يقتلع الانسان منها الكتان ، والفقير فى شجى .. ليت آخر الناس يكون قد حل فلا حمل ولا ولادة ليت العالم يتخلص من الغوغاء وتنقص المشاحنات .

وفى الحق فقد انعدمت الغلال فى كل مكان ، وجرد القوم من الملابس والعطور والزيوت وصار كل انسان يقول : لم يبقى شيء .. وصار المخزن خاليا وحارسه قد صار ملقى على الارض ، وان ذلك لم يكن بالامر السار لقلبى وليت فى مقدورى ان ارفع صوتى فى هذه الاونة حتى كان يخلصنى من الالم الذى أنا فيه الان " .

"وفى الحق لقد سلبت كتابات قاعة المحاكمة الفاخرة ، واصبح المكان السرى مكشوفا وفى الحق لقد فتحت الادارات العامة ، ونهبت قوائمها ، وصار العبيد اصحاب عبيد " . وفى الحق لقد ذبح الموظفون وسلبت قوائمهم ، ودمرت دفاتر كتاب الحقيقة واصبحت غلال مصر ملكا مشاعا .

"وفي الحق لقد وضعت قوانين قاعة المحكمة في البهو . وصار القـــوم يطئونها في الطرقات ويمزقها الفقراء في الازقة" .

"وفي الحق لقد أصبحت صالة العدل العظمى مكتظة والفقراء يروحون ويجيئون في البيوت العظيمة" .

ويصور ايبوور في قصيدته الثانية الحوادث التي جرت ابان الثورة ومن ثم فانه يبتدىء هذه القصيدة بتكرار كلمة (انظر) ليضع امامنا بجلاء حوادث قد حدثت في الحال أو لا يزال جاريا وقوعها وما جاء فيها :

"انظر أن النار قد اشتعل لهيبها عاليا ، ويندلع شرارها ضـــد اعداء البلاد .

"انظر . . لقد حدثت امورا لم تحدث منذ وزمن بعيد مضى ، اذ اختطف الفقراء الملك (يقصد بذلك نهب القبر الملكي) .

"انظر . . لقد آل الامر الى ان يظهر الناس العداء لصل رع الذى جعل الارضين في سلام .

"انظر . . ان سر الارض الذى لا يعرف أحد حدوده (الامور السرية التي لا يعرفها احد غير الملك) قد افشي ، واصبح مقر الملك رأسا على

عقب فى لحظة .

"انظر .. ان الارض ملأى العصابات والرجل القوى يغتصب التعساء متاعه .

"انظر .. ان الموتى قد ألقى بهم على قارعة الطريق ، وذلك الذى لم يكن فى مقدوره أن يضع لنفسه كفنا اصبح الان صاحب ثروة .

"انظر .. لقد حدث هذا بين الناس فمن لم يكن فى مقدوره ان يقيم حجرة أصبح الان يملك فناء مسورا .

"انظر .. ان العقيلات الشريفات يرقدن الان على الفراش الخشن والامراء ينامون فى المخازن .. ومن لم يكن ميسرا له أن ينام على الجدران اصبح صاحب سرير .

"انظر .. ان الرجل الغنى اصبح يمضى الليل وهو ظمآن ، ومن كان يستجدى منه الحثالة اصبح يملك الجعة القوية .

"انظر .. أن أولئك الذين كانوا يملكون الملابس اصبحوا فى خرق بالية ومن كان لا ينسج لنفسه اصبح يمتلك الكتان الجميل .

"انظر .. ان من كان يجهل الضرب على العود اصبح يملك عودا ،

ومن كان لا يغني له أحد اصبح الان يثني على الهة الغناء ٠

"انظر ٠٠ ان من كانت لا تمتلك صندوقا اصبحت تمتلك صوانا ، وتلـك التي كانت تشهد وجهها في الماء اصبحت تمتلك مرآة ٠٠

"انظر ٠٠ ان من كان يملك زوج ثيران اصبح يملك ازواجا ٠٠ ومن لـم يكن في مقدوره أن يحصل على ثيران للحرث أصبح يملك قطعانا ٠

"انظر ٠٠ ان من كان يمتلك اتباعا اصبح رب عبيد ٠٠ ومن كان من علية القوم الان ينفذ اوامر غيره ٠

"اما القصيدة الثالثة فمعظم ابياتها ممزقة ٠٠ ونقرأ فيما تبقـى منها :

ان الدلتا تبكي ، ومخزن الملك اصبح مشاعا لكل فرد ٠ ولا ضرائب تجبى للقصر كله ومع ذلك فان له قانونا شعيرا وقمحا ودجاجا وسمكـا ، يملك المنسوج الابيض والتيل الجميل والنحاس والزيت ، ويملك الحصيـر والبسط ، ومحفة وكل المحاصيل الجميلة ، ٠٠ فماذا لم يعلن ذلك الى الان في القصر فحينئذ ٠٠

ولم يتبق من القصيدة الرابعة الانتف قليلة ، وتبتدىء القصيـدة

الخامسة بكلمة "تذكر" وهى خاصة بعبادة الالهه ، وكيف كانت تعبد فيما مضى ، وما سيئول اليه أمرها فى المستقبل ويختتم ايبوور هذه القصيدة بفقرة وجهها الى الملك وجاء فيها :

ان القيادة أو الفطنة والصدق معك ، غير ان ماتبثه فى طول البلاد هو الفوضى وغوغاء الذين يتخاصمون . انظر ان الفرد يرمى الاخر .. واذا سافر ثلاثة رجال على طريق واحد فلايوجد منهم الا اثنان ، اذ ان العدد الاكبر يذبح العدد الاصغر أيوجد راع يحب الموت ؟

"ولكنك ستأمر أن تجاب . . فالاكاذيب تتلى عليك ، والبلاد قش ملتهب .. وكل هذه الاعوام ارتباك ..

ثم يعنف ايبوور الملك قائد له : "وليتك تذوقت بعض هذه المصائب واذا لقصصت (خبرها بنفسك) .

وفى القصيدة السادسة يصف ايبوور الوقت السعيد الذى يحفظه المستقبل ومما جاء فيه :

على أنه من الخير أن تشيد ايدى الناس الاهرام وتحفر البرك ، وتنشأ للالهة مزارع فيها اشجار .

على انه من الخير أن يكون السرور فى أفواه القوم ، وحكام المدن يقفون وينظرون الى الافراح فى بيوتهم وهم مرتدين جميل الملابس.

على انه من الخير أن تكون الاسرة وثيرة ، ووسادات العظماء محمية بالتعاويذ ، ورغبة كل انسان تحققت بسرير مظلل خلف باب مغلق (فلا يحتاج) الى النوم فى الاعشاب .

وبعد سلسلة فجوات فى ورقة البردى تأتى فقرة لابد انها كانت تحتوى على جواب الملك الذى يجيب عليه الحكيم ايبوور بعد ذلك ، ويبدو أن الملك حاول أن يدافع عن نفسه ، ورغم انه كان على جهل مما جرى ، وانه عمل على ارضاء الناس حين علم به .. فرد أيبوور كما يقول راوى القصة ، على جلالة الملك بقوله :

قد يكون الجهل مريحا للنفس ، وربما فعلت شيئا طيبا لقلوب الناس واحييتهم به ، ولكنهم لا يزالون يغطون وجوههم فزعا (مما يأتى به) الغد

وبعد ذلك يبدأ ايبوور يقص قصة رجل وابنه ، ولكن لم يحفظ لنا سوى بدايتها ويبدوا من الكلمات القليلة المتناثرة التى بقيت منها انها كانت مستمرة - فى وصف الحالة التى ترددت على البلاد فيها فى تلك الفترة .

وفيما يتصل بالبردية الخاصة بالنصائح الموجهة من الملك "خيتى" الى ابنه مرى كارع(١) فهى تعرف باسم "بردية بطر سبرج" وهى الآن محفوظة بمتحف لينجراد بالاتحاد السوفيتى تحت رقم ١١١٦ (أ) ، الا أن هذه النسخة ليست النسخة الوحيدة ، ذلك لان النص قد جمع فى ثلاث برديات ، الواحدة فى لينجراد والثانية فى موسكو والثالثة فى كوبنهاجن ، ويرجع تاريخها جميعا الى حوالى نهاية الاسرة الثامنة عشر وهى جميعا معقدة بسبب الفجوات والغموض من كل نوع ، ولو بقى الجزء الاول (المحفوظ فى لينجراد) لكان اكثر تماسكا وحفظا ولكان أهمها جميعا .

وقد اختلف المؤرخون فى صاحب هذه التعليمات أو الارشادات فريق يرى أنه (خيتى الثالث) ، وفريق يرى انه (خيتى الرابع) وبعضهم يرى أن صاحبها من فراعين الاسرة التاسعة بينما يرى آخرون انه من فراعين الاسرة العاشرة . وان كان يرجح انه كان خيتى الرابع احد ملوك الاسرة العاشرة الاهناسية .

(1) Breadted, J.H., the Dawn of conscience, p. 154 FF.,
Gardiner, A.H., in J.E.A., vol.1, (1914), p. 20 FF.

تكاد تعاليم الملك الاهناسى ان تكون مرآة لايام عهده ، فهو قد اصطدم فى حروب مع أهل الجنوب دارت رحاها حول اقليم طيبة ، وعلى مقربة من أبيدوس احدى عواصم البلاد الدينية العريقة ، فقص علينا كيف انه انقض على المدينة انقضاض الصاعقة .. فخر عليها ، واخذها كما تأخذ الغمامة الماطرة ما تحتها من الارض . فأذا الديار قد خربت ، واذا القبور بعثرت ، ثم سرعان ما يحدثنا الفرعون عن ندمه الذى أدمى نفسه ثم أخذ يعتذر من هول الجرم حين ينسبه الى جهل عساكره ، ويبدو أن أمير طيبة قد انتهز هذه الفرصة فأخذ يؤلب عليه القوم ، ويثير عليه النفوس ويغرى به الناس ، حينما اتخذ من انتهاك حرمات القبور فى أبيدوس سبيلا للضرب على عواطف الناس وطرقها بمطارق من حديد ، وظاهر من تعاليم الملك الشيخ انه كان يتذوق لفعلته هذه كثيرا من المرارة بين الحين والحين ثم يعود فيعزى نفسه عن هولها معتذرا بأنها قد وقعت من وراءه وانه لم يتنبأ الامر الا بعد وقوعه ، ولم يعلن بالمأساة الا بعد أن تمت ، ولم يعرف بأمر النكبة الا بعد فوات الاوان ، انظر اليه حين يقول لابنه فى ارشاداته (حدثت كارثة فى عصرى ، غزى اقليم ثنى (ابيدوس) من جراء خطأى هذا بعد فوات الاوان ، وعلمت أننى ادفع ثمن خطأى" .

ويحض الفرعون ابنه على عمل الخير فيقول له (هدئ من روع الباكى ولا تظلم الارملة ولا تحرم انسانا من ثروة ابيه ، ولا تطرد انسانا من عمله وكن على حذر ممن ينتقم مما وقع عليه من ظلم ، لا تقتل فان ذلك لا يكون ذا فائدة لك ، بل عاقب بالضرب والحبس فان ذلك يقيم دعائم البلاد الهم من يثور

عليك وتتضح لك مقاصده ، فان الله يعلم خائنة القلب ، والله هو الذى يعاقب أخطاءه بدمه ، لا تقتل رجلا اذا كنت تعرف جميل مزاياه لا تقتل رجلا كنت تتلوا معه الكتابات (أى زميلك فى الدراسة) .

ويوصى ابنه بتقريب زوى المواهب (لا تميز بين ابن شخص عظيم وبين ابن شخص فقير ، بل قرب اليك أى انسان بسبب عمل يديه) .

ولا ينسى الفرعون أن يحذره من الاعتداء على آثار السابقين (لا تحدث ضررا لمبنى اقامه غيرك ، واقطع احجارك من محاجر طره ، لا تبن قبرك من أحجار الخرائب ، وان تدخل ما اقامه غيرك فيما تريد أن تقيمه ، انظر أيها الملك يا من أريد له الدوام ، انه لا يمكنك ان تتقاعس وتنام مطمئنا الى قوتك وتعمل ما يرغب فيه قبلك اعتمادا على ما فعله ما قبلك ، فتظن أنه لا يوجد اعداء لك داخل حدودك) .

ولا ينسى الفرعون أن يوصى ابنه بالاهتمام بالفصاحة وحسن التعبير ولعمرى انه لم يكن فى ذلك مجددا ، ففى تعاليم "بتاح - حتب" يظهر لنا تقدير القوم للفصاحة تقديرا كبيرا ، .

وهكذا نرى الملك الاهناسى يقدم لابنه "مرى كارع" النصيحة التالية : (كن صانعا للحديث حتى تصبح قويا ، فاللسان كالسيف للرجل والحديث اكثر قوة من أى حرب ، لا يستطيع احدا أن يخدع الرجل الذكى القلب ،

أن ماعت التأتى اليه كما جاء فى أقوال السابقين ، فعليك اذا أن تقلد أجدادك وتأمل أن تكون كلماتهم مدونة فى المخطوطات فافتحها لتقرأها ، وقلد معرفتهم وبتلك الطريقة يسير صاحب الصناعة على علم) .

لقد كانت عصور ماقبل الثورة الاجتماعية تهتم ببناء وصيانة ضريح رائع يبقى خالدا على مر السينين ، لانه - فى نظر هذه الاجيال الخالية - كان ضمانا للخلود بل أن فقدان القبر كان فى نظر المصريين ارهب كارثة يمكن أن تحل بمصرى ، ولهذا اتخذها الملوك أقصى عقاب ينزل لمن يمكن أن يشك فى ولائه للفرعون ، حتى أن احد الحكام حذر أولاده من هذا الجزاء الاليم ، اذ يقول : (لاقبر لانسان خارج عن الملك ان جثته سيلقى بها فى الماء) وتقوم الثورة وتبقى على مثل هذا النصب ، فنرى الملك ينصح ابنه باقامتها "زين مثواك الذى فى الغرب ، وجمل مقعدك فى الجبانة" ، غير ان عصر الثورة لم يقتصر على الوسائل المادية كسبيل للسعادة فى الحياة الثانية . وانما أصبح للاخلاق فى هذا العصر شأن عظيم فى تقرير مصير الانسان بعد مماته وبذا أصبحت الاهمية الكبرى للوصول الى الخلود هو العمل الصالح ، ويقدم لنا الملك الاهناسى أمثلة كثيرة على ذلك ، ففى تعاليمه التى وجهها الى ابنه "مرى كارع" جاء الحث على نبذ المادة فى ثلاث فقرات (لاتكن شريرا ، فالصبر خير ، اجعل بيت ذكراك خالدا يحبك الناس) وذاك عندما أراد أن يقارن ذلك العمل الاخلاقى ببناء بيت الذكرى من الحجر (اجعل الناس يحبونك فى الدنيا فالخلق الطيب ذكرى للناس ، اما الفقرة الثالثة فيقول فيها ان الخلق

الطيب أفضل عند الله من القرابين التى تقدم لاستعطافه (ان فضيلة الرجل المستقيم أحب (عند الله) من ثور (يقدم قربانا) من الرجل الظالم.

وهكذا .. اعتقد القوم انه يجب على الانسان أن يوجه عنايته لاقامة الشعائر الدينية لينال عطف الاله ، غير أن ذلك لن يغنى عنه من الله شيئا مالم تسنده اعمال طيبة ، وفى جملة الملك الاهناسى التى تؤكد على أن الاله يسر بالخلق الفاضل أكثر مما يسر للقرابين الكثيرة ، والتى تعد من أنبل ما جاء فى التفكير الخلقى المصرى القديم ، ففى هذه الجملة دلالة على أن للفقير ما للغنى من حق فى رعاية الله ، وذلك لان أكرمهم عند الله اتقاهم وليس اكثر قربانا ، وهكذا فان السعادة فى الاخرة لم تعد تتوقف على قبر يبنى أو على قرابين تقدم ، ولكنها فى العمل الصالح ، والعدل بين الناس والعطف على الناس والعناية بهم ، فهناك من تعاليم الملك الاهناسى قوله : (أقم العدل لتثبت به مكانتك فى الارض ، وواسى الحزين ، ولا تحرمن رجلا من ميراث ابيه ، ولا تضرن الاشراف فى مراكزهم".

كان المصرى القديم يعتقد أن الميت سوف يحاكم أمام اله الشمس وذلك استجابة لطلب انسان كان الميت قد اخطأ فى حقه ، وليس حسابا على شىء فاذا لم يطلب الانسان للمحاكمة بهذه الصفة ، فمن المحتمل الا يتعرض فى الحياة الثانية لمحاكمة اخرى ، ثم ما لبث أن ولدت محاكمة (أوزير) التى تنتظر كل انسان لتحاكمه على ماقدمت يداه من تصرفات ، وفقا لقواعد الاخلاق وهكذا اصبح من مستلزمات العهد الاقطاعى أن

الانسان لابد ان يجتاز امتحانا امام هذه المحكمة لينال السعادة المنشودة في العالم الاخر وفي تعاليم الملك الاهناسي اشارة الى ذلك فهو يقول :
(انك تعلم ان القضاة الذين يحاسبون المذنب لايرحمون الشقي يوم المحاكمة وتسوء العاقبة ان كان المتهم هو الواحد العاقل — وربما رب الحكمة الذى يدير المحاكمة يوم القيامة — لاتضع ثقتك في طول السنين ، فهم ينظرون الى مدة الحياة كساعة واحدة ، ثم يبعث الانسان ثانية بعد الموت ، وتوضع اعماله بجانبه كالجبال ، لان الخلود مثواه هناك (أى العالم الآخر) ، والغبي من لايهتم بذلك أما من يأتي اليهم دون أن يرتكب اثما ، فانه سيثوى هناك ، ويمشي مرحا مثل سادة الابدية اسم "الابرار المتوفين" .

وهكذا يحذر فرعون اهناسية ابنه من يوم الحساب ، فهو يوم لاينفع فيه مال ولابنون خاصة اذا كان الذى سوف يحاسب الناس هو الواحد العاقل ويحذره من أن يغتر بطول السنين ، فانها في نظر القضاة وكأنها ساعة ثم يبعث ثانية ليجد اعمال كلها مكدسة بجواره (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يرى ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) .. وهكذا تكون نتيجة المحاكمة فالذى يصل الى آخرته وقد عمل الخير في دنياه فانه سيثوى هناك مرحا مع الابرار المتوفين ومن لايكترث لذلك فهو غبي أحمق ، وسيكتب له سوء المصير .. وهكذا استطاع المصريون القدامى ان يقتربون الى حد ما — من المبدأ الذى قررته الكتب السماوية ، وهو ان الاخرة — نتيجة عمل الدنيا " فمن عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد " .

ويرى هذا الملك الصالح أن الحياة الصالحة والارض هي العماد الذى تركز عليه الحياة فى العالم الاخر (ان الروح تذهب الى المكان الذى تعرفه ولاتحيد فى مسارها عن طريق اسمها) ولا شك ان الملك الاهناسي يقصد هنا طريقها المعتاد للخلق القيم الكريم ٠

وكان المصريون يؤمنون بأن أهم شيء في حياة الانسان هو علاقته بربه فى الحياة الدنيا ، وفى الحياة الاخرى ، ومن هنا رأينا حكيمنا الاهناسى ينصح ابنه قائلا :

(يمر الجيل متنقلا الى جيل آخر بين الناس ، والله العليم بالاخلاق قد أخفى نفسه ٠٠وانه الواحد الذى يبهر بما تراه الاعين فاجعل الله يخدم بالصورة التى سوى فيها ، سواء أكانت من الاحجار الكريمة أم من النحاس لانه كالماء الذى يحل محله الماء ، اذ لايوجد مجرى يرضى لنفسه أن يبقى مختبئا بل يكتسح الذى يخفيه" ٠

وهذه الكلمات الهامة التى جاءت على لسان رجل من قادة الفكر فى مصر منذ اكثر من أربعة آلاف عام مضت ، ليست الا محاولة منه ليميز بين الاله وبين الصنم التقليدى الذى كان يوجد فى المعبد ويظهر فى الاحتفالات الرسمية ، ويهتف له الشعب ، ولكن كينونه الاله كالماء يكتسح السد امامه ، ولايمكن أن يبقى محبوسا فى الصورة المحسوسة (أى الصنم) بل يبهر الناس بما تراه العيون وهذا الاله العليم بالاخلاق قد اخفى نفسه ،

فلايمكن ادراكه كجسم من الماء يمتزج في جسم آخر مثله من الماء ومن الجائز ان حكيمنا الملك الاهناسي يريد بعبارته (كالماء الذى يحل محله الماء ..الخ) ، ان الاله الذى شبه بالماء اذا دخل في أي جسم سواء أكان من الاحجار الكريمة أو من النحاس أو من أى مادة أخرى ، لابد انه واجد لنفسه منفذا يخرج منه أو يظهر قوته ولذلك فان تصوير الاله في أى شيء مادى ليس بالامر الهام .

ولدينا في تلك الوثيقة (ارشادات الى الملك مرى كارع) سلسلة أفكار عن اله الشمس نجد فيها الفكر المصرى القديم يقترب من عقيدة التوحيد ، اذ نرى الكاتب يعترف بوجود طائفة من الالهة يقومون مقام القضاة في عالم الاخرة وبذلك يبتعد بعدا واضحا عن الاعتراف بوحدانية الاله ، على انه من جهة اخرى يقترب قربا واضحا من الاعتراف بالتسلط الخلقي لاله واحد لدرجة ان كلمة الله صارت تدل في مواضع — مع شيء من التناقض — على مدلولها الحقيقي ، ويمكن أن تلاحظ صوغ هذه التأملات بصيغة التوحيد زيادة على ماذكرناه في الصورة الاتية التى صور فيها الحكيم الاهناسي الخالق والحاكم الرؤف في خاتمة تأملاته حين يقول (١) :

(ان الله قد عنى عناية حسنة برعيته فقد خلق السموات والارض وفق رغبتهم وخفف الظمأ بالماء ، وخلق الهواء لتحيا به انوفهم ، وهم الصورة التى خرجت من اعضائه ، وهو يرتفع الى السماء حسب رغبتهم ، وخلق النباتات والماشية والطيور والسمك غذاء ، وهو كذلك يعاقب فذبح

(١) سليم حسن : الادب المصرى القديم ، جـ١ ، القاهرة ١٩٤٥ ، ص ١٩٥ ـ ١٩٦

اعداءه ، وعاقب اطفاله بسبب ما دبروه حينما عصوا أمره ويضع النور حسب رغبتهم ، كذلك جعلهم ينامون ويسمعهم عند ما يبكون وجعل لهم حكاما في البيضة (أى وهبو الحكم قبل الولادة) لتحمى ظهور الضعفاء منهم) .

ويحاول الملك الاهناسى فى نصائحه لابنه ان يوازن بين تصوره السامى للزاد الخلقى ، وبين التقاليد الموروثة الخاصة بقيمة العتاد المادى ، ولذلك يقول لابنه : ((اقم آثار باقية للاله لانها تجعل اسم صانعها يبقى ، ودع المرء يعمل مافيه صلاح روحه بتأدية الطهور الشهرى ، وبلبس النعلين الابيضين وزيارة المعبد واماطة اللثام عن الرموز الدينية ، والدخول الى قدس الاقداس ، وأكل الخبز فى المعبد ، وضاعف القربان ، واكثر من عدد الرغفان ، وزد فى القربان الدائم لان فى ذلك خيرا لفاعله ، واجعل آثارك ثابتة حسب ثروتك ، لان يوما واحدا (أى عمل يوم واحد) قد يبقى الى الان ، ورب ساعة واحدة تنفع فى المستقبل والله عليم بالفرد الذى يقوم له بأية خدمة) على أن محاولة الموازنة بين مايحتاج اليه الانسان من مادة ، ومايحتاج اليه من اخلاق ظاهرة فى الكلام الذى اقتبسناه من قبل ، عند ما كان الملك المسن يقول : ان فضيلة الرجل المستقيم أحب عند الله من ثور الرجل الظالم ، ومع ذلك قرب الاله ليكافئك بالمثل بقربان تزود به مائدة القربان ، وبالنقوش لان ذلك هو مايخلد اسمك ، والله يعلم من يقرب له القربان) .

فنجد هنا اعترافا صريحا عن قيمة الحياة الصالحة فى نظر الاله ، وهو

الذى لايقبل أن تقوم الهدايا عنده مقام الاخلاق .

ولا يريد الملك الشيخ ان ينتهى من تلك النصائح السياسية حتى يوصى ولده بقول الصدق حين يقول له : (قل الصدق فى قصرك يرهبك أمراء البلاد وحكامها فى الاقاليم ، وان من صلحت أحواله والبيت مرهوب بمن فيه).

ويبدو أن الملك الشيخ كان كلما تقدمت به الايام كثيرا ، كلما كثر تفكيره فى ماضيه ، وما أنفق فيه من تقتيل وتشريد فى سبيل تأمين عرضه وتحقيق ما كان يطمع اليه من نفوذ وسلطان ، وكانه كان يشعر بأنه قتل كثيرا وظلم كثيرا فأخذ يذكر الله كثيرا ، ويحذر ولده من ارتكاب جريمة قتل أو الوقوع فى خطيئة الظلم ، لان الله انما يرقب الجانى فيملى له ، ثم يأخذه من وراء ذلك بعذاب أليم ، يقول الاله : (انى لمنتقم وسأخذ كل بذنبه فلكل امرئ ماسعى ، وحسابه فى الاخرة يوم يأخذ قضاته من الظالم للمظلوم) .

ثم يمضى الرجل فى وصايته ، فيتختمها بمثل هذه النصائح التى تصور الرجل مستغفرا تائبا عابدا خائفا مترقبا منتظرا مصيره عند قضاء يوم القيامة .

أما اهمية البردية كوثيقة تاريخية ، فهى تعطينا صورة للحكام

الاهناسيين الذين كانوا يتمتعون بقسط وافر من الثقافة ـ أو على الاقل تعطينا فكرة على ان صاحب هذه الارشادات كان ملكا حكيما ـ وهو رجل ذو عقل راجح مفكر كما انه في نفس الوقت رجل قلق متعب انهكته الشيخوخة ـ واضعفته أحداث السياسة القاسية ـ التي مر بها في حياته والتي لم تعد سنه تطيق احتمالها كما انها تعطينا صورة عن السياسة في العصر الاهناسي ، أو على الاقل تعطينا فكرة ـ وان كانت غير كاملة تماما ـ عن الحرب الاهلية التي دارت بين الفريقين الاهناسي والطيبي على الارض المقدسة في ابيدوس ـ كما تعطينا فكرة عن مدى نجاح الفرعون في طرد الاسيويين من الدلتا .

وتمدنا الوثيقة بأفكار نبيلة وجديدة على التفكير المصري واهمها : نغمة التواضع الجديد في حديث الملك الاله ، والمناداة باختيار الموظفين على اساس من الكفاءة الشخصية ، وليس على أساس من حسب أو نسب ، ومع ذلك فانها تنادي بعدم اهمال الاسر الشريفة ، ثم هناك الدعوة الى العمل الصالح فهو وليست الوسائل المادية التقليدية ـ طريق السعادة في الاخرة ، كما نادت الارشادات بوجود محكمة بعد الموت لن ينقذ الانسان منها ـ مهما كان الا من عمل عملا صالحا كذلك حثت التعاليم الملك "مري كارع" على ان يكون قدوة حسنة لموظفيه ، وان يقول الصدق ليهابه أمراء البلاد والحاكمين .

والوثيقة بعد ذلك كله رغم انها نصائح سياسية في الدرجة الاولى

فهى قطعة أدبية اخرى من قطع ذلك العصر الذى وصل فيه فن الكتابة درجة عالية حتى أن الادب فى ذلك العصر يعد من أروع ما أنتجته مصر الفراعنة من أدب .

وتوجد اغنية الضارب على العود فى بردية هاريس رقم ٥٠٠ المحفوظة فى المتحف البريطانى ، وقد ذكر معها انها كانت مكتوبة على جدار مقبرة الملك انتف من الاسرة الحادية عشرة فوق ضارب العود ، كما نراها منقوشة كذلك فى مقبرة "نفرحتب" فى طيبة من الاسرة الحادية عشرة كذلك وموضوعها هو : الاغنية التى كانت فى منزل الملك "انتف" المتوفى أمام المغنى ومعه القيثارة ، أما عنوان الاغنية فهو : كل واشرب ، وكن فرحا ، لاننا سنموت غدا ، وجاء فيها :

تمر الاجيال وتأتى مكانها (أجيال) اخرى منذ ايام الذين عاشوا فى السلف يوقظه الاله (رع) فى الصباح ويغيب اتوم فى الغرب .

يولد الناس ، وتحمل النساء ، وتستنشق كل انف من الهواء وعندما يشرق الصباح نرى اولادهم فى اماكنهم .

ان الالهه (يقصد الملوك) الذين عاشوا من قبل فقد استقروا فى اهراماتهم وكذلك النبلاء والمبجلون من الناس .

ان الذين بنوا لانفسهم قصورا ، لم يبق شيء من بيوتهم ، فما الذى حدث لهم ؟ لقد سمعت حكم "ايمحتب" و"حور ددف" اللذين يتحدث الناس بأقوالهما فى كل مكان اين اماكنهم الان ؟

لقد تهدمت جدرانهم وتحطمت مساكنهم وأصبحت كأن لم تكن . ولم يأت أحد من هناك فيقص علينا ما أصبحوا عليه ويخبرنا عن مصيرهم فتطمئن قلوبنا وترتاح ، حتى نسرع ايضا الى المكان الذى ذهبوا اليه تمتع واجعل قلبك ينسى اليوم الذى سيدفنوك فيه .

ارم بكل الاحزان وراء ظهرك ، وفكر فى السرور ، حتى يأتى ذلك اليوم الذى تصل فيه الى ميناء تلك الاراضى التى تحب الهدوء . سر وراء رغبات قلبك طالما كنت حيا ، دع العطر فوق رأسك ، والبس خير انواع ملابس الكتان ، دع الغناء والموسيقى امام ناظريك واكثر مما لديك من ملذات ، ولا تجعل قلبك ينقبض ولا تحمل نفسك الهم حتى يأتى يوم الندب عليك . اقضى يوما سعيدا ولا تشغل نفسك بشيء .. استمع الى :

لا يستطيع أحد ان يأخذ امواله معه ولن يعود ثانية من الموت .

ويبدو واضحا من هذه الاغنية - كما سبق القول - انها تدعو الى الاستمتاع بالدنيا ، ونبذ الهموم ، بل التشكيك فيما ينتظر الناس فى العالم الاخر .

أما موجة التشاؤم واليأس الذى ظهرت ابان الثورة فتتضح فى حوار المتعب من الحياة أو اليائس من الحياة ، وتسمى احيانا نزاع بين رجل وروحه وهى توجد فى متحف برلين ، ونشرها ارمان عام ١٨٩٦ ، ثم اعاد ترجمتها مرة آخرى فى كتابه الذى نشره عن أدب المصريين القدماء وادخل تعديلات على ترجمته الاولى ، وفى عام ١٩٥٠ نشر "جون ويلسون" ترجمة لها باللغة الانجليزية ، والنسخة الموجودة حاليا من هذه البردية ترجع الى عصر الدولة الوسطى ، ويرجح انها منقولة عن نص أقدم أيام الثورة الاجتماعية (١) .

وتتكون البردية من مقدمة طويلة بليغة تتضمن حوارا فلسفيا بين اليائس من الحياة وروحه وأربع قصائد شعرية . ويشير موضوعها الى الحالة والتجارب الباطنة التى جربتها شخصية معذبة كانت تتألم مما لحق بها من الظلم وسوء الطالع وهذه تعتبر تجربة روحية وشعور شخصى نحو الحياة فى تلك العصور القديمة .

وصاحب هذا الحوار رجل اصابه سوء الحظ والمرض ، فابتعد عن اهله واصدقاءه وسرق جيرانه متاعه ، ولم يسمح له بالدفاع عن حقه فلوث اسمه ولطخت سيرته ، وهو الجدير بالاحترام . ونتيجة لهذه الحالة التى مر بها ، فكر فى الانتحار ، الا ان روحه لم توافقه على هذه الفكرة لخوفها الا تجد طعاما فى القبر بعد الموت . وحدث حوار بينه وبين روحه ،

(1) Wilson,J., in ANET.,
Erman, A., op. cit., p. 86 FF.

ونجده فى هذا الحوار يستحلف روحه ان تقف بجانب نعشه وان تحتفل بجنازته نظرا لعدم وجود احد من الاحياء يقوم بذلك الا أن روحه أبت عليه الانتحار بأى شكل كان وأخذت تصف له فظائع القبر وتعدد أهواله .

وتصف المقطوعة الاولى مقت العالم له بغير حق . وجاء فيها : انظر ان اسمى ممقوت اكثر من رائحة اللحم النتن فى يوم صيف حار .. انظر ان اسمى ممقوت اكثر من مقت صيد السمك فى يوم صيف حار .. انظر ان اسمى ممقوت اكثر عفونة من قاذورات الطير فى يوم صيف حار .. انظر ان اسمى ممقوت اكثر من رائحة السمك واكثر من شواطىء المستنقعات عند مايصطادون عليها . انظر .. ان اسمى ممقوت اكثر من رائحة التماسيح .

انظر .. ان اسمى ممقوت اكثر من زوجة يقال عنها الاكاذيب لزوجها .

وفى قصيدته الثانية يذكر لنا رأيه فى الناس ، وهو رأى ملىء بالتشاؤم جدير بشخص يائس من حياته وصمم على الانتحار ، فهو لم يجد فيهم سوى الرشوة والخيانة والظلم وعدم الاخلاص. واستهل كل مقطوعة من هذه القصيدة بجملة استفهامية كان الغرض منها التوبيخ أو التحقير وهى "لمن اتكلم اليوم" وربما كان قصده بذلك ان يشير الى اى صنف من هؤلاء الناس الذين يخاطبهم ، ولقد كان الجواب الذى يعقب كل استفهام دليلا للغرض الذى اراده . وقد جاء فى هذه القصيدة :

لمن اتكلم اليوم ؟ الاخوة شر واصدقاء اليوم ليسوا جديرين بالحب ٠

لمن اتكلم اليوم ؟ فالقلوب ملآى بالجشع وكل انسان يغتال متاع جاره ٠

لمن اتكلم اليوم ؟ فالرجل المهذب مات والصفيق الوجه يذهب في كل مكان ٠

لمن اتكلم اليوم ؟ فالرجل الطيب اصبح خبيثا وأصبح الخير ممقوتا في كل مكان ٠

لمن اتكلم اليوم؟ فالذى يستفز غضب الرجل الطيب بأعماله الشريرة يجعل كل الناس يضحكون حينما تكون خطيئته شنيعة ٠

لمن اتكلم اليوم ؟ لا يذكر أحد الماضي ولن يفعل أحد الخير ٠

لمن اتكلم اليوم ؟ الاخوة شر والانسان صار يعامل كالعدو رغم صدق ميوله ٠

لمن اتكلم اليوم ؟ اذ لا ترى الوجوه وأصبح كل انسان يلقى بوجهه في الارض اعراضا عن اخوانه ٠

لمن اتكلم اليوم ؟ والقلوب شرهه والرجل الذى يعتمد عليه اليوم لا قلب له ٠

لمن اتكلم اليوم ؟ فالصديق الذى يعتمد عليه اصبح معدوما واصبح يعامل الانسان كأنه رجل مجهول رغم انه قد جعل نفسه معروفا

لمن اتكلم اليوم ؟ فانى مثقل بالشقاء وينقصنى خل وفى ٠

لمن اتكلم اليوم ؟ فالخطيئة التى تصيب الارض لا حد لها ٠ ،

وفى قصيدته الثالثة يمدح الموت ، ويلاحظ انها لا تحتوى على ايــة

فكرة عن الاله ولكنها تبحث عن التخلص السار من آلام الماضي دون أن تتطلع الى المستقبل وقد جاء فيها :

ان الموت امام ناظرى اليوم ، مثل شفاء رجل مريض ، مثل رائحة العطر .. مثل الخروج الى الهواء الطلق بعد سجن طويل ..
مثل الخروج تحت ظل الشارع فى يوم عليل الهواء .
مثل رائحة زهور السوسن .
مثل الجلوس على شاطىء الانشراح .
ان الموت امام ناظرى اليوم .
مثل السماء عندما تصفو .
مثل حصول الانسان على مالم يكن يتوقعه .
مثل اشتياق الرجل لرؤية بيته .
بعد ان قضى سنوات طويلة فى الاسر .

وتتكون القصيدة الرابعة من ثلاث ابيات ، موضوعها النظرة العاجلة الى المستقبل النهائى الذى بلم تتعرض له الانشودة السابقة ، وهى تلتجأ فيها الى العدالة فى الحياة الاخروية ، وهو بذلك قد جعل الموت طريقا الى الدخول فى قاعة المحاكمة الالهية ، ولذلك كان سعيه الى بلوغ تلك النهاية سعيا سريعا لا هواده فيه .

وقد جاء فيها :

ان الذى هنالك سيقف فى سفينة الشمس ويجعل احسن القرابيـــن هنالك تقدم للمعابد . أن الذى هنالك سيكون رجلا عاقلا غير منبوذ يؤدى الصلوات لرع حينما يتكلم .

ثم تستمر القصة وتأخذ الروح فى تخفيف الام صاحبها فتطلب منـه أن يترك الحزن والاسى ، وتؤكد انهما سيكونان معا "سيهدأ حالـى بعد أن يستقر أمرك فى الموت وسنعيش معـا " .

رابعا : نتائج الثورة الاجتماعية الاولى

ولقد ترتب على قيام الثورة الاجتماعية الاولى نتائج هامة فى المجالات السياسية والاجتماعية والدينية ·

من الناحية السياسية ، كان للثورة نتائج هامة من ناحية تغير مركز الفرعون فلم يصبح هو الملك الاله سليل الالهة الذى تكرم فأقام على أرض مصر ، بل أصبح الملوك عرضة للنقد ، واصبحوا معرضين مثلهم كيفية الناس للوقوع فى الخطأ ، فلقد كان لسوء الاحوال التى عاشتها مصر ابان هذه المرحلة اثرها فى التقليل من قدسية الفرعون ، فأصبح انسانا اكثر منه اله ·

ونادى المفكرون خلال هذه الفترة بتطبيق العدالة الاجتماعية بين الناس جميعا ، ومن هنا فقد احتلت العدالة (ماعت) مكانة كبرى فى النفوس واخذ الملوك يضعونها فى القابهم للاشارة الى تمسكهم بالعدالة التى أصبحت الضمير الخلقى الذى يحاسب عليه الانسان فى العالم الاخر وفى ذلك يشير الملك الاهناسى اختوى فى نصائحه التى وجهها الى ابنه الملك مرى كارع(١) محذرا اياه من مغبة مخالفة القانون وعدم الالتزام

(١) كتب النص المحفوظ لهذه البردية فى الاسرة الثامنة عشرة ، وهو موجود حاليا في متحف لينجراد بالاتحاد السوفيتى ، وهناك ترجمات كثيرة لها ، منها ترجمة جاردنر انظر :
Gardiner, A.H., In Journal of Egyptian Archaeology. vol 1. (1914), pp. 20-36.

بالعدالة ، حيث يحاسب الانسان في العالم الاخر على ماقدمت يداه .
وفي ذلك يقول :

"انك تعلم أن محكمة القضاة يالذين يحاسبون المذنب لا يرحمون الشقى يوم مقاضاته ولا ساعة تنفيذ القانون ... ولا تتحدث عن طول العمر لان القضاة ينظرون الى مدة الحياة كلها كأنها ساعة ، فان الانسان يبعث ثانية بعد الموت وتوضع اعماله بجانبه كالجبال . ان الخلود مثواه هناك (يعنى فى الاخرة) والغبى لا يكترث لذلك ، أما الانسان الذى يصل الى الاخرة دون أن يرتكب خطيئة ، فانه سيثوى هناك ويمشى مررحا مثل الابرار الخالدين .. " .

وحدد المفكرون الصفات الواجب توافرها فى الحاكم الذى يجلس على العرش وهى أن يكرس جهده فى خدمة مصالح الدولة ، والعمل من اجل مصلحة رعاياه ، وان يمتلأ قلبه بحبهم والعطف عليهم ، ولقد ورد فى شكاوى القروى الفصيح (١) مايشير الى مسؤوليات الحاكم تجاه شعبه فهو نصير المحتاجين والضعفاء ، وفي ذلك يقول : ان الحاكم هو : "ابو اليتيم ، وزوج الارملة ، واخ من هجره اهله ، ودثار من لا أم له" وفى

(١) لاقت هذه الشكاوى اقبالا كبيرا ايام الدولة الوسطى ، اذ عثر على اربع نسخ لها ، عدا المتقتطفات الاخرى ، واهم هذه النسخ يوجد فى متحف برلين ، وقد ترجمت عدة ترجمات ، منها ترجمة جاردنر انظر
Gardiner, A.H., In Journal of Egyptian Archacology, vol, 9(1923).

الصفات التى يجب أن يتصف بها الحاكم يقول موجها كلامه للحاكم :
"لا تنطق كذبا لانك عظيم ، وانت بذلك مسؤول ، ولا تكن خفيفا لانك ذو وزن ، ولا تتكلمن بهتانا لانك الموازين ، ولا تحيدن لانك الاستقامة . انك والموازين سيان ، فاذا مالت فانك تميل كذبا ، ان لسانك هو المؤشر العمودى للميزان ، وقلبك هو المثقال ، وشفتاك هما ذراعاه ، فاذا استرت وجهك امام الشر فمن ذا الذى سيكبحه " .

وحدد ايبوور صفات الحاكم ومسؤولياته ، فى انه هو الذى "يطفئ لهيب (الحريق الاجتماعى) ، ويقال عنه انه راعى كل الناس ، ولا يحمل فى قلبه شرا " .

ورأى المفكرون انه حتى يثمر الاصلاح الثمرة المرجوة منه ، فلابد من ان يساعد الحاكم الذى حددوا صفاته ومسؤولياته حكومة صالحة ، وتعددت اراء المفكرين حول هذه الحكومة وتكمل هذه الاراء بعضها بعضا ، ويمكن ايجازها فى أن تلك الحكومة يجب أن تتكون من جيل جديد من الموظفين الاكفاء الامناء العدول ، الذين يتولون وظائفهم حسب كفاءتهم الشخصية وليس على اساس الحسب والنسب .

ومن الناحية الاجتماعية ، فقد كان للثورة نتائج هامة ، لعل من ابرزها الدعوة الى تكافؤ الفرص بين جميع المواطنين ، لا فرق بين مواطن وآخر الا بعمله وجده واخلاصه ، وفى ذلك يقول الملك اختوى لابنه : " اياك ان ترفع من شان ابن العظيم على ابن الوضيع ، بل اتخذ لنفسك

الرجل من اجل كفايته " .

ومن هذه النتائج كذلك في المجال الاجتماعي ، الدعوة الى المساواة التامة بين المواطنين في الحقوق والواجبات ، فقد ادى الوعي القومي في هذه المرحلة المبكرة من حياة الانسانية الى ظهور العديد من الافكار التي تدعوا الى المساواة ، وكانت حججها في هذه المساواة قائمة على اساس خلقي مثالي نابع من الفكر المصري القديم ، فالله قد خلق كل انسان مثل الاخر تماما في كل شيء فهم متساوون جميعا في الخلق ، كما جعل الامور التي تتحكم في حياة الناس ملكا جميعا وهي المياة والهواء ، وسجلت هذه الافكار على متون التوابيت وجاء فيها : "ان الله خلق اربعة اشياء لمنفعة الناس ، وساوى بينهم فيها ، اولها ، صنع الرياح ليتنفس منها كل انسان مثل اخيه اثناء حياته وثانيها صنع مياه الفيضان العظيمة وجعل فيها للفقير ما للعظيم من حق ، وثالثها ، خلق كل انسان مثل اخيه ولم يأمرهم بفعل الشر ألا أن قلوبهم قد انتهكت ما أمر به ، ورابعها ، انه خلق قلوبهم بحيث تفكر في الغرب (الاخرة) لكي تقدم القرابين للالهة (١)

أما من الناحية الدينية فقد كان لاحداث الثورة وما مر به المصريون خلالها من مرارة اثارها الكبيرة في عقائدهم الدينية ، فظهر تيار يدعو الى تعديل المعتقدات الفكرية السائدة في مقابل تيار آخر انتقد هذه

(1) Wilson, J.A., In . ANET. pp. 7-8.

العقائد بعنف ، وفى نفس الوقت فقد يقى هناك من محافظ على عقائد السلف .

ومن أهم الافكار التى ظهرت أن السعادة فى العالم الاخر مرتبطة بالعمل الصالح ، وفى ذلك يقول الملك "اختوى" لابنه : "ان فضيلة الرجل المستقيم احب عند الله من ثور الرجل الشرير" .

كما اعتقد فى هذه المرحلة فى وجود محكمة بعد الموت يحاسب امامها الناس جميعا عن اعمالهم التى اقترفتها ايديهم فى الحياة الدنيا ، ولن يشفع الثروة أو الجاه أو المقابر الفخمة امام هذه المحكمة ، بل الشفاعة لعمل الانسان الصالح وحده ، فكل شخص اعماله موضوعة بجواره ، وستقرر المحكمة مصير الموتى اجمعين .

واقترب المصريون فى ذلك الى حد ما من المبدأ الذى قررته الكتب السماوية وهو ان الاخرة انما هى نتيجة عمل الدنيا فقال سبحانه وتعالى فى سورة فصلت (الاية ٤٦) " من عمل صالحا فلنفسه ، ومن اساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد ".

ورغم وجود هذه الافكار السامية فقد قلل منها استمرار اعتقاد المصريين فى أن اقامة المقابر الفخمة والانفاق عليها انما يضمن سعادة المتوفى فى العالم الاخر ، ومنها كذلك انتشار السحر وزيادة الاعتماد عليه

فى عالم الاخرة ، ومن ثم فقد لجأوا الى التعاويذ التى رأوا فيها حماية للمتوفى من الاخطار التى تحف به فى الاخرة ، ومنها ايضا اعتقادهم بأن المتوفى يمتزج فى العالم الاخر بالاله أوزير ، وكان ذلك من شأنه أن يقضى على الهدف من المحاكمة اذا اصبح مجرد هذا الاقتراح كفيلا بأن يحقق براءة الميت ، واصبح كل ميت يلقب بالمبرأ ، ولم يكن هناك مجالا للاعتراف بأى ذنب اقترفه فى حياته ، اذ كان عليه ان يعلن براءته من كل ذنب وأن ينسب لنفسه مجموعة من الاعمال الطيبة (١) .

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص٥٧٢-٥٧٣ ، وكذا . نجيب ميخائيل ابراهيم . المرجع السابق ، ص ٣٨١ .

الفصـــل الســـابع

عصر الدولة الوسطى

الاسرة الحادية عشرة الطيبية
(من حوالى ٢١٣٣ الى ١٩٩١ ق٠م)

أن كانت سمة عصر الانتقال الاول هى الانقسام والتفتت الذى كانت عليه البلاد بعد انهيار السلطة المركزية بنهاية مركزية عصر الدولة القديمة ، فان النصف الاول من عصر الاسرة الحادية عشرة الطيبية يدخل فى نطاق عصر الانتقال الاول ، اذ تتحدد بداية عصر الدولة الوسطى بحدث معين هو اعادة توحيد البلاد على يد نب حبت رع منتوحتب الاول هذا ويلاحظ ان الملوك الاربعة الاوائل من الاسرة الحادية عشرة كانوا معاصرين للاسرة العاشرة فى اهناسيا التى استمر حكمها من حوالى ٢١٣٠ الى ٢٠٤٠ ق٠م٠

ولن نقدم دراسة تفصيلية عن كل ملك من الملوك السابقين للملك منتوحتب الاول ولكننا سنكتفى بما عرض عن الصراع بين طيبة واهناسيا حتى انتهى الى اعادة توحيد البلاد ٠

وقد بدأ هذا الصراع فى عهد الملك واح عنخ ، انتف الثانى (من الاسرة الحادية عشرة) الذى خاض حربا ضد الملك الاهناسى واح كارع ، خيتى الثالث ، ولانتف الثانى لوح حجرى (١) ، يصف فيه استيلائه على اقليم ثنى وتوسع طيبة شمالا حتى اقليم افروديتو بوليس (كوم اشقاو الحالية

(1) Hayes. W.C., In CAH., vol. 1. part 11. p. 477.

بمركز طهطا محافظة سوهاج) وهناك ادلة أثرية اخرى (١) تشير الـى أن انفراد طيبة فى عهد هذا الملك شمل المنطقة من الفنتين جنوبا حتى القيس وافرود يتوبوليس شمالا ، هذا وقد اعقب حرب واح عنخ مع الاهناسيين سلام بين البيتين المالكين سمح فيما يبدو باستئناف العلاقات التجارية بيـن الجنوب والشمال .

(1) Gardiner, A.H., Egypt of the Pharaohs., p. 119.

نب حبت رع (منتوحتب الاول) واعادة توحيد مصر

عند ما ارتقى العرش ، اتخذ (منتوحتب الاول) الاسم الحوريسى سغنخ ايب تاوى" (مجدد حياة قلب الارضين) واحتفظ به حتى العام الرابع عشر من حكمه على الاقل ، وفى هذا العام الرابع عشر حاول حزب مؤيدى البيت المالك فى اهناسيا استعادة مدينة ثنى مما ادى الى استئناف العداء بين طيبة وأهناسيا وبداية هجوم طيبى ضخم تحت زعامة هذا الملك أسفر عن سقوط اهناسيا نفسها واعادة توحيد مصر ، وفى نقش هيكل من الجبلين يرجح انه يؤرخ بالفترة التى تسبق مباشرة سقوط اهناسيا يمثل منتوحتب الاول يطرح أميرا مصريا والنص المرافق لهذا النص يصف الملك بالظافر الذى على رأس الارضين الذى اقام النظام فى مصر العليا والدلتا بما يفيد تغلبه على الاهناسيين ومؤيديهم وجعله أمراء مصر الوسطى والسفلى اتباعا للحكومة المركزية فى طيبة ، وفى نقش آخر من معبد الملك بالدير البحرى يظهر اثنان من الامراء يلقبان "حاكمى الارض الشمالية" يقومان بالخضوع امام الملك .

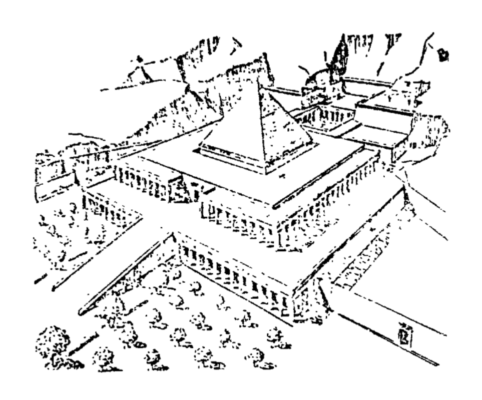
وعلى ذلك ، فلقد كان منتوحتب الاول أول ملوك الاسرة الحادية عشرة الذى اصبح ملكا حقيقا على مصر كلها ، وعند ما تم له ذلك اتخذ لقبا حوريا جديدا يعبر عن هذا الواقع ، وهو لقب "سام تاوى" الذى يفيد معنى موحد الارضين .

ولقد ظهر اسمه فى بردية تورين وقائمة سقارة وقائمة ابيدوس ووصفته قائمة الكرنك بأنه "الاله الطيب" رب الارضين ، ملك مصر العليا والسفلى ، سيد القربان ، نب حبت رع ، المبرأ" ، وتظهر مكانتـــه البارزة بين فراعين مصر كمؤسس لعصر جديد وموحد للبلاد بين اقرانـــه العظام الملك "منى" موحد مصر ومؤسس اول ملكية بدأ بها عصر الاسرات والملك أحمس الاول مؤسس الدولة الحديثة ، وذلك فى الرمسيوم ، حيث ظهر الملوك الثلاثة "منى" و "منتوحتب الاول" و "أحمس الاول" يوصفهم المؤسسين للدولة القديمة والدولة الوسطى والدولة الحديثة (١) .

وقام منتوحتب الاول بالتخلص من العناصر غير الموالية لحكمه ، فعزل امراء أسيوط المشاغبين من وظائفهم ، بينما ابقى على الامراء الموالييـــن له . وقد عمل الملك على تركيز السلطة المركزية فى طيبة وذلك بتعييـــن موظفيه الطيبيين فى المواقع الهامة فى الحكومة ، وشغل أحد هـــؤلاء الموظفين وظيفة حاكم مصر السفلى ، وهى وظيفة جديدة استلزمتهـــا ظروف وجود العاصمة طيبة فى الجنوب .

---

(١) Hayes, W.C., op. cit., P. 181.



(شكل ٣٣) منظور المعبد الجنزى للملك نب حبت رع منتوحتب

وانعكس أثر هذه الوحدة القومية فى رخاء البلاد وتقدمها الحضارى فاستؤنف تشييد الابنية وبخاصة معابد الالهة ومقاصيرها ، فلقد عثر على تماثيل له فى معبد الالهة ساتت فى اليفانتين وكذلك فى أساسات معبد الالهة نخبت فى الكاب ، وفى الجبلين ، كما اعاد بناء معبد الاله مونتو فى طود ، واقام عدة مقاصير فى دندرة وابيدوس .

ومن أهم تشييدات منتوحتب الاول المعمارية ، معبده الهرمى فى منطقة الدير البحرى فى طيبة الغربية والذى يعد طرازا فريدا فى تصميمه والجديد هنا ، هو الجمع بين هرم الفرعون ومعبده فى وحدة معمارية

واحدة ، وتخير الفرعون لمشروعه حضن جبل مرتفع من جبال طيبة الغربية وصمم تحت الهرم مسطحين كبيرين يلي احدهما الاخر ويعلوه ، ويشغل المسطح الاول فناء فسيح في مؤخرته صفتان عريضتان ، في كل صفه صفان من أعمدة مربعة ، وبين الصفتين ممر صاعد يؤدى الى المسطح الثانى ، وكان يكتنف الممر صفان من شجر الجميز ، في كل صف اربعة اشجار ، وتحت كل شجرة تمثال جالس للملك ، وتتوسط المسطح الثانى قاعدة مرتفعة كان يقوم فوقها هرم مسمط ، ويحيط بها بهو يتخلله ١٤٠ عمودا ذات شكل ثمانى وكان يقوم امام البهو وفي كل من جانبيه رواق يحتوى على صفتين من أعمدة مربعة ، ويوجد في مؤخرة البهو ست مقصورات تعلو مقابر بعض نساء البيت المالك ، ويوجد وراء المقصورات فناء ثان يليه بهو يشتمل على ثمانين عمودا في عشرة صفوف ، ويوجد في جداره الخلفي قدس الاقداس محفور في الصخر (١) (شكل ٣٣) .

وفيما يتصل بالسياسة الخارجية للملك نب حبت رع منتوحتب الاول فنجده بعد أن تمكن من اعادة توحيد البلاد ، عمل على اعادة نشاط مصر في الصحراء الشرقية فأرسل حملة الى وادى الحمامات ، قضت على مصادر الشغب في هذه المنطقة ، كما اعاد فتح الطريق الى مناجم الفيروز في سيناء .

---

(١) محمد انور شكرى : المرجع السابق ، ص٣٧٤-٣٧٩ .

وبالنسبة لحدود مصر الغربية فقد ارسل حملة الى قبائل التحنو الليبية تمكنت من قتل قائد هذه القبيلة ، واتخذ الخطوات الكفيلة بالسيطرة على الصحراء الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية (١) وفيما يتصل بالجنوب ، فهناك نقش يسجل قيام الملك منتوحتب الاول بالسفر الى بوهن مقابل وادى حلفا عبر النهر ، وانه قد عبر البلاد جميعا اثناء رحلته البرية هذه ، وقد عاد منها محملا بمعادن واحجار كثيرة (٢) .

وأدت حالة الامن والاستقرار التى شهدتها مصر الى استئناف ارسال القوافل التجارية الى النوبة السفلى وشواطئ سوريا ، وربما الى بونت كذلك . هذا وقد دام حكم منتوحتب الاول ٥١ عاما وتوفى حوالى عام ٢٠٠٩ ق.م.

(1) Vercou tter, J., The Near East, the Early Civilizations, London, 1967, p. 350.

(٢) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص٦٣٩ .

سغننخ كارع - منتوحتب الثانى :

ارتقى العرش بعد وفاة أبيه ودام حكمه اثنا عشر عاما اتسمت بالسلام والرخاء ، ورغم انه يمثل فى شبابه كمحارب فى نقوش المعبد الجنزى لنسب حبت رع بالدير البحرى الا انه يبدو انه كرس عهده فى تشييد الابنية ، فقد ترك نقوشا له فى العديد من الفنتين جنوبا حتى ابيدوس شمالا ، كما بدأ بناء معبده الجنزى ومقبرته على مسافة ميل الى الجنوب الغربى من معبد أبيه ولكن هذا البناء لم يكتمل .

ولعل خير شاهد على هدوء الاحوال فى هذا العهد هو ماتمدنا به مجموعة خطابات عثر عليها فى طيبة لشخص يدعى "حقانخت" كان يعمل كاهنا جنزيا فى مقبرة الوزير "ايبى" فى عهد منتوحتب الثانى ثم استدعى فى العام الثامن من حكم هذا الملك فى عمل بالجنوب وكلف ابنه بالاشراف على المقبرة وعلى مزرعة يمتلكها فى شمال طيبة وكانت تقيم فيها عائلته . والواقع أن حقانخت لم يترك مجالا فى التوجيه الا وطرقه سواء فى توجيه ابنه لكيفية معاملة العمال أو فى معاملة عائلته والخدم وتخصيص اعمالهم ، ولاشك فى أن هذه الحياة الزراعية الهادئة التى تقدم الخطابات صورة عنها انما هى ثمرة الامن والسلام الذى تمتعت به البلاد فى هذا العصر .

وفى العام الثامن من عهد منتوحتب الثانى غادرت جملة وادى النيل قرب مدينة قفط على النيل واتجهت شرقا عن طريق وادى الحمامات الى

البحر الاحمر وكان الهدف من هذه الحملة استئناف البعث التجارية البحرية مع بونت ، وتمكنت الحملة من التخلص من قبائل بدو الصحراء الشرقية كما قامت بحفر مايقرب من خمسة عشر بئر ماء على طول الطريق لضمان تزويد البعثات التى تمر بهذا الطريق بالمياه وكانت هذه البعثة بقيادة "حنو" (١) .

ولقد اشار "حنو" الى وجود علاقات مع "الحاونبو" سكان جزر البحر المتوسط وعلى الاخص جزيرة كريت ، وتميزت هذه العلاقات على الارجح بطابع الود (٢) .

نب تاوى رع منتوحتب الثالث :

لم يخلف هذا الملك من الاثار الا القليل ، وربما كان ذلك لقصر عهده ، اذ تشير بردية تورين الى فترة سبع سنوات فيما بين نهاية حكم منتوحتب الثانى وقيام الاسرة الثانية عشرة دون ان تحدد لها ملكا معينا وربما يرجع ذلك الى نقص الوثائق المتصلة بهذا الملك لدى كتبه هذه القائمة وكذلك قوائم الرعامسة (٣) .

---

(1) Vercoutter, J., op, cit., pp. 351-352 .

(٢) فيما يتصل بالعلاقات بين مصر وكريت خلال عصر الاسرة الحادية عشرة ، انظر : سوزان عباس عبد اللطيف : دراسة تاريخية للعلاقات بين مصر واليونان منذ منتصف الالف الثانى ق٠م وحتى منتصف الالف الاول ق٠م (رسالة دكتوراه) الاسكندرية ١٩٨٧ ، ص٦٤-٦٥ .

(٣) Vercoutter, J., op, cit., p. 353.

ومن الادلة الاثرية المتبقية من عهده ، أو حفظت لنا اسمه ، انـاء حجرى عثر عليه في اللشت على مقربة من هرم الملك امنمحات الاول ، وقد كتب اسمه على الاناء من الخارج وذلك على النحو التالى : "حور نب تاوى ابن رع منتوحتب" بينما كتب الاسم الحورى للملك امنمحات فى داخـل الاناء (١) .

كما حفظت لنا الاثار ارساله البعثات فى اعوام حكمه الاول والثانـى لاحضار الاحجار من جنوبى اسوان وكذلك وادى الحمامات لقطع كتـل حجرية للتابوت الملكى فضلا عن تشييد معابد فى الصعيد ، وقد كانـت هذه البعثة التى تكونت من عشرة الاف رجل جمعوا من مصر العليا والسفلى تحت قيادة الوزير امنمحات الذى يذكر انه كان مشرفا على كل شئ فى هذه الارض كلها (٢) .

ويرجح ان هذا الوزير هو الذى ارتقى عرش مصر بعد عودته مـن وادى الحمامات بقليل واسس اسرة ملكية جديدة هى الاسرة الثانية عشرة ويتجه بعض الباحثين الى الاعتقاد بأن امنمحات لم يستول على العرش بطريق القوة . ورغم الغموض الذى يكتنف نهاية الاسرة الحادية عشـرة وبداية الاسرة الثانية عشرة ، فانه يمكن القول بان انتقال العرش من الاسرة الحادية عشرة الى الاسرة الثانية عشرة قد تم دون اتخاذ اجراء سياسـى عنيف .

---

(1) Hayes, W.S., op, cit., p, 167.

(2) Breasted, J. H., op, cit., parg, 439.

الاسرة الثانية عشـــــرة

(من حوالى ١٩٩١ـ ١٩٦٢ قبل الميلاد)

امنمحات الاول :

يرد في نبوءة "نفرتي" (١) كاهن تل بسطة في شرق الدلتا : " ٠٠كل خير قد ولى والبلاد تعانى من جراء البدو والغزاة الاعداء بيننا والاسيويين يدخلون مصر ٠٠ المالك اصبح في حاجة يسأل الناس وغدا الاجنبي غنيـا ٠٠ نقصت الارض وتضاعف حكامها ٠٠ ان المخلص سيأتي سيظهر ملك في الجنوب يدعى امني (اختصار اسم امنمحات) ٠٠ ابن امرأة من تاستي طفل من نخن سيستلم التاج الابيض ويرتدى التاج الاحمر ويوحد القوتين ٠٠ "

ومن الواضح ان هذه النبوءة تهدف الى تدعيم مركز الملك الجديـد امنمحات الاول وذلك بتقديم صورة بغيضة عن احوال البلاد في الدلتا في أواخر الاسرة الحادية عشرة ، ولو أن نفرتي يمثل في هذه النبوءة كمعاصر لسنفرو أول ملوك الاسرة الرابعة ، الا ان هذا وحي خيال ولا شك أن نفرتي هذا من صنائع امنمحات الاول ٠

وتبين من تلك النبوءة كذلك ان ام امنمحات كانت من العامة "امرأة من اقليم الفنتين" (تاستي) اما ابوه سنوسرت فكان من العامة أيضـــا ،

---

(١) انظر :
Gardiner, A.H., In J.E.A., vol, 1 (1914)

ايضا ، واعتبرته الاجيال التالية سلفا للاسرة واعطى اللقب أبو الاله سنوسرت .

ونظرا لافتقار امنمحات الى الاصل الملكى فقد اتخذ ثلاثة اسماء فى القابه الملكية الجديدة ضمنها اللقب وحم مسوت (معيد الولادات) بما يشير الى أن عهده كان عهدا جديدا فى تاريخ البلاد . ويعنى اسم امنمحات "امون فى المقدمة" انه كان من عباد الاله آمون ، وتدلنا التسمية انه رفع هذا المعبود الى مرتبة الصدارة بين الالهة الاخرى بجعله الاله الرسمى للدولة .

ولعل اهم اعمال امنمحات الاول الداخلية انشاؤه لعاصمة جديدة لمصر وذلك حين ادرك أن طيبة (الاقصر) لاتصلح عاصمة للبلاد فاختار مكانا وسطا بين الدلتا والصعيد هذا فضلا عن رغبته فى أن تكون عاصمته على مقربة من الاسيويين وكذا على مقربة من منقطقة خصبة يمكن استغلالها فى مشاريعه الزراعية ، واخيرا ليكون على مقربة من انصاره فى مصر الوسطى وهكذا كانت "ايثت تاوى" على مبعدة ١٨ ميلا الى الجنوب من مصر ويعنى اسمها القابضة على الارضين عاصمة لامنمحات الاول من بعده (١) وبالقرب من العاصمة شيد امنمحات الاول هرمه وهو من اللبن وكساه بالحجر الجيرى ، والى الشرق من هرمه يقع معبده الجنزى .

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٥٩٠ ـ ٥٩١ .

هذا وقد اتبع سياسة جديدة بين امراء الاقاليم منعت التنافس بينهم وذلك عن طريق اقامة حدود ثابتة بين كل اقليم وآخر كما سن قانونا نظم به نصيب كل اقليم من مياه النيل الخاصة برى الاراضى الزراعية هذا فضلا عن تحديد الكمية التى يقدمها كل اقليم من المواد الغذائية وعدد السفن اللازمة للاسطول واعداد الرجال للجيش المرابط للتاج الملكى ٠

وفى بداية عهد هذا الملك أبحر مع "خنوم حتب" حاكم بنى حسن فى اسطول من عشرين سفينة حتى الفنتين ، وقضى على ماتبقى من جيوب المقاومة لحكمه فى هذه المنطقة المضطربة كما قام الملك بجولة تفتيشية فى الشمال الى الدلتا ، ويبدو انه دفع غارات جماعات البدو على حدودها الشرقية واقام هناك موقعا حصينا للحيلولة دون غاراتهم المستقبلة اطلق عليه "حيطان الامير" (١) ٠

وفى العام العشرين من حكمه اشرك معه ابنه سنوسرت الاول فى الحكم وقد كان هذا تقليدا اتبعه ملوك الاسرة الثانية عشرة بعده ربما لدرء الاخطار التى قد تحيط بالدولة عند موت الملك اذا لم يكن الولى على العرش محددا ، وقد اشترك كل من امنمحات الاول وسنوسرت الاول فى العرش مدة عشر سنوات وفى اثناء تلك الفترة فتحت بلاد النوبة السفلى واحتلتها القوات المصرية بقيادة سنوسرت ٠

---

(1) Vercoutter, J., op, cit., p. 361-362.

وفى العام التاسع والعشرين من حكم امنمحات الاول امتد غزو النوبة جنوبا الى كور وسكو وربما امتد هذا الغزو الى ابعد من ذلك لانه من المعتقد ان امنمحات الاول هو مشيد قلعة الحدود عند سمنة جنوب الجندل الثانى ، ويفيد لوح حجرى يؤرخ بالعام الرابع والعشرين من حكم امنمحات الاول انتصار جنود الكملك على بدو الصحراء الشرقية وشبه جزيرة سيناء نعرف مالا يقل عن حملة قادها سنوسرت فى عهد ابيه ضد التمحو الليبيين فى وادى النظرون ٠

ومات امنمحات بعد حكم دام ثلاثين عاما وقد اغتاله بعض المتآمرين الذين انتهزوا فرصة غياب ابنه سنوسرت فى حملة فى ليبيا للتخلص من هذا الملك العجوز واغتالوه ليلا ، ويرد وصف هذا الاغتيال فى تعاليم امنمحات (١) الى ابنه الاكبر ، وولى عهده سنوسرت وفى نص ادبى شهير من هذا العصر هو قصة سنوهى (٢) الذى كان مرافقا لسنوسرت فى حملته ٠

---

(١) انظر : Wilson, J.A., In ANET, pp. 418-419.

(٢) انظر : Ibid., PP. 18-22.

سنوسرت الاول :

تمكن سنوسرت الاول (خبر كارع) من القضاء على المؤامرة التى أدت الى مقتل ابيه وقد اشتهر سنوسرت الاول بكثرة اعماله العمرانية . ففى مصر مايقرب من ٣٥ منطقة وجدت بها آثار من عهده موزعة على الوادى من الاسكندرية وحتى الجندل الاول جنوبى اسوان غير ان أهم اعماله فى هذا المجال انما كان تشييده من جديد لمعبد رع بمدينة هليوبوليس وليس هناك شك فى أن اهتمام سنوسرت بمدينة هليوبوليس انما كان لاسباب سياسية ودينية ذلك لان الاله رع - معبود هليوبوليس - هو اكبر الالهة المصرية وسيدهم ، كما انه واحد من اقدمهم جميعا . وكانت الاسرة الثانية عشرة تهتم كثيرا باحياء العقيدة وسطوتها فضلا عن ارضاء الكهانة المصرية جمعاء ، وكان سنوسرت شديد الرغبة فى اعادة المقام الارضى لهذا الاله واخيرا فان هليوبوليس انما كانت تقع فى مدخل الدلتا ، وكان معبدها من المراكز الكبرى للحج لكل سكان مصر السفلى ، ومن ثم فقد كسب "سنوسرت الاول" احترام الحجاج جميعا ، عندما قام بتبجيل أون (١) .

وقد شيد سنوسرت جوسقا فى الصرح الثالث فى الكرنك ، ولقد امكن اعادة بنائه نظرا للعثور على احجاره كاملة . ويبدو انه كانت تتوسط الجوسق منصة يعلوها عرشان ، وان سنوسرت الاول قد احتفل فيه بيوبيله الثلاثينى (٢) .

---

(١) Vercoutter, J., op. cit., PP. 370-371 .

(٢) محمد انور شكرى : المرجع السابق ، ص١٧٩-١٨٠ .

هذا وقد عنى سنوسرت الاول عناية كبيرة باستغلال مناجم الصحراء فأرسل البعثات التى جلبت الفيروز والنحاس من سيناء ، والمرمر من محاجر حتنوب ، كما حصل على الديوريت من الصحراء النوبية ·

هذا وقد اتبع "سنوسرت الاول" سياسة ابيه تجاه امراء الاقاليم ، والذين كان الكثير منهم من ابناء أولئك الذين كانوا يحكمون اقاليمهم على ايام ابيه امنمحات الاول فظلوا موالين له بعد اغتيال ابيه ، ولم يتجاوزوا سلطان فرعون الذى منحهم حقوقهم الوراثية ، فضلا عن ثرواتهم الشخصية ، كما كانوا يمدونه بفرق الجند التى كان يتكون منها الحرس الملكى ·

واتبع سنوسرت الاول سياسة ابيه فى نظام الحكم المشترك فأشرك معه ابنه امنمحات الثانى ، هذا وقد بنى سنوسرت الاول مجموعته الهرمية على مبعدة ميل ونصف الى الجنوب من هرم ابيه امنمحات الاول ·

وفى العام الثامن والعشرين من حكمه ارسل حملة لتسهيل فتح النوبة السفلى تمكنت من احتلالها والسيطرة عليها حتى بوهن عند الجندل الثانى ، والتى عثر فيها على لوح من الحجر نقش فيه منظر الملك وهو يقف امام اله الحرب مونتو ويرافق المنظر نص يرد فيه : "لقد احضرت لك كل بلاد النوبة تحت قدميك ايها الاله الطيب" (١) · ويبدو ان السيطرة

(1) Breasted, J., In PSBA. vol, 23 (1901) PP. 230-235.

المصرية قد امتدت حتى الجندل الثالث متضمنة ارض كوش التى بـــد ذكرها لاول مرة فى النصوص المصرية .

وفى الغرب أرسل الملك حملات تأديبية ضد التمحو والتحنو الليبيين كما عمل على تأمين المواصلات مع الواحات ، اذ كانت تمر بها القوافــل التجارية ورسل الملك . ويتبين من قصة "سنوهى" ان سنوسرت الاول لم تكن له أية سلطة على سوريا التى لجأ اليها سنوهى بعد خروجه ، وهو أمر يبدو مؤكدا اذا لم يعمل كملوك مصر على مد نفوذهم خارجها باستثناء النوبة قبل عصر الدولة الحديثة ، وكل ماحققه الملك حينئذ لم يتعد اقامة علاقات طيبة مع رؤساء فلسطين وسوريا بموارد لاستمرار التجارة مع غربى آسيا وتنقل التجار والرسل المصريين فى حرية تامة .

٣ــ امنمحات الثانى :

اتبع امنمحات الثانى مع امراء الاقاليم نفس سياسة ابيه ، فقد أكـــد لبعضهم حقوقهم الوراثية مع الحفاظ على هيمنة العرش على اقاليمهم ، ويبدو ان حياة الهدوء والاستقرار التى عاشتها البلاد على ايامه قد اتاحت له فرصة الاشراف عليهم ، يولى منهم من يشاء ويعزل من يشاء ، ومع ذلـــك فهنالك مايشير الى ان حاكمى اقليمى الاشمونين وبنى حسن قد استعادوا كثيرا من سلطاتهم وبدأوا فى منافسة الفرعون فى الثراء والتفاخر .

وقد شيد امنمحات الثانى هرمه الى الجنوب الشرقى من هرم سنفرو الشمالى فى دهشور بحوالى ثمانية كيلو مترات ، وقد شيد هرمه بالاحجار والطوب اللبن ، وربما كان ذلك راجعا الى رغبته فى خفض تكاليف البناء ولقد عثر فى مجموعته الهرمية على مجموعة من المجوهرات والامتعة الشخصية وهى ماعرفت باسم "كنز دهشور" (١) وقد وجدت فى مقبرة زوجة الملك وبناته ، وهى تشتمل على عقود ذهبية واحجار كريمة وادوات مغطاة بصفائح الذهب ، وتشهد دقة صناعتها وذوقها الفنى بمقدرة الصانع المصرى ومهارته .

ولم يبذل امنمحات الثانى جهدا حربيا يذكر ، واقتصر نشاطه على بعض النواحى الداخلية ، فاهتم باستغلال مناجم الذهب فى النوبة وبارسال البعثات التجارية الى سورية وبونت ..

٤ — سنوسرت الثانى :

يتميز عهد سنوسرت الثانى ببدء مشروع استصلاح الاراضى فى اقليم الفيوم ، وقد قام سنوسرت الثانى بنشاط عمرانى فى العديد من مناطق مصر ، فأقام معبدا فى اهناسية ، كما عثر على آثار له فى الكرنك وسرابيط الخادم ووادى الحمامات والقصير واللاهون واسوان .

---

(1) Edwards, I.E.S. The Pyramids of Egypt, 1965, P. 235.

ولقد شيد هرمه في منطقة اللاهون عند مدخل الفيوم جنوب العاصمة ايشت تاوى حوالى ٤٠ كيلو مترا ، وبنى الهرم فوق مرتفع من الارض وفى وسطه صخرة ارتفاعها ١٢ مترا بنى حولها الهرم الذى شيد معظمه من الطوب اللبن ، وكسى الهرم بكتل من الحجر الجيرى ، لا يكاد يوجد منه شيء في الوقت الحاضر .

وحتى يحمى هرمه من اعتداءات اللصوص ، فقد جعل مدخله في الجهة الجنوبية ، وهو عكس الاتجاه الذى تعود عليه ملوك مصر وهو الناحية الشمالية ، ولمزيد من الحيطة ، فقد جعل المدخل يبدأ من بئرين رأسيتين خارج مبنى الهرم نفسه ، واخفوا البئر الرئيسية تحت ارضية مقبرة احدى الاميرات ، أما المدخل الثانوى فكان تحت ارضية بهو المعبد - وفى الجهات الجنوبية والشرقية والغربية من الهرم زرعت اشجار في حفرات مستديرة ، وهو اتباع للتقليد الذى بدأ في الاسرة الحادية عشرة في معبد الملك نب حبت رع منتوحتب في الدير البحرى (١) .

وشيد سنوسرت الثانى على مقربة من هرمه مدينة صغيرة للمهندسين والموظفين والعمال الذين كانوا يعملون في بناء الهرم ، ولتكون بيوتها بعد ذلك مساكن للكهنة الذين سوف يعهد اليهم باداء الطقوس الجنزية في معبديه ، وقد اطلق على هذه المدينة "حتب سنوسرت" أى "سنوسرت راضى" . وترجع اهمية هذه المدينة الى انها اقدم مدينة مصرية حفظت

---

(١) احمد فخرى : الاهرامات المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٣١٢ - ٣١٧ .

لنا وتمكن علماء الاثار من التعرف على تخطيطها .

وفيما يتصل بعلاقات مصر الخارجية فى عهد سنوسرت الثانى فاننا نتعرف من نقش ملون على احد حيطان مقبرة خنوم حتب حاكم اقليم بنى حسن فى عهد سنوسرت الثانى . أن هذا الحاكم قد استقبل فى اقليمه جماعة من البدو الاسيويين الذين ربما أتوا من فلسطين وكان على رأسها ابشا "حاكم الاراضى الجبلية" ، واحضروا معهم بعض هدايا هم (١) .

وتجدر الاشارة الى انه قد عثر فى منطقة هواره ومدينة كاهون على اختام وأوان ذات زخارف تشبه الزخارف الكريتية التى شاعت فى العصر المينوى الوسيط (٢) .

ولم يزد حكم سنوسرت الثانى عن تسع سنوات بما فى ذلك الفترة التى اشترك فيها مع ابيه امنمحات ، وعندما ترك العرش لابنه سنوسرت الثالث استقبلت مصر ملكا كان مقدرا له أن يكون من اعظم ملوك مصر .

---

(١) عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ، الجزء الاول ، مصر والعراق ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ١٨٠ .

(٢) سوزان عباس عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ٦٥

ـ ٥ـ سنوسرت الثالث :

يعتبر عهد سنوسرت الثالث "خع كاورع" من ازهى العهود فى عصر الدولة الوسطى ، ويتميز بانجازين لهما اهمية بالغة لاتقتصر على عهده ، بل ايضا لمستقبل البلاد ، وهذان الانجازان العظيمان هما : القضاء على نفوذ حكام الاقاليم ، وضم النوبة .

ففى عهد امنمحات الاول وخلفائه استعاد حكام اقاليم مصر العليا والوسطى الكثير من امتيازاتهم ونفوذهم ، وبدأوا مرة اخرى ينافسون الملوك فى الثروة والمظهر ، ونظرا لان سنوسرت الثالث كان يهدف الى التمتع بحكم فردى مطلق ، فانه فى النصف الاخير من عهده ، جرد حكام الاقاليم من حقوقهم وامتيازاتهم ونفوذهم السياسى ، ولاندرى تماما كيف حقق الملك هذا ، ولكن فى عهد سنوسرت الثالث انتهى بناء المقابر الضخمة فى الاقاليم ولم نعد نسمع عن "الحكام العظام" للمقاطعات بدلا من ذلك نجد أن مصر تقسم الى ثلاث تقسيمات جغرافية كبيرة تضم مقاطعات مصر السفلى ومصر الوسطى ومصر العليا ، ويدير كل منها قسم ادارى تابع للحكومة المركزية ، وكان يرأس كل قسم من هذه الاقسام الثلاثة موظف يساعده بعض المعاونين وعدد من الكتبة ، وكانت الاقسام جميعا تحت الاشراف المباشر للوزير ، ونتج عن الغاء طبقة النبلاء الاقطاعيين ظهور طبقة وسطى فى المجتمع المصرى تتكون من الحرفيين والتجار وصغار المزارعين وما شابه ذلك الذين يمكن التعرف على زيادة ثرواتهم واهميتهم

فى بناء المجتمع المصرى من العديد من التماثيل الصغيرة الخاصة من هذه الفترة ، ومما لاحصر له من الالواح الحجرية التى أهداها هؤلاء الناس بالقرب من معبد أوزير فى ابيدوس(١) .

أما عن ضم النوبة ، فيبدو أن قبائل الكوشيين قد نزحت شمالا منذ عهد سلفيه امنمحات الثانى وسنوسرت الثانى وبدأوا يهددون أمن المنطقة بين الجندلين الاول والثانى ، وازاء هذا التهديد قام الملك بشق قناة فى صخور الجندل الاول لتكون طريقا لسفنه الحربية عند اتجاهها الى الجنوب ، واطلق عليها اسم "جميلة هى طرق خعكاورع(٢)

وفى العام الثامن من حكم الملك قام بحملته على بلاد النوبة مبحرا عبر القناة فى طريقه للقهر "كوش التعسة" وفى اعقاب هذه الحملة الاولى أقام سنوسرت الثالث لوحة للحدود عند سمنة جنوب وادى حلفا بحوالى ٣٧ ميلا ، ونتبين منها ان الكوشيين الذين اطلق عليهم المصريون القدماء تسمية الزنوج (نخسيو) كانوا يمثلون خطرا فعليا عمل المصريون على درئه ببعض القيود التى قررها سنوسرت ، ومما يؤكد ان هؤلاء الكوشيين كانوا مصدر قلق للمصريين ان الملك اتبع حملته العام الثامن بما لايقل عن ثلاث حملات اخرى ضدهم قادها الملك بنفسه فى الاعوام الثانى عشر والسادس عشر والتاسع عشر من حكمه . وسجل نصره فى هذه الحملات فى لوحة النصر فى سمنة .

(1) Vercoutter, J., op, cit., p. 374.

(2) Breasted, J.H., ARE., vol, 1. parag, 642-648.

ولحماية حدود هذا الاقليم الجديد (النوبة السفلى) حتى سمنة ، ولدرء أى خطر من الجنوب اقيمت سلسلة من ثمانى قلاع بين سمنة فى الجنوب وبوهن القديمة على البر الغربى للنيل في مواجهة وادى حلفا وينسب الى سنوسرت الثالث تشييد واعادة بناء ثلاث من هذه القلاع على الاقل هى قلعة سمنة على الضفة الغربية للنيل ، وقلعة سمنة فى مواجهة القلعة السابقة على البر الشرقى للنيل ، وقلعة أور وتاتى وهى فى الى الشمال من القلعتين السابقتين على جزيرة فى الجندل الثانى .

وقد قاد سنوسرت الثالث حملة فى الشمال وصل فيها الى "سكم" (١) ويرجح بعض الباحثين أنها "ششم" بجبل افرايم فى فلسطين ، ولم تستهدف تلك الحملة التوسع أو مد النفوذ المصرى الى هذه الجهات ، بل كانت تأمينا للحدود المصرية الشمالية .

وقد دام حكم سنوسرت الثالث خمسة وثلاثين عاما ، وله هرم من الاجر فى دهشور (٢) وقد شيد معبدا فى اهناسية وآخر فى ابيدوس كما اهتم بهذه المدينة المقدسة ، ومن ثم فقد امر بترميم ماتهدم من معابدها وتنظيم اعيادها ، كما عثر له على تمثالين بين اطلالها ومعبد جنازى صغير .

---

(1) Ibid., parag. 676.

(٢) احمد فخرى : المرجع السابق ، ص٣١٨-٣٢١ .

هذا وقد اتبع سنوسرت الثالث سنة اسلافه واشرك معه فى الحكـــم ولده "امنمحات الثالث" فى أحريات ايامه بفترة قصيرة ٠

امنمحات الـثالث :

جنى امنمحات الثالث (نى ماعت رع) جهود ابيه الحربية ، فوجـد جهوده لتنمية واستثمار الموارد الاقتصادية لمصر ، وظهر ذلك فى زيـادة اعمال التعدين فى كل من الصحراء الشرقية والغربية فأرسل البعثات الى سيناء لاحضار الفيروز والنحاس(١) ، كما ارسل البعثات الى صحـــــراء النوبة الغربية لاحضار احجار الديوريت وغيرها من الاحجار من هناك ٠

ووجه امنمحات الثالث اهتمامه لاستغلال مياه فيضان النيل وعـنـدم ضياعها سدى ، فأمر بتسجيل ارتفاع النهر فى سمنة وقمنة ، ولقد اتخـذ من بحيرة منخفض الفيوم خزانا طبيعيا يحبس فيه مياه النيل الزائدة ، ومن اجل ذلك بنى سدا عند مدخل البحيرة فى اضيق ممر ينفذ منه بحر يوسف الحالى ، وبذلك ادى الـى استصلاح مايقرب من سبع وعشرين الـــف فدان فى هذه المنطقة ٠ واقام امنمحات على الشاطئ الشمالى من هــذه

---

(١) تزيد نقوشه التى عثر عليها فى مناطق استخراج الفيروز والنحاس عـن ٥٩ نقشا وهى تبدأ من السنة الثانية وحتى السنة الخامسة والاربعين من عهده ٠ انظـــر :
Gardiner, A.H., Peet, t.. and Cerny J. The Inscriptionsof Sinai, vol 1. London. 1952. p. 151.1.

المنطقة حاجزين ضخميين اقام فوقهما تمثالين يمثلانه وهو جالس يبلغ ارتفاع كل منهما اثنى عشر مترا.

وشيد امنمحات الثالث لنفسه هرمين الأول فى دهشور، والثانى فى هوارة، وبجوار الهرم شيد معبده الجنائزى وهو يشغل مساحة تزيد على سبعين الف متر مربع (٣٠٠ × ٢٤٠ م (١)) وقد عده الاغريق من عجائب مصر واطلق عليه "مبنى اللابيرانث" (قصر التية)، ولقد مات امنمحات الثالث دون أن يتم العمل فيه فأكملته "سوبك نفرو" آخر ملوك الاسرة الثانية عشرة.

ولقد وصف اللابيرنث كل من هيرودوت وديودور واسترابو، ولقد ذكر هيرودوت (٢) انه شاهده بنفسه وانه يفوق الوصف، وانه يفضل الهرم وهو يتكون من اثنى عشر بهوا مسقوفا، ابوابها متقابلة، وانه يتكون من ثلاثة آلاف غرفة نصفها تحت الارض، ونصفها الاخر فوقها، وان الغرف العليا تفوق ما اخرجه الانسان من آثار، اذ ان سقوفها كلها قد شيدت من الاحجار، وكان يحيط بكل بهو أعمدة مصنوعة من الاحجار البيضاء، ويذكر هيرودوت انه شاهد بنفسه الحجرات الموجودة فوق سطح الارض، أما الموجودة تحت سطح الارض فيذكر ان المشرفين عليها لم يسمحوا لهم

(١) محمد انور شكرى : المرجع السابق، ص٣٨٤.

(٢) هيرودوت يتحدث عن مصر : ترجمة محمد صقر خفاجه، ومراجعة احمد بدوى، القاهرة، ١٩٦٦، ص٢٧٩ـ ٢٨١.

أن يدخلوها ٠

أما "ديودور" فقد وصفه بأنه يدعو للعجب لدقة صناعته ، وان من يدخله لايجد طريقة الى الخارج بسهولة ، ويذكر انه مربع الشكل ، وبه بهو تحيط به الاعمدة التى تتكون من اربعين عمودا فى كل جانب ، أما سقفه فانه منحوت بحجر واحد مزخرف بصور ورسوم مختلفة (١) ٠

ويصف "سترابو" (٢) اللابيرنت وكأنما هو يحتوى على عدد ضخم من الابهاء المتصلة بعضها بالبعض الاخر عن طريق ممرات دوارة لايستطيع الغريب أن يحدد مساره خلالها ، وانه يضارع الهرم ، وانه قصر كبير مؤلف من قصور كثيرة بعدد اقاليم مصر فى الزمن القديم ، وهو عدد الابهاء التى تحيط بالاعمدة ، وكلها فى صف واحد ، وامام المداخل اقبية طويلة متعددة يتصل احدهما بالاخر بطرق متعرجة ٠

ومهما كان الامر ، فاننا لانستطيع اليوم أن نتحقق من وصف المؤرخين اليونان نظرا لانتزاع احجاره منه ، ولم يبق منه غير اكداس من الانقاض ودام حكم امنمحات الثالث ٥٥ عاما بلغ فيها النفوذ المصرى أوج قوته واشرك معه فى الحكم ابنه امنمحات الرابع فى العام الاخير من حكمه ٠

---

(١) وهيب كامل : ديودور الصقلى فى مصر ، الفقرتان ٦١ ، ٦٢ ٠

(٢) Kees, H., Ancient Egypt, London, 1961. P. 225.

امنمحات الرابـــع :

لم يكن امنمحات الرابع (ماعت خرو رع) في همة اسلافه أو نشاطهم ، أو مهارتهم السياسية والادارية ، لم يطل حكمه حسبما ورد في بردية تورين عن سنوات تسع وبضعة اشهر ، وفي خلال هذه الفترة استمر ارسال البعثات الى المحاجر في النوبة وفي وادى هودى للحصول على احجار الاماتيست ، كما ارسل البعثات لجلب الفيروز والنحاس من سيناء .

ومن الناحية المعمارية فقد وجد اسمه مسجلا على جدران معبد مدينة ماضى جنوب غرب الفيوم ، كما شيد لنفسه هرما الى الجنوب من الجيزة بحوالى ٣٠ كيلو متر وذلك خلف قرية مزغونة .

سبك ـ نفرو :

ينتهى بحكمها عصر ملوك الدولة الوسطى ، وقد كتب اسمها بعدة مترادفات (سبك كارع ، سبك نفرو رع) (١) والاسم الاخير هو الاكثر شيوعا ولقد حكمت حسبما ورد في بردية تورين ثلاثة اعوام واربعة اشهر وعشرين يوما .

---

(١) عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ، الجزء الاول ، ص [illegible]

ويذهب بعض الباحثين الى القول بأن سبك نفرو كانت الابنة الكبرى لامنمحات الثالث وذلك اعتمادا على ظهور اسمها الى جوار اسم امنمحات الثالث على أحد العناصر المعمارية ·

ومهما كان الامر فأن حظها العاثر قد شاء أن يختل الامن في عهدها فظهرت بوادر هجرات شعوبية وقلاقل وراء الحدود الشمالية الشرقية ، بنهاية عهدها انتهى عصر الاسرة الثانية عشرة وانتقلت مصر الى مرحلة حرجة في تاريخها ، وهو ما اصطلح المؤرخون على تسميته بعصر الانتقال الثاني ·

وتضمن هذا العصر الاسرات من ١٣ - ١٧ ، وفيه منيت مصر بالاحتلال الاجنبي وهم الهكسوس الذين دنسوا ارض الكنانة ردحا من الزمن حتى تمكن أحمس الاول من طردهم نهائيا منها ، وبدأ عصرا جديدا في تاريخ مصر وهو "عصر الدولة الحديثة" ·

الفصل الثامن

عصر الانتقال الثاني

يتضمن عصر الانتقال الثانى الاسرات من الثالثة عشرة وحتى السابعة عشرة ، وتواجه المؤرخ صعوبات جمة في دراسة هذه المرحلة ، والسبب الرئيسى وراء هذه الصعوبات راجع الى قلة المصادر التى ترجع الى هذا العصر ان لم تكن ندرتها .

فقوائم ملوك سقارة وأبيدوس لم تشر الى هذه المرحلة ، بينما قدمت بردية تورين بعض الاسماء فقط ، أما قائمة الكرنك فقد امكن معرفة ثلاثين اسما فقط منها ، وللاسف فانه لا يمكن معرفة تتابعها فى الحكم ، نظرا لبعثرة هذه الاسماء بين أسماء ملوك الدولة القديمة والدولة الوسطى

وعلى ذلك ، فان المؤرخ لهذه الفترة ، يعتمد على البقايا الاثرية المتخلفة عنها ، وهى بصفة خاصة الجعارين التى تحمل خراطيش ملكية ، اذ عزف المصريون القدامى عن تسجيل احداث هذه الفترة وبخاصة عصر الهكسوس ، بل انهم قاموا بتدمير آثارهم ، فلم ينج منها الا قلة قليلة ، ولم تظهر اشارة الى هذا العصر الا على ايام الملكة حتشبسوت(١) .

ويبدو مرجحا ان هذا العصر لم يستغرق اكثر من ٢٢٠ عاما وربما اقل من ذلك ، وقد حكم مصر خلاله عددا كبيرا من الملوك ، ويمكن تفسير ذلك على اساس انه كانت هناك مجموعات تحكم فى الشمال ، واخرى فى مصر الوسطى وثالثة فى الصعيد ، وان ذلك قد حدث فى اوقات متعاصرة

---

(1) Gardiner, A.H., Egypt of the Pharaohs, PP. 174-149.

أو على الاقل متقاربة (١) ٠

الاسرة الثالثة عشـــرة

انتهت الاسرة الثانية عشرة حوالى عام ١٧٨٧ ق٠م، بالملكة "سبك نفرو" وربما كان ذلك راجعا الى عدم وجود وريث شرعى من الذكور يعتلى العرش بعدها ، فانتقل الملك الى اسرة اخرى هى الاسرة الثالثة عشرة وحاول الباحثون معرفة الاسباب التى أدت الى هذا الضعف الشامـل الذى اصاب مصر فى هذه المرحلة ، فذهب البعض الى الاعتقاد بـأن ذلك راجع الى ظهور اعداء لمصر فى سوريا وفلسطين وفى الجنـوب ، ويعتمدون فى ذلك على حقيقة العثور على عدد غير قليل من الدمى والاوانى التى ترجع الى نهاية عصر الاسرة الثانية عشرة وقد كتبت عليها تعاويـذ سحرية لسحق اصحابها (٢) ، وهذه اللعنات خاصة بأمراء من النوبة وآسيا وقفوا موقفا عدائيا من مصر ، وكان الاعتقاد انها تستطيع أن تقضى علـى قوة هؤلاء الاعداء ويشير ذلك من غير شك الى مدى الضعف الذى أصـاب البلاد ٠

وهناك من يرى ان ذلك الضعف ربما كان راجعا الى أن نظـام

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص٦٧٦ ٠

(٢) جان يويوت: مصر الفرعونية ، ترجمة سعد زهران ، القاهرة ، ١٩٦٦ ص٩٩ ٠

الاقطاع الذى قضى عليه الملك سنوسرت الثالث فى اواسط الاسرة الثانية عشرة قد عاد من جديد ، وان هناك عددا من الاسرات المحلية قد تقاسم حكم البلاد فى وقت واحد ، الا أن هذا الرأى لايوجد هناك من الادلة مايؤيده (١) .

ويضاف الى عوامل الضعف الداخلية العوامل الخارجية والتى تمثلت فى قدوم بعض الشعوب الهندو أوروبية منذ أوائل الالف الثانى قبل الميلاد من مواطنها الاصلية فى اواسط آسيا الى منطقة الشرق الادنى القديم ، فاستقرت فى العراق وسوريا وبدأت فى تهديد مصر منذ نهاية عصر الدولة الوسطى .

وفيما يتصل بملوك الاسرة الثالثة عشرة فقد قدمت بردية تورين مابين خمسين الى ستين ملكا لها ، بينما اشار مانيتون الى أنهم ستين ملكا حكموا لمدة ٤٥٣ عاما وهى فترة مبالغ فيها الى حد بعيد ، أوان حكم هذه الاسرة لم يتعد المائة والخمسين عام .

واتخذت الاسرة الثالثة عشرة من "ايثت تاوى" عاصمة لها كما كان الحال من قبل" (٢) ، وكان معظم ملوكها من طيبة ويفسر ذلك وجود معظم آثارها فى منطقة طيبة . واول ملك معروف لنا من هذه الاسرة هو الملك

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ١٨ .

(٢) Heyes, W.C., In J.E.A., vol, 33 (1947) PP. 10-11.

"امنمحات سبك حتب" (سخم رع خو تاوى) ، ويتجه بعض الباحثين الى الاعتقاد بأنه يرتبط بملوك الاسرة الثانيةعشرة عن طريق الزواج من الملكة سبك نفرو آخر ملوك الاسرة الثانية عشرة .

وان كان هناك من يرى غير ذلك وانه قد تولى العرش بطريق الاغتصاب ، وتشير الاثار المتبقية من عهده الى اهتمامه بالجنوب ، كما قام ببعض النشاط المعمارى فى بعض مناطق مصر .

وبنهاية عهده الذى استمر مايقرب من اربع سنوات ، بدأ النفوذ المصرى فى النوبة فى التدهور وان ظل قويا فى سوريا ، اذ عثر على نقيش فى مدينة جبيل (بيبلوس) وهو يصور أميرها وهو جالسا أما شخص عظيم اختفت صورته ، ولكن النصوص المدونة الى جانبه دلت على انه الفرعون المصرى "نفر حتب" (خع سخم رع) (١) . وتوالى ملوك الاسرة الثالثة عشرة على العرش حتى سقطت منف فى ايدى الهكسوس وذلك حوالى عام ١٦٧٤ ق.م وكان ذلك بمثابة النهاية لها رغم اشارة بردية تورين الى بعد ذلك. اذ ربما كان هؤلاء الملوك مجرد اتباع للهكسوس أو حتى فى احسن الفروض حكاما محليين لا يعدو حكم الواحد منهم اكثر من منطقة محدودة ربما لا تزيد فى بعض الاحيان عن مدينة واحدة (٢) .

---

(١) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص١٨٤ـ١٨٥

(٢) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص٦٨٧.

الاسرة الرابعة عشرة

استغل أمراء منطقة سخا فرصة ضعف الاسرة الثالثة عشرة واستقلوا باقليمهم متخذين من مدينة سخا بكفر الشيخ عاصمة لهم. ويذكر مانيتون أن عدد ملوك هذه الاسرة كان ستة وسبعين ملكا حكموا لمدة ١٨٤ سنة وتذكر بردية تورين ٢١ ملكا منهم. وقد سقطت هذه الاسرة بعد نهاية الاسرة الثالثة عشرة بثلاثين عاما. وهكذا تنازعت مصر فى هذه الفترة ملوك الاسرة الثالثة عشرة فى الجنوب وأمراء سخا فى غرب الدلتا بينما كان الهكسوس فى شرقها ، ومهد ذلك الامر للهكسوس أن يقضوا على قوتهم.

الهكسوس

تتركب كلمة "هكسوس" من كلمة "حقاو" و"خاسوت" ، وهما يفيدان معنى "حكام الاقاليم الاجنبية". وكان هذا التعبير معروف فى المصادر المصرية منذ عهد مبكر ويرجع الى الاسرة السادسة وبقى مستعملا حتى عهد البطالمة (١). وترجم مانيتون هذه التسمية بمعنى ، ملوك الرعاة وترجمها عنه يوسيفوس اليهودى بمعنى "الاسرى الرعاة" ووصل بينهم وبين العبرانيين كفئة تابعة لهم (٢). ولم يعثر فى اللغة القديمة على

---

(١) J.E.A., vol. 5 (1918), P. 38.

(٢) عبد العزيز صالح : ص١٨٨.

كلمة وضعت علما لاولئك الغزاة ، فلقد اطلق عليهم فى ورقة ساليية الاولى "الطاعون" ، ويرجح انهم كانوا يسمون "عامو" أى الاسيويين فى عهد الهكسوس انفسهم ، كما اطلق عليهم "ستتيو" فى لوح كارنارفون (١) .

ولقد اتخذ بعض ملوك الهكسوس لقب "حقا خاسوت" أى "حاكم البلاد الاجنبية" ومن هؤلاء الملوك ، الملك خيا ، وسمقن وعنات هر .

وكانت هجرة الهكسوس الى مصر تالية لتحركات شعوبية هاجرت من اواسط آسيا ، عرفها المؤرخون باسم عام وهو اسم الاريين أو الهند وآريين وعرفتهم مصادر بلاد النهرين باسم الكاسيين أو الكاشيين ، وعرفتهم مصادر آسيا الصغرى باسم الخاتيين (ثم الحيثيين) وعرفتهم شواطئ الفرات العليا والمناطق السورية الشمالية الشرقية باسم الحوريين أو الخوريين ، وعرفتهم المصادر الاغريقية باسم الاخيين ، وعرفتهم المصادر المصرية باسم حقاو خاسوت الذى تحرف الى هكسوس(٢) .

ومن المحتمل انهم قد اتخذوا طريقهم الى مصر فى آواخر الاسرة الثالثة عشرة نتيجة لتفكك عرى البلاد خلال هذه المرحلة ومن ثم لم يجدوا امامهم مقاومة جدية . ولم يكن الهكسوس جنسا واحد بل كانوا خليطا من

(١) سليم حسن : مصر القديمة ، ج٤ ، عهد الهكسوس وتأسيس الامبراطورية القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص ٦١ — ٦٢ .

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٨٨ .

السكان الهند و آريين الذين جذبوا معهم بعض السكان من المناطق التي دخلوها في آسيا الصغرى وبلاد الشام ، ويتضح ذلك من التحليل اللغوى لاسمائهم ، وكذلك من الاسلحة التي تسلحوا بها والتي تكونت من السيوف المستقيمة والمقوسة والخناجر والحراب المصنوعة من البرونز والحديد ، وهي تبين مدى الثروة في المعادن التي تميزت بها آسيا الصغرى . وان وجودهم في مصر كان نتيجة تسلل بشرى اكثر من نتيجة غزو حربى وانه قد استغرق عدة أجيال ، استطاعت العناصر المتسللة في نهايتها ان تسيطر على الدلتا ومصر الوسطى حتى القوصية جنوبا (١) .

وفيما يتصل بملوك الهكسوس ، فيبدو ان بردية تورين قد ذكرت جميع اسماء ملوك الهكسوس ، ولكن للاسف فان بعض اجزائها قد حدث فيها تلف شديد يتعذر معه معرفة ماتحتويه ، وما بقى يمكن أن يعرف منه اسماء ستة ملوك حكموا لمدة مائة وثماني سنين ، ولقد عثر على بعض الجعارين التي تحمل اسماء بعض ملوك الهكسوس الذين لم نكن نعرفهم من قبل ، ولكن تبقى مع ذلك مشكلة ترتيبهم حسب التسلسل التاريخي .

ويذكر مانيتون أن الهكسوس قد وجدوا عند دخولهم مصر مدينة مشيدة تدعى "اواريس" فاتخذوها عاصمة لهم ، وانهم قد اصلحوها وامروا بتحصينها ، وهي المدينة التي كان يعبد فيها المعبود "ست" منذ زمن سحيق في القدم . وجاء في فاتحة متن "ورقة ساليبه" وصف يدل على

---

(١) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٦٩٦-٦٩٧ .

أن الهكسوس قد اتخذوا من الاله "ست" معبودا لهم . فلقد جاء فيها : اتخذ الملك "أبو فيس" لنفسه الاله "ستخ" (ست) معبودا ، ولم يقدس من آلهة البلاد كلها سوى الاله "ستخ" وقد اقام له معبدا بمثابة عمل جليل خالد بجوار مقر الملك ، وكان يخرج كل يوم ليقدم القربان للاله "ستخ" فى حين كان وجهاء القوم يحملون الاكاليل على غرار ما كان يفعله الناس فى معبد الاله "رع حور آختى" (١) .

وفيما يتصل بملوك الهكسوس وحكمهم فى مصر ، فاننا لانعرف عن بداية عهد تسلط الهكسوس على مصر الا النذر اليسير ، وذلك نظرا لانعدام الوثائق التاريخية المتخلفة من هذا العهد ، وكل مالدينا هو اسماء عدة ملوك لايمكن ترتيبها ترتيبا تاريخيا مسلسلا . وقد حاول ولنيم فلاندرز بترى أن يرتب هؤلاء الملوك ترتيبا تاريخيا على اساس اختلاف صناعة الجعارين المنقوشة عليها اسماء هؤلاء الملوك ، غير أن ذلك لم يجد نفعا .

وقسم "مانيتون" ملوك الهكسوس الى ثلاث اسرات : الاسرة الخامسة عشرة وتتكون من ستة ملوك ، والاسرة السادسة عشرة ، وعدد ملوكها اثنان وثلاثون ملكا ، ثم الاسرة السابعة عشرة وحكم فيها ثلاثة واربعون ملكا من الهكسوس ، وعاصر هذه الاسرة الهكسوسية الاسرة السابعة عشرة الطيبية .

---

(١) سليم حسن : المرجع السابق ، ص٦٨ـ ٦٩ .

وفيما يتصل بملوك الاسرة الخامسة عشرة ، فمن أشهر ملوك هـــذه الاسرة الملك خيان ، الذى ورد اسمه فى قائمة مانيتون باسم "يناس" ويتضح من الجعارين والاختام التى عثر عليها له أنه حمل العديد مـــن الالقاب ومنها :

حاكم البلاد الاجنبية خيان (١) ، الاله الطيب ان رع (٢) ، ابـــن الشمس ساوسر ان رع (٣) .

وقد عثر على آثار له فى فلسطين وسوريا وهى عبارة عن جعاريـــن ، بينما عثر لدى احد تجار الاثار فى بغداد على تمثال اسد صغيـــــر ارتفاعه نحو ٢٥,٤ سم وطوله نحو ٤٨,٢ سم وقد نقش على صدره "الالـــه الطيب ساوسر ان رع" (شكل ١٥) . وفى اساس قصر كنوسوس الثانى فـــى كريت عثر على غطاء آنية من المرمر نقش عليه "الاله الطيب ساوسر ان رع ابن الشمس خيان" (٤) .

ويشير وجود مثل هذه القطع المفردة الى وجود علاقات تجارية لمصر مع هذه الجهات ، اذ لو كان نفوذ الهكسوس قد امتد فعلا الى هـــذه

---

(١) Fraser, G., AC atalogue of the Scarabs Belonging to G. Fraser, London, 1900. NO. 178.

(٢) Ibid., NO. 175.

(٣) Ibid., N. 176.

(٤) سليم حسن : المرجع السابق ، ص٩٢ ــ ٩٣ .

الجهات ، كما يرى بعض الباحثين ، لكان من الضرورى أن نجد فى هذه المناطق قطعا كثيرة تثبت هذه السيطرة وتؤكدها ، ولكان من المنتظر كذلك أن نجد تأثيرا فنيا بابليا أو كريتيا فى هذه القطع ، ولكنها فى الواقع مصرية بحتة فى صورها وصناعتها (١) .

وجاء بعد "خيان" الملك "أبو فيس الاول" (عا وسررع) ، وحكم اكثر من أربعين عاما وقد عثر له على العديد من الاثار بجانب الجعارين ومن أهم هذه الاثار لوحة خشبية عثر عليها فى الفيوم وقد جاء فيها انه ملك مصر العليا والسفلى عا وسررع ابن الشمس ابو فيس معطى الحياة مخلدا مثل رع كل يوم ، وابن الملك من جسمه ، والابن المحبوب من رع" . كما عثر على قطعة اخرى من الحجر محفوظة بمتحف القاهرة وقد سجل عليها "يعش الملك الطيب عاو سررع" . وقد سجل عام حكمه الثالث والثلاثين على "ورقة رند الرياضية" وهو التاريخ الوحيد الذى حفظ لنا عن حكم ملك من ملوك الهكسوس ، وقد دون هذا التاريخ على النحو الاتى : "السنة الثالثة والثلاثون ، الشهر الرابع من فصل الزرع .. ملك مصر العليا والسفلى عا وسررع معطى الحياة (٢) " .

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٩٤ .

(٢) Daressy, G., In rec. trav., 14, 1892. P. 24.

وعشر فى مقبرة الملك "امنحتب الاول" من الاسرة الثامنة عشرة علـى اناء مرمرى يحمل اسم الاميرة "حريت" ابنة "ابوفيس" وقد سجل عليـه "ابن الشمس ابو فيس الملك الطيب عاو سررع والابنة الملكية حريت"، ويبدو أن هذا الاناء أخذ ينتقل جيلا بعد جيل جتى استقر آخر الامر فى مقبرة الفرعون فى طيبة ، مما ادى الى أن يفترض البعض زواج "حريت" من أمير معاصر من طيبة ، ولعل هذا يشير الى انهم كانوا اكثر تسامحا من تلـك الاراء التى تعكسها المصادر المتأخرة وان كان الامر كله مجال حـدس وتخمين (١) .

ولا نعرف الا القليل عن حكم الملوك الذين تلوا ملوك الاسرة الخامسة عشرة ، كذلك لا نعرف كيف انكمش ملكهم واصبح المصريون يتطلعون الـى طردهم -ومن المؤكد على أى حال ان المصريين برموا بهم وضاقوا بوجودهم بينهم حيث يبدو ان ظهورهم كان يصحبه اضطراب فى أحوال الشـرق الادنى بصفة عامة وادى الى مرور مصر بفترة عصيبة فنزح بعض المصريين عنها الى النوبة التى كانت حينئذ قد تخلصت من النفوذ المصرى واخـذ يحكمها بعض امرائها الذين استقلوا بأقاليمهم بينما اخذ الامـراء المصريون الذين اجبرتهم الظروف على مجابهة بعض الاخطار فى إقاليمهم يستعينون بالكثيرين من ابناء النوبة الذين قدموا الى مصر كجنود مرتزقة

(1) Gardiner, A.H., "The EgyptianOrigen of the Semetic Alphabet". In J.E. A., vol, 3 (1916) pl. 1., P. 152. وكذا :

محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

واستقرت غالبيتهم فيها فى جاليات كبيرة ، اذ عثر على جباناتهم ومقابرهم منتشرة فى مصر العليا ووصل انتشارها شمالا الى صمصر الوسطى . ولا بد أن مصر والنوبة فى نهاية عهد الهكسوس كانتا تنقسمان الى الاقسام الاتية

١ـ مملكة طيبة (الاسرة السابعة عشرة المصرية) التى كانت تمتد من اليفانتين جنوبا الى القوصية شمالا .

٢ـ مملكة الهكسوس وكانت تحكم مصر الوسطى والدلتا .

٣ـ مملكة النوبة التى كان يحكمها امير نوبى وكانت تمتد شمالا الى اليفانتين .

وحقيقة الامر أن احدا من الامراء المصريين المستقلين لم يجرؤ على ادعاء الملك وتلقيب نفسه بألقاب الفراعنة المصريين كما كان الامر فى الاسرة الثالثة عشرة ومرت أيام الاسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة دون أن يكون هناك بين امراء البلاد من يستطيع مقاومة نفوذهم ، ولكنهم فى الايام الاخيرة من حكمهم بدأ بعض أمراء الصعيد يحسون بقوتهم وكان اكثرهم نفوذا وسلطانا أمراء طيبة الذين اخذوا يتحالفون مع جيرانهم فى شمالى طيبة وجنوبيها ، وجاء اليوم الذى رأى فيه هؤلاء الامراء أنهم أصبحوا ذوى حول وقوة ، وان قوة اعدائهم فى الشمال أخذت فى الانحلال فلم يترددوا فى اعتبار انفسهم ملوكا لاقليمهم ، وبدأوا يكتبون اسماءهم فى خانات ملكية مسبوقة بألقابهم التقليدية بانهم ملوك الوجهين القبلى والبحرى ، وهؤلاء هم ملوك الاسرة السابعة عشرة الذين كانوا معاصرين

للملوك المتأخرين من ملوك الهكسوس في الدلتا .

ولسنا نعرف على وجه اليقين مدى العلاقة بين هؤلاء الملوك الطيبين وملوك الهكسوس ، والوثيقة الاولى التى تتحدث عن بدء النزاع ليست وثيقة معاصرة وانما هى وثيقة من عصر متأخر من عصر الرعامسة - وتعرف تلك الوثيقة "ببردية ساليبيه" (١) - ، ونعرف من سياق هذه البردية أن سقنن رع فى ذلك الوقت كان حاكما على طيبة ومعاصرا للملك الهكسوس "ابو فيس" وقد استقبل رسول أبو فيس بحفاوة عندما جاءه من اواريس ليبلغه بأن افراس النهر فى مياه طيبة تقلق نوم أبو فيس وهو فى قصره فى الدلتا ولهذا فهو يطلب منه اسكاتها ، وان تهجر افراس النهر ذلك المكان ، وجمع سقنن رع رجاله لاستشارتهم . ولكن البردية ليست تامة لسوء الحظ ، وان كنا نستطيع أن نخمن ان السبب فى كتابة مثل هذه القصة هو تسجيل انتصار الملك سقنن رع على عدوه ، ومن فحص مومياء سقنن رع . وقد ابقى عليها الزمن وهى محفوظة الان فى المتحف المصرى ، فنرى أن صاحبها مات متأثرا من جراح كثيرة فى صدره وضربة فأس فى رأسه مما يجعلنا نرجح ان يكون هذا الملك قد مات فى الحرب . وهى تشير الى بداية الجهاد المسلح فى عهده .

وتولى زعامة طيبة بعده انه الملك كامس وقد وصلت الينا اخبار معاركه

(1) Gardiner, A.H., Gunn, B., In J.A., vol V (1918), PP, 40- 45.

فى سبيل تحرير مصر على لوحة صبى فى أحد المكاتب املاها عليه مدرسه كقطعة املاء وهى تعرف باسم لوحة كارنارفون (١) ثم عثر على جزء من لوحة من الحجر الجيرى فى الكرنك عام ١٩٢٨ . وهى دون شك جزء من اللوحة الاصلية التى نقلت عنها لوحة كارنارفون ويبدأ هذا النص القديم بالتاريخ . فنعرف ان ذلك كان فى السنة الثالثة من حكم الملك كامس . ويتضح من هذا النص أن النضال قد بدا مرة اخرى ، ولم يكن هذه المرة دفعا لتحرش كما حدث فى أيام سقنن رع الا ان كامس قد رأى انه لا بد من تطهير البلاد مما تحمله ارضها من رجس وشر . ونفهم من باقى النص أن اول معركة خاضتها جيوش طيبة كانت فى مدينة نفروس فى اقليم الاشمونين وان حاكمها المسمى تيتى بن بيباوبى جعل من اقليمه عشا للاسيويين أى انه كان ممالئا لهم ، وكانت فى بلده حامية للهكسوس ولكنه انتصر عليهم ، وعند هذا الكلام ينتهى النص .

كانت هذه هى كل معلوماتنا عن حرب كامس مع الهكسوس حتى شهر يوليه ١٩٥٤ ، اذ شاء الحظ الحسن ان يعثر رجال مصلحة الاثار أثناء ترميمهم لبعض آثار الكرنك على لوحة استخدمها القدماء لتكون بين احجار الاساس التى يقوم فوقها احد التماثيل الكبيرة لاحد فراعنة الاسرة الحادية والعشرين .

---

(1) Ibid., PP. 45-47.

وكانت اللوحة كاملة لحسن الحظ وهي من الحجر الجيرى وارتفاعها ٢٢٠سم (ارتفاعها الاصلى ٢٣٥) وعرضها ١١٠ سم وسمكها ٢٨سم وتغطى الكتابة احد سطحيها وجانبيها وعليها ٣٨ سطرا من الكتابة تكمل لنا قصة كفاح كامس ضد الهكسوس . فينحي باللائمة على ملك الهكسوس ويذكر هزيمته امامه وخوف الأسيويين من جيش مصر ، وان نساء اواريس لن يلدن بعد ذلك" ، ويصف كامس دخوله احدي المدن فيقول : "لمحت نساء العدو فوق دياره ، يتطلعن من النوافذ ، وحين رأينني لم يستطعن حراكا واخذن يتلصصن من خلال الابواب والجدران كأفراخ القطط في جحورها (١) ثم يتحدث كامس بعد ذلك عن حرب خاضها على سطح الماء في معركة نيلية ويذكر انتصاره واستيلاءه على الكثير مما كان لدى عدوه وبخاصة ثلاثمائة سفينة مصنوعة من خشب الارز . ويذكر كامس على هذه اللوحة انه أسر رسولا اتخذ طريق الواحات بعث به ملك الهكسوس الى كوش يحمل رسالة مكتوبة بخطه يحرض فيها أمير كوش على مهاجمة مصر من الجنوب أثناء اشتغال كامس بحربه ، ويعده بأن يتقاسم معه مدن مصر .

وخشى كامس ان يحدث هجوم عليه من طريق الواحات فأرسل حملة من رجاله احتلت الواحات البحرية لانها على رأس الدروب الموصلة الى مصر الوسطى . ثم يعدد كامس المدن التى استولى عليها ، وفرح أهل طيبة بانتصاراته . واستيلائه على البلاد الواقعة بين الاشمونين واطفيح

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص١٩٤ .

ولكن الاستيلاء على الوجه البحرى كله وعلى أواريس عاصمة الهكسوس لم يتم على يديه بل تم على يد اخيه أحمس ٠

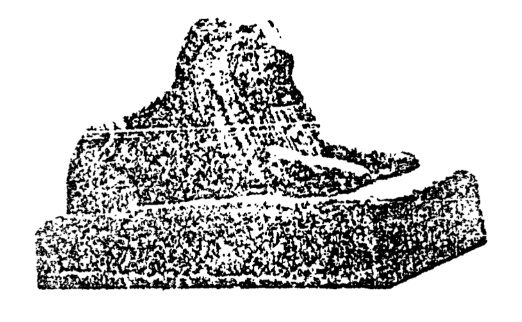
ولسنا نعرف كيف انتهت حياة كامس ولكننا نرى فجأة أمامنا البطل الثالث وهو الملك احمس أخو كامس الذى تسلم منه راية الجهاد واعلنها حربا لا هوادة فيها فتم له النصر واجلى العدو عن مصر كلها ٠ ونستمد معلوماتنا عن حرب أحمس مع الهكسوس من مقبرة أحد قواده واسمه " احمس بن ابانا " وهو من أهل الكاب ، ويحدثنا هذا القائد عن تاريخ حياته وتنقله فى الخدمة العسكرية كقائد لاحدى السفن ، ويذكر لنا كيف تبع سيده الملك احمس فى حربه مع الهكسوس وكيف سقطت أورايس بعد حصارها وكيف فر الهكسوس الى مدينة شاروحين فى جنوبى غزة ، وان المصريين حاصروها ثلاث سنوات حتى سقطت فتم لهم النصر على اعدائهم — وبعد أن اطمأن احمس تماما الى سحق اعدائه وجه همه الى تنظيم بلاده ٠ وهكذا خرجت جحافل جنود مصر من طيبة لمحاربة الهكسوس فلم تعد الى وطنها الا بعد القضاء عليهم ووضع الحجر الاول فى صرح الامبراطورية المصرية ٠

يبقى هنا ان نشير الى دور كل من السيدتين نتى شرى أم سقنن رع وايعح حتب أم كامس فى حرب التحرير ، وقد وصفت نتى شرى فى نصوص حفيدها احمس بلقب العالمة أو العارفة ، أما ايعح حتب فقد وصفت بأنها : "ربة الارض ، وسيدة الحاونبو ، رفيعة السمعة فى كل قطر اجنبى

التى دبرت سياسة القوم ... القديرة الجليلة التى احكمت شؤون مصر ، وجمعت (صفوف) جيشها ، ورعت اهلها ، واعادت الفارين ، ولمت (شتات) المهاجرين ، وهدأت (قلق) الصعيد ، وارهبت عصاته ، الملكة ايعححتب لها الحياة" (١) .

وليس من شك فى أن حكم الهكسوس لمصر كان العامل الاكبر الذى جعل الشعب المصرى يدرك ما للقوة العسكرية من اهمية كبرى فى حماية الوطن والذود عنه ، وبات واضحاً للمصريين ضرورة الحرب عندما لاح لهم فى آفاق الحياة خطر العدو ، ونتج عن اشتراكهم فى حروب التحرير تذوقهم طعم الحرب ولذة النضال والنصر ، وعرف المصريون فى ذلك الوقت ان الحروب تعود على المنتصر بالغنائم الكثيرة ، وان فى ميادينها متسعا لاعمال البطولة ، وان الحاكم يعترف بها ويكافأ عليها ، فأصبح للجندية مكانة لاتعادلها مكانة اخرى واصبحت الحرب وليست حرب الفرعون وحده ، ولكنها حروب الشعب كله ، حروبا اشترك فيها كل مواطن قادر على حمل السلاح فى مصر .

(١) نفس المرجع السابق ، ص١٩٥ — ١٩٦ .



(شكل ٣٤) أسد عثر عليه فى بغداد من عهد الهكسوس

المراجـــــع

أولا : المراجع العربية :

- أحمد أمين سليم : دراسة تاريخية للحضارة المصرية القديمة أثناء عصر الاسرتين الاولى والثانية (رسالة ماجستير) الاسكندرية ١٩٧٧ .
- أحمد امين سليم : دراسة تاريخية لنشأة الاسرة الثالثة وتطورها السياسى والحضارى (رسالة دكتوراه) ، الاسكندرية ، ١٩٨١ .
- أحمد امين سليم : دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم ، مصر ، العراق ، ايران ، بيروت ، ١٩٨٩ .
- أحمد بدوى : فى موكب الشمس ، الجزء الاول ، القاهرة ، ١٩٥٥م .
- أحمد بدوى : هيرودوت يتحدث عن مصر ، القاهرة ، ١٩٦٦م .
- أحمد فخرى : الاهرامات المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، القاهرة ، ١٩٧١ .
- رشيد سالم الناضورى : اقدم صلات حضارية بين مصر ولبنان ، الاسكندرية ، ١٩٦٨ .
- رشيد سالم الناضورى : المدخل فى التحليل الموضوعى المقارن للتاريخ الحضارى والسياسى فى جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا ، الكتاب الاول ، بيروت ، ١٩٧٧ .

- سليم حسن : مصر القديمة ، الاجزاء الاول والثانى والثالث والرابع.

- سوزان عباس عبد اللطيف : دراسة تاريخية للعلاقات بين مصر واليونان منذ منتصف الالف الثانى قبل الميلاد وحتى منتصف الالف الاول قبل الميلاد (رسالة دكتوراه) ، الاسكندرية ، ١٩٨٧م.

- عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ، الجزء الاول ، القاهرة ١٩٦٢م .

- محمد ابو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الادنى القديم منذ اقدم العصور الى مجىء الاسكندرية ، بيروت، ١٩٨١م

- محمد أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

- محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى " (رسالة ماجستير) الاسكندرية ، ١٩٦٦ .

- " " " " " " " " : حركات التحرير فى مصر القديمه ، الاسكندرية ، ١٩٧٦.

- " " " " " " " " : دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم ، جـ١ ، مصر الكتاب الاول ، التاريخ ، الاسكندرية ، ١٩٨٢.

- نجيب ميخائيل ابراهيم : مصر والشرق الادنى القديم ، جـ١ ، الاسكندرية ، ١٩٦٥ .

— وهيب كامل : ديودور في مصر ، القاهرة ، ١٩٤٧م .

ثانيا : المراجع المترجمـــة :

— جان يويوت : مصر الفرعونية ، ترجمة سعد زهران ، القاهرة ، ١٩٦٦

— والتر ب ، امري : مصر في العصر العتيق (الاسرتين الاولى والثانية)
ترجمة راشد محمد نوير ومحمد على كمال الديـن ،
مراجعة الدكتور عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ، ١٩٦٧

— ول ديورانت : قصة الحضارة ، الجزء الاول ، ترجمة محمد بدران ،
القاهرة ، ١٩٦١ .

ثالثا : المراجـــع الاجنبية :

- Abu-Baker, Abdel- Moneim., Excavations at Giza, 1949-1950, Cairo, 1953.

- Adam, S."Recent Discoveries in the Eastern Delta", In Ann. Seru., 55 (1958), pp. 301-324.

- Allen, T.G., "A Middle kingdom Egyptian contact with Asia Minor" In A. J.S.L., 43 (1927), pp. 294-296.

- Blackman, A.M., Middle Egyptian Stories, parti, Brussels 1932.

- Blackman, A.M., Some Notes on the story of Sinuhe and other Egyptian Texs" In J.E.A., vol. 22 (1936), pp. 35-44.

- Brasted, J.H., Ancient Records of Egypt, 5 vols, Chicago, 1946- 1948.

de Buck, A., "The Instruction of Amenemmes", In Mel. Maspero, 1, (Mem. Inst. Caire, 66) 847-852.

- Drioton, E., and vandier, J., L'Egypte, Paris, 1952.

-Edwards, I.E.S., The Pyramids of Egypt, Harmondsworthy 1961.

- Emery, W.B., Archaic Egypt, (Penguin Books), Harmonds worth, Middlesex, 1961.

- Faulkner, R.O., "Egyptian Military organization" In J.
E.A., vol. 39 (1953), PP. 32-47.

- Frankfort, H., and Other., Before Philosophy,
Harmondsworth, 1949.

- Gardiner, A.H., "The Accession Day of Sesostris I, "
In J.E.A., 32 (1946).

- Gardiner, A.H., Ancient Egyptian Dnomastica, 3 vols.
Oxford, 1947.

- Gardiner, A.H., Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1961.

- Hall, H.R., The Ancient History of the Near East,
London, 1936.

- Hayes, W.C., "Notes on the Government of Egypt in the
Late Middle kingdom" In J.N.E.S., vol. 12(1953)
pp. 31-39. kantor, H.J., The Aegean and the
orient in the second Millennium B.C., Indiana,
1947.

- Lucas, A, Ancient Egyptian Materials and Industries,
London, 1962.

- Mace, A.C., "Excavations at Lisht", In Bull. M.M.A.,
17 (1922), December part 2.3- 18.

- Murray, M.A., Index of Names and Titles of the old
kingdom, London, 1908.

- Nelson, H., "Fragments of Egyptian Old kingdom Stone vessels from Byblos" In Berytus, 1, 1934, pp. 19-22.

- Parker, R.A., The Calendar of Ancient Egypt, Chicago, 1950.

- Petrie, W.M.F., The Making of Egypt, London, 1939.

- Posener, G., "Les Asiatiques en Egypte Sous les XII et XIIIe Dynasties" In Syria, 34 (1957), PP. 145-163.

- Posener, G., Litterature et politique dans l'Egypte de la XII Dynastie, Paris, 1956.

- Pritchard, J.B., (ed), Ancient Near Eastern Texts relating to the Old Testament, Princeton, 1974.

- Quibell, J.E., Hierakonpolis, part I, London, 1900.

- Quibell, J.E. and Green, F.W., Hierakonpolis, part II, London, 1902.

- Reisner, G.A., "Ancient Egyptian Forts at Semna and Uronarti", In Bull. M.F. A., 27 (1929), PP. 64-75.

- Reisner, G.A., The Development of the Egyptian Tomb, Cambridge, 1936.

- Simpson, W.K., "A Hatnub stela of the arly Twelfth Dynasty" In Mitt. deatch. Inst. Cairo, 16 (1958) PP. 298-309 .

- Vercoutter, J. "L'Egypte et le monde ageen prehellenique, Cairo, 1956.

- Vercoutter, J., "Upper Egyptian Settlers in Middle kingdom Nubia" In Kush, 5 (1957), PP. 61-69.

- Weill, R., ala IIE et la III e Dynasties, Paris, 1908.

- Wilson, J.A., " The Egyptian Middle Kingdom at Megiddo", In A.J.S.L., 58 (1941), PP. 225-236.

- Weill, R., "Notes sur les Monuments de la periode thinite" In Rec. Trav., 29 (1907), PP. 26-35.

- Wilson, J.A., The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1956.

- Wilson, J.A., "Buto and Hierakonpolis in the Geography of Egypt", In J.N.E.S., vol. 14 (1955), PP. 2[illegible] 236.

- Winkler, H.A., Rock- Drawings of Southern Upper Egypt, 2 vols. London, 1938 - 1939.

- Yoyotte, J. "Egypte ancienne", In Histoire Universelle, I, Des Origies al Islam (Encyclopedie de la Pleiade) Paris, 1956 .

الفهـــــرس

